الجرائم العدوانية
على حقوق الوحدة البشرية
فى
العصور القديمة

[الجذور الأولية لفكرة الجرائم الدولية- وإنشاء قضاء دولى جنائى]

دراسة

تاريخية وفلسفية عن أخطر الجرائم التى انتهكت حقوق الشعوب القديمة وأسباب إباحة بعضها وتجريم البعض الآخر فى ظل الأنظمة التى كانت سائدة فى مجتمعات العالم القديم

دكتور

سمير عبد المنعم أبو العنينين

أستاذ تاريخ وفلسفة القانون
بكلية الشريعة والقانون- جامعة الأزهر- بطنطا
والمحامى بالنقض والإدارية العليا

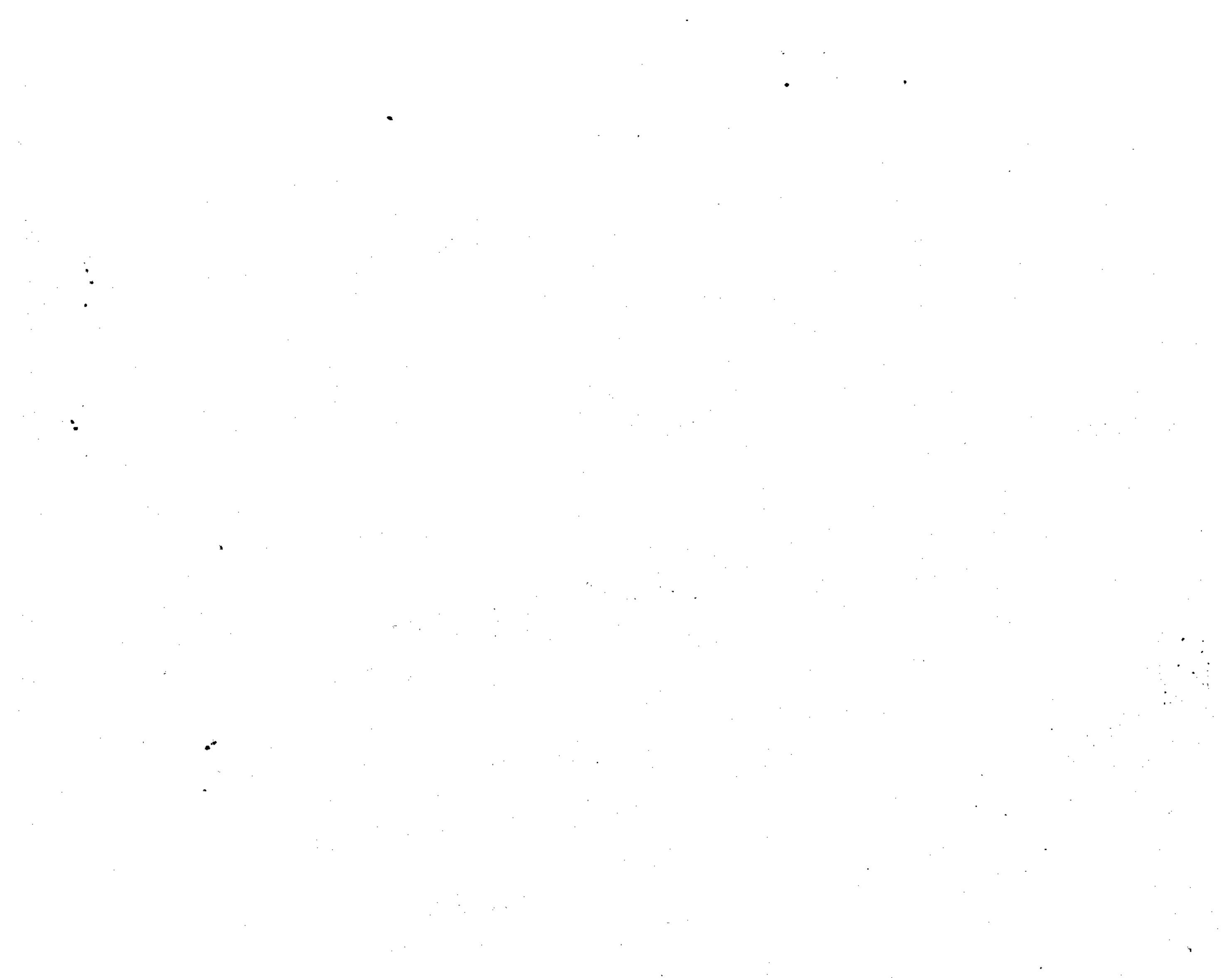
الناشر
دار النهضة المصرية
٩ شارع عدلى- القاهرة

رقم الإيداع القانونى
بدار الكتب والوثائق القومية
١٧٥٠ / ٩٨
الناشر
دار النهضة المصرية - ٩ ش عدلى بالقاهرة

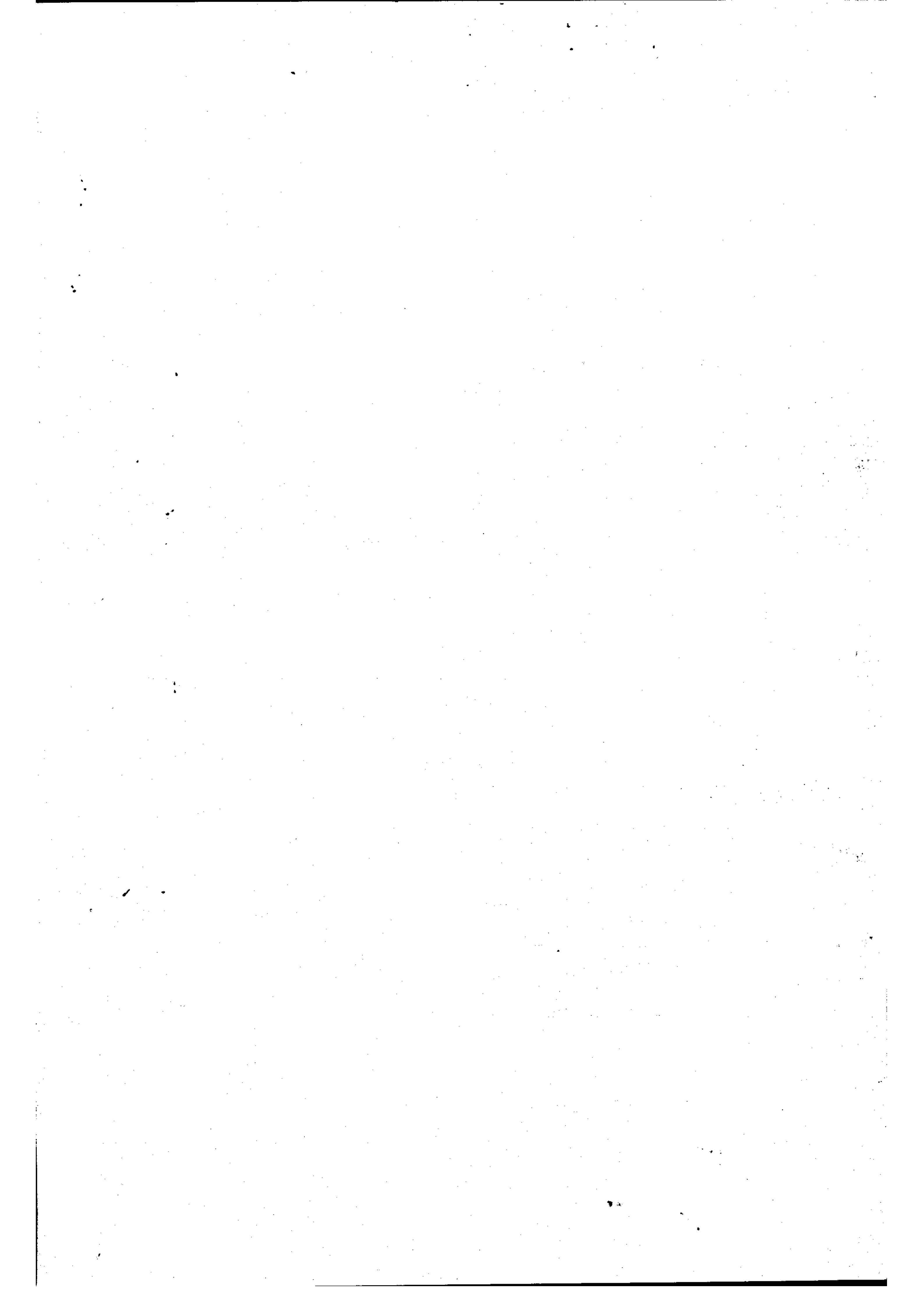
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتآى ذى القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم
لعلكم تذكرون ﴾

سورة النحل الآية : ٩٠




مقدمة



منذ بداية تكوين مجتمعات دول العالم القديم ، وأصبح لكل مجتمع أنظمة قانونية واقتصادية واجتماعية ، وحكومة على رأسها ملك أو أمير أو إمبراطور ، وكيان سياسى مستقل عن المجتمعات الأخرى ، ظهرت أفعال وحشية خطيرة عكرت صفو الحياة الإنسانية وتمثلت فى جرائم عدوانية أرتكبت بأساليب مليئة بالقسوة والإستبداد والطغيان والظلم ، وإنتهكت بجسامة حقوق كل البشر باعتبارهم أعضاء فى كيان جسدى واحد ومن طبيعة إنسانية واحدة ، ومع إستمرار تطور العلاقات بين الدول القديمة وعلى الأخص العلاقات القائمة على نظام توازن القوى هددت هذه الجرائم أمن وسلامة وإستقرار المجتمع الدولى القديم .

وهذه الجرائم هى التى يطلق عليها حاليا مصطلح الجرائم الدولية التى قننت معظمها بنصوص واضحة خلال أزمان القرن العشرين الميلادى وخاصة بعد إنشاء ميثاق الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٥ ، وظهور الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى عام ١٩٤٨ ، والمعاهدات الدولية العديدة التى أبرمت فى هذا الشأن ، إلى جانب المنظمات الدولية المختلفة التى أنشئت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى والثانية وذلك من أجل نبذ الحروب والقضاء على كافة الأساليب التى تنتهك فيها حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ، مع توفير كل السبل التى تساعد على تحقيق الأمن والسلام بين كافة شعب دول العالم .

وإذا كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد أقرت التقسيم الثلاثة للجرائم الدولية الذى جاء فى محاكمات نورمبرج [التى عقدت فى عام

١٩٤٥م لمحاكمة مجرمى الحرب الألمان] وهى جرائم السلام التى تتمثل فى العدوان المسلح والنشاط الإرهابى ، وجرائم الحرب التى يتم فيها مخالفة قوانين الحرب وعادتها ، والجرائم ضد الإنسانية التى تنتهك فيها حقوق الإنسان وحرياته الأساسية .

فإن جميع هذه الجرائم الواردة فى التقسيمات الثلاثة قد ارتكبت بالفعل فى العصور القديمة ، ولكن بعضها فقط قد أخذ صفة التجريم فى المجتمع الدولى القديم ، والبعض الآخر الذى كان يمثل أغلبية هذه الجرائم لم يأخذ هذه الصفة بسبب وجود أوضاع فاسدة كانت سائدة ومقننة فى مجتمعات الدول القديمة أهمها أنظمة الحكم المطلق وتعدد الطبقات ، والرق .

وعلى هذا الأساس فضلنا أن نطلق على موضوع بحثنا عنوان الجرائم العدوانية على حقوق الوحدة البشرية بدلا من اصطلاح الجرائم الدولية للأسباب الآتية :

١ - أن الجرائم الدولية التى ارتكبت فى العصور القديمة ليست جميعها كانت متخذة صفة التجريم الدولى ، بل أغلبها أعتبر نتيجة وجود أوضاع ظالمة وأنظمة فاسدة من قبيل الأفعال المباحة رغم أنها كانت تمثل عدوانا سافرا ووحشيا على حقوق كل البشر فى الحياة الإنسانية ، كما كانت تهدد بصفة مستمرة الأمن والسلام فى المجتمع الدولى القديم .

٢ - أن كافة صور الجرائم الدولية ليست سوى عدوان على حقوق شعب أو جماعة أو شخص معين ، وحيث أن الإنسانية عبارة عن جسم واحد ، وأى ألم يصيب أحد أعضاء هذا الجسم يؤلم ويصيب جميع أعضائه ، فإن أى جريمة دولية ترتكب تكون عبارة عن عدوان على كل البشر منذ بداية الحياة الإنسانية وحتى عالم اليوم ٠

٣ - الشخص الذى يرتكب أى جريمة دولية لم يأخذ صفة المجرم الدولى إلا بعد أن أعتبر على مر العصور المختلفة عدوا لكل البشر أى عدوا للجنس البشرى ، وخلال إزمان العصور القديمة قد أخذ أشخاص هذه الصفة نتيجة لارتكابهم جرائم بشعة هزت كيان الإنسانية فى كافة إرجاء العالم القديم ٠

٤ - بعض الجرائم التى ارتكبت فى العصور القديمة وكانت تأخذ صفة الجرائم الدولية مثل السطو البرى المسلح قد انتفت عنها هذه الصفة فى العصور الحديثة وأصبحت جرائم إقليمية فقط ٠

٥ - مفهوم الوحدة البشرية القائمة على الأخوة الإنسانية التى نادى بها معظم فلاسفة العصور القديمة وخاصة فلاسفة الشرق القديم كان أعمق من مفهوم الأسرة الدولية،لأن النظام الدولى فى العصور القديمة كان فى دور النمو واطره كانت غير واضحة ، ولذا فإن إطلاق لفظ الجرائم الدولية على هذه الجرائم التى ارتكبت فى العصور القديمة كان لا يطابق بالكامل الواقع الذى كانت تعيش فيه الشعوب فى تلك العصور ٠

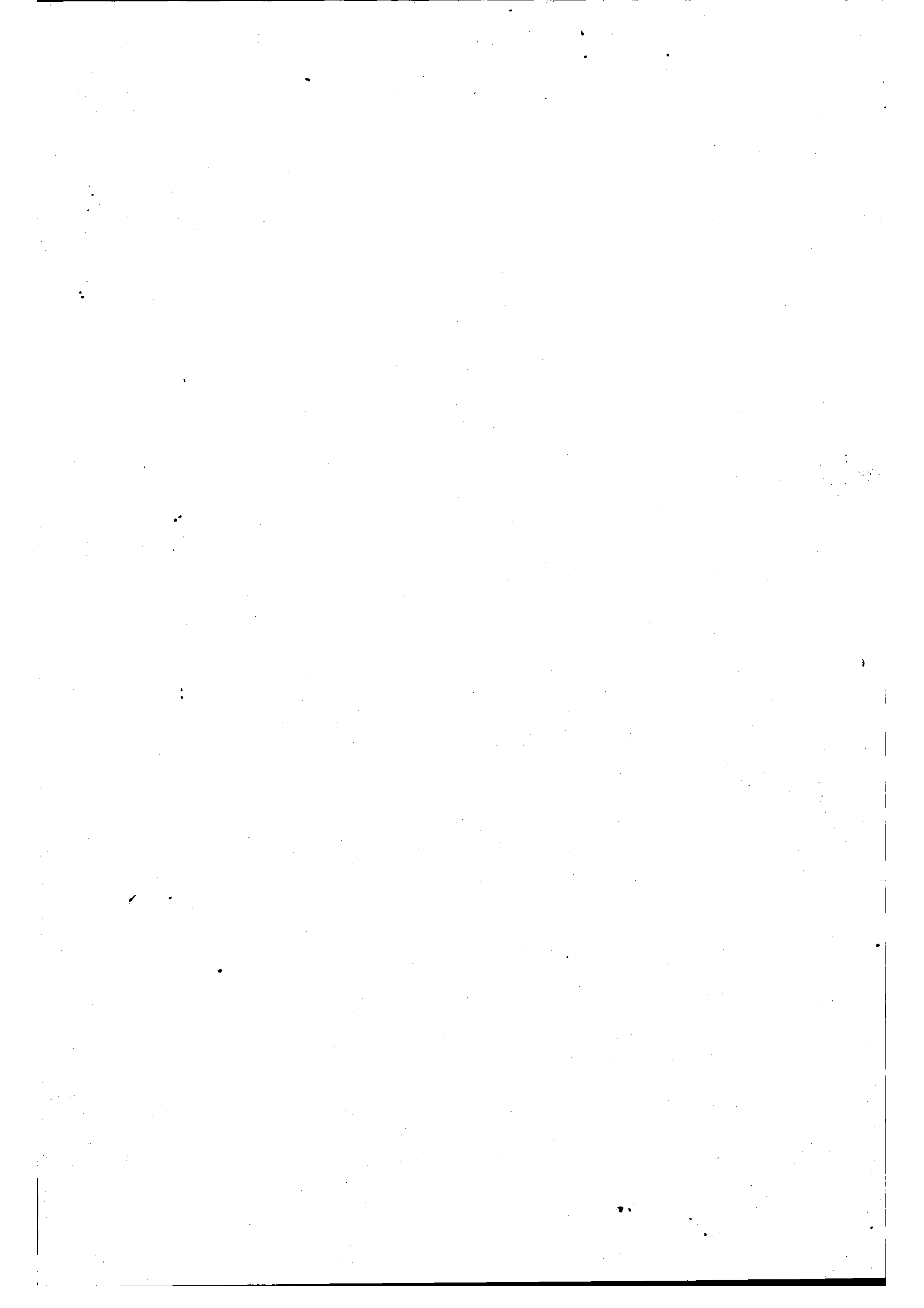
وبالـــتالى فـــإن تسمية عنوان بحثنا بالجرائم العدوانية على حقوق الوحدة البشرية فى العصور القديمة يكون أكثر دقة من استخدام مصطلح الجـــرائم الدوليـــة عـــن الأفعال العدوانية التى ارتكبت ضد الشعوب خلال أزمان العالم القديم ٠

وحيث أن هذه الجرائم التى ارتكبت فى العصور القديمة كانت تمثل عدوانا صارخا على كل البشر وتهدد طبيعة حياتهم الإنسانية فقد ظهرت فى تلك العصور اتجاهات فكرية وفلسفية نددت بشدة من جسامة وخطورة جميع هذه الجرائم سواء التى اتخذت صفة التجريم الدولى أو التى لم تتخذ هـــذه الصـــفة ، كمـــا أشارت هذه الاتجاهات إلى فكرة إنشاء قضاء دولى جـــنائى لمحاكمة ومعاقبة كل من يرتكب جريمة من هذه لجرائم بعقوبات شـــديدة ورادعـــة ، حيث كان الفلاسفة والمفكرون الذين ظهروا فى تلك العصور يرون فى الجنس البشرى أسرة واحدة يرتبط كل أعضاؤها برباط الأخـــوة الواحـــدة سعيا نحو تحقيق السلام والأمان والاستقرار والعدل ، أى كـــانوا يعتـــبرون بصـــدق أن جميع شعوب العالم أعضاء فى الوحدة الإنسانية ، وأن الإنسانية ليست سوى جسما واحد وروحا واحدة ٠

ولكن نوضح ذلك بالتفصيل قسمنا دراستنا فى هذا البحث إلى بابين على النحو التالى :

الباب الأول : ســـنبين من خلاله مفهوم الجرائم العدوانية علـــى حقوق الوحدة البشرية حيث سنشير فيه إلى الأسباب التى أدت إلى انتقاء صفة الجرائم الدولية عن بعض هذه الجرائم ثم نبين بعد ذلك أهم الجرائم التى أخذت هذه الصفة فى العصور القديمة ٠

الباب الثاني : سنتناول فيه أثر الفكر الفلسفى القديم فى تجسيم خطـورة الجرائم العدوانية على حقوق الوحدة البشرية ، وفى طرح فكرة إنشــاء قضــاء دولى جنائى ، وذلك من خلال عرض آراء ونداءات أهم فلاسفة الشرق فى مصر والهند والصين وبلاد فارس وفلاسفة الغرب فى المجـتمعات اليونانية والرومانية . وذلك لكى نؤكد الحقيقة التى يجب أن تداركها كل الأجيال بأن الأفكار الموجودة فى عالم اليوم لابد أن يكون لها جذور أصولية فى الماضى البعيد .

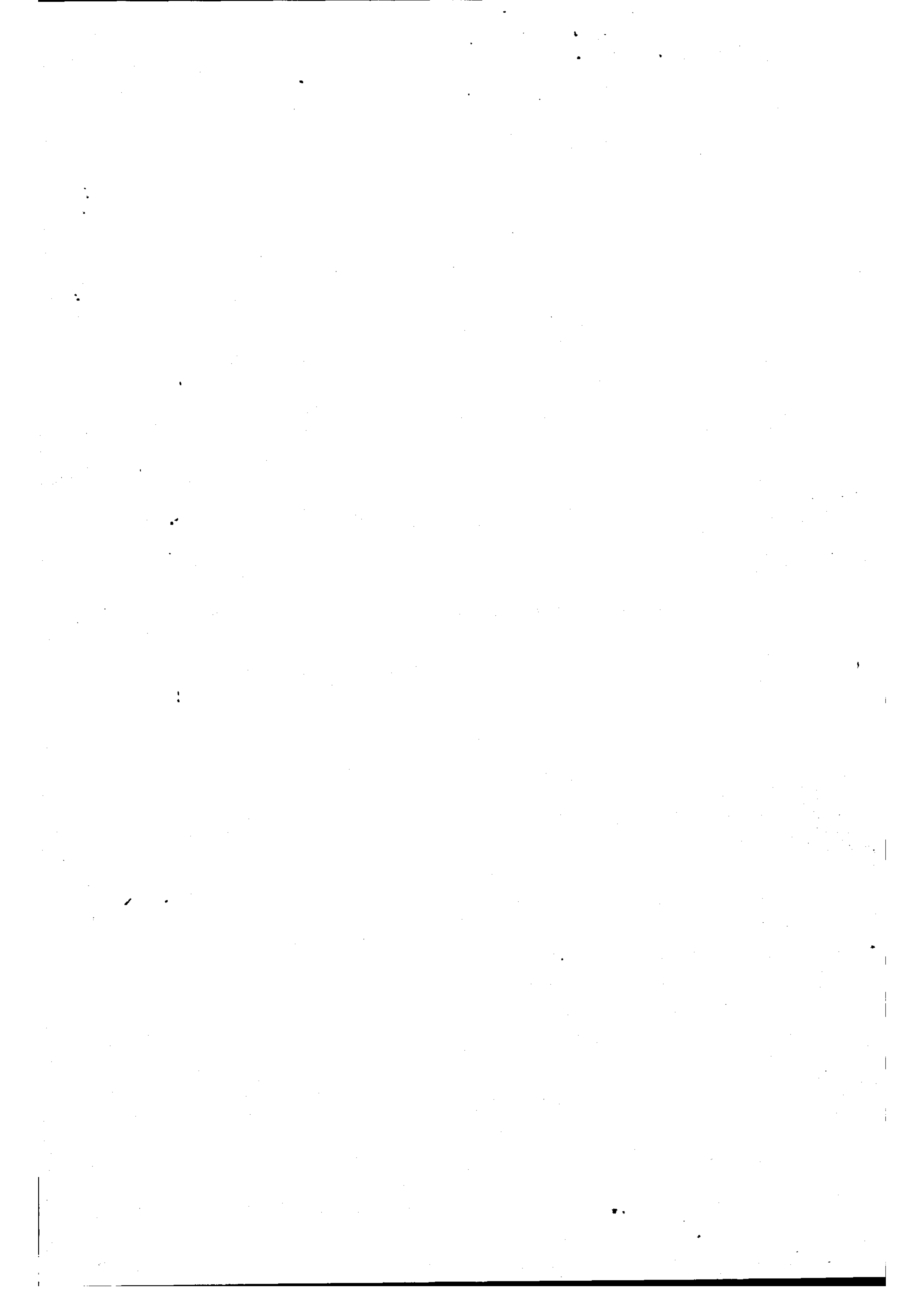


الباب الأول

مفهوم الجرائم العدوانية

على

حقوق الوحدة البشرية فى العالم القديم



تقديـم:

إذا كـانت الجـرائم العدوانيـة على حقوق الوحدة البشرية والتى أصـبح يطـلق عـلى معظمها الآن اصطلاح الجرائم الدولية ، قد تأصلت بمبادئ وقواعد منذ بداية النصف الثانى للقرن العشرين وعلى الأخص بعد توطيـد مبادئ ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى النظام القانونى الدولى ، وفى أنظمة القوانين الداخلية لكل الدول ، إلا أن بعـض هذه الجرائم التى ارتكبت فى العصور القديمة كانت لأسباب معينة عـبارة عـن أفعـال أو تصرفات مباحة لم تأخذ صفة التجريم من جانب حكومـات دول العـالم القديـم رغم ما كانت تمثله من خطورة على أمن وسلامة الوحدة الإنسانية .

وبالـتالى لـم تكـن جميع الأعمال العدوانية على حقوق الوحدة البشـرية متخذة صفة التجريم فى العصور القديمة وإنما بعضها فقط دون الـبعض الآخر ، ولايضاح ذلك بالتفصيل سنعرض دراستنا فى هذا الباب على النحو الآتى :

الفصل الأول : سنوضـح فيه الأسباب التى أدت إلى انتفاء صفة الـتجريم عـن بعض الأعمال العدوانية على حقوق الوحدة البشرية رغم خطورتها على أمن وسلامة المجتمع الدولى القديم .

الفصل الثانى : سنشـير فيه إلى أهم الأفعال والتصرفات التى اتخذت صفة التجريم واعتبرت من الجرائم العدوانية الخطيرة على حقوق الوحدة البشرية وعلى أمن وسلامة المجتمع الدولى القديم .

الفصل الأول

أسباب انتفاء صفة التجريم عن بعض الأعمال العدوانية على حقوق الوحدة البشري



تقديم:

بعد أن تطورت المجتمعات الإنسانية التى نجحت فى دخول اعتاب العصـــور القديمـــة اقتصاديا واجتماعيا ، وأصبح لكل منها كيان سياسى مســـتقل وســـلطة مركزية برئاسة أمير أو ملك أو امبراطور وأخذت شكل مدنيـــة أو دولـــة – ظهـــر على أثر هذا التطور أنظمة فاسدة أخلت بشكل واضـــح بمبدأ المساواة فى الحقوق بين الأفراد ، وولدت صور عديدة من الظلم والطغيان والاستبداد فى معظم هذه المجتمعات المستقلة التى ظهرت فى شـــرق وغرب العالم القديم – وهذه الأنظمة الفاسدة التى تمثل أهمها فى نظام الحكم المطلق ، والنظام الطبقى ، ونظام الرق[1] ، كانت من أهم الأســـباب الـــتى أدت إلى انتقاء صفة التجريم عن بعض الأعمال الخطيرة التى ارتكبت ضد وحدة الإنسانية ومثلت عدوانا صارخا على أمن وسلامة المجتمع الدولى القديم – ولكى نوضح ذلك بالتفصيل سنعرض دراستنا فى هذا الفصل فى ثلاث مباحث على النحو الآتى :

المبحث الأول : نظام الحكم المطلق .

المبحث الثانى : نظام تعدد الطبقات .

المبحث الثالث : نظام الرق .

---

(1) Francis Fukuyama- the END af History and the Lost Man- New york – 1967 – PP 135 ets .

أفلاطـــون – الجمهوريـــة – الكـــتاب الـــرابع – ترجمة د/ فؤاد زكريا – مراجعة د / محمـــد ســـليم ســـالم طـــبعة ١٩٦٨ – دار الكـــتاب العربى للطباعة والنشر والتوزيع – ص ٣٧٥ وما بعدها .

المبحث الأول

نظام الحكـــم المطلـــق

****

معظـــم أنظمـــة الحكم فى الدول القديمة كانت مطلقة – فالملك أو الإمبـــراطور كـــان يمثل السلطة الإلهية التى تجبر جميع أفراد شعبه على الطاعة العمياء والخضوع التام لجميع أوامره، أو ما يصدر عنه من أفعال وتصـــرفات ، كما كان هو قائد الجيش الأعلى وصاحب الصلاحية المطلقة فى تـــنظيم أمـــور شعبه حيث كانت سلطاته تشمل جميع مرافق الحياة فى مجتمع دولته ولا يجوز لأى شخص أو لأى مجلس جماعى أن يقاسمه فى هذه السلطات أو يراقبه فى كيفية مباشرتها واستغلالها [١] .

ولذلـــك فإذا ارتكب أى جريمة من الجرائم الغير إنسانية ضد أى شـــخص أو أى مجموعة من أفراد شعبه كالتعذيب أو القتل أو الاضطهاد كـــان يعتبر ذلك من قبيل سلطاته المطلقة فى نظر حكومات الدول الأخرى

---

(١) ميشـــيل ســـتيورات : نظـــم الحكـــم الحديثة ٠ ترجمة أحمد كامل ٠ مراجعة د ٠سليمان الطماوى ٠طبعة ١٩٦٢ ٠دار الفكر العربى ص ٦ وما بعدها ٠

– اندريـــه إيمـــارد. جـــانين أو بوايـــة : تاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونـــان القديمة ٠ ترجمة فريد م٠ داغر ، وفؤاد ج أبو ريحان ٠ الطبعة الأولى ١٩٦٤ منشورات عويدات بيروت ص ٤٦ – ص ٥٨ . ص ١٣٩ – ص ١٤٢ ، ص ٢٠٤ . ص ٢١٨ – ص ٢٢١ ، ص ٤١٢ – ص ٤١٦ ٠

القديمـــة حـــتى لو أثارت سخط واستهجان شعبه ، أى كانت هذه الجرائم غيـــر مؤثمـــه إقـــليميا ودوليـــا بسبب الحكم المطلق الذى تمتع به ملوك وأباطـــرة تـــلك العصـــور والذى أعطاهم الحق الكامل فى أن يجمعوا بين أيديهم كل الأمور الدينية والدنيوية فى مجتمعهم ولا يمكن بصفة مطلقة أن يحاســـبوا قانونـــا عمـــا يرتكبونه من جرائم ضد شعبهم سواء فى النظام الداخلى أو فى النظام الدولى القديم .

وصـــفحات التاريخ مليئة بالأحداث المؤلمة التى ارتكب فيها ملوك وأباطـــرة العصور القديمة أبشع الجرائم التى ما زالت حتى الآن تهز كيان الإنســـانية من شدة جسامتها المروعة دون حساب أو إدانة أو رقابة من جـــانب المجـــتمع الدولى القديم ، وهذه الجرائم وإن كانت عديدة ويطول عرضـــها وشـــرح بواعـــثها الدنيئة إلا أننا سنذكر منها أمثلة لنبين مدى فظاعتها فى ظل الأوضاع السيئة لنظام الحكم المطلـــق .

* ظهـــر فى دولة الفرس بعض ملوك اشتهروا بالظلم والاستبداد والوحشـــية وحب إشعال الحروب ، وكان كل واحد منهم يطلق على نفسه مـــلك الملوك ، وكلمته هى القانون السائد فى دولته ، والمـــوت مصير أى فـــرد مـــن الـــرعية لـــو أنه جرؤ حتى على مجرد التفكير فيه تكفيرا معاديـــا أو نظر إليه نظرة تعبر عن عدم الرضا أو عدم قبول الخشوع أو التبجيل .

فقد حدث أن خرج أحد هؤلاء الملوك ويقال أنه الملك (داريوس الأخميني) الذى حكم الفرس خلال النصف الأول للقرن الخامس قبل الميلاد ، ليصطاد فى إحدى الغابات ، فشاهد عقب خروجه من القصر رجلا وابنه الشاب يقفان فى الطريق على مسافة بعيدة منه تزيد عن مائة متر فحاول هذا الملك الطاغية أن يجرب تصويبه قبل أن يصطاد فأطلق سهمه نحو هذا الشاب فقتله فى الحال أمام عين والده ، ثم التفت بسرعة إلى الوالد ينتظر تعليقه ، فما كان من هذا الأب المسكين إلا أن ألقى بنفسه على الأرض أمام قدمي هذا الملك ، وصاح مهللا له حياك كل الآلهة أيها الملك العظيم الجسور على سديد رمايتك .

ومرة أخرى ذهب إلى الملك (اخشويروش) الذى حكم الفرس بعد وفاة والدة الملك (داريوس الأخمينى) رجلا فقد أربعة من أولاده الخمسة فى الحروب يلتمس من عظمته أن يعفى ابنه الخامس من الخدمة فى الجيش ليكون عونا له فى أمور الحياة وهو كبير السن ، فما كان من الملك إلا أن أمر بقطع جثة هذا الابن الخامس إلى جزأين أمام عينى والده . ووضع كل منهما أعلى جانبى الطريق حتى يرى الشعب والجنود فى أثناء سيرهم النتائج العملية لعصيان أحد أفراد الرعية أوامر الملك .

وذات مرة أيضا أمرت زوجة هذا الملك(احشويروش) بعض عبيد القصر أن يقوموا بسلخ جلد وصيفتها وهى على قيد الحياة ثم تمليحه وتجفيفه . وبعد أن قاموا بذلك أمرتهم أن يصنعوا من هذا الجلد موطئ

محشـــو بريش النعام لتضع عليه قدميها وبالفعل تم صنع ذلك وأحضروه إليهـــا وكـــانت تشعر بسعادة غامرة وهى تجلس وتضع قدميها على هذا الموطئ المصنوع من جلد وصيفتها [1] .

* رغـــم أن الهند القديمة كانت من أسمى المجتمعات الإنسانية فى الحكمة وفلسفة الفكر النافع لجميع شعوب العالم – إلا أنه ظهر فيها بعض المـــلوك الذين اشتهروا بالقسوة والطغيان والظلم وحب سفك الدماء مثل المـــلك (اشوكا بريادرشين) الذى بدأ حكمه فى عام ٢٦١ ق٠م بارتكاب أبشع جريمة قتل ، حيث قتل أخاه البكر من أجل أن يستولى على الحكم ، وبعـــد أن جـــلس على العرش قام بحملة دموية واسعة النطاق ذبح فيها العديد من الأبرياء ومثل بجثثهم لكى يوطد حكمه بالقوة والاستبداد ويردع بعنف وقسوة كل من يحاول أن يعارضه أو يفكر فى عدائه ، وإذا كان هذا المـــلك قـــد عـــدل عن سياسة الاغتيالات والبطش بعد أن اعتنق البوذية وأصدر قوانين لحفظ النظام وتمكن أن يوحد البلاد بعد أن ضم فى مملكته كـــل أجـــزاء الهـــند الشمالية والشمالية الغربية إلى جانب المدن والقرى الواقعـــة جنوبا حتى منطقة الأندهرا ، كما أقام علاقات دبلوماسية عديدة مع سوريا ومصر ومقدونيا والقيروان وفارس وأثينا وروما .

(1) HENRY thomas – the GREAT philosophers 1962 – New york . U.S.A – PP 17 , 18 .

إلا أن الجـرائم البشـعة التى ارتكبها فى بداية حكمه ولطخت يداه بدماء الأبرياء ظلت فى جبينه حتى توفى فى عام ٢٢٧ ق.م[١].

* فى الصـين القديمة ظهر أيضا فيها حكام طغاة ومستبدين مثل المـلك (شـانغ تشو) الذى يعتبر آخر ملوك أسرة شانغ ، حيث استولى على العرش فى أوائل القرن الحادى عشر قبل الميلاد وبداء حكمه بالظلم والطغيان والقسوة على عامة الشعب إلى جانب قيامه بسلب ونهب خيرات الـبلاد ، وكـان لا يعـنيه من السلطة سوى التمتع ببناء القصور الفخمة ووسـائل الـلهو ، كما كان يتلذذ ويشعر بالنشوة والسعادة الغامرة عندما يقوم بقتل وتعذيب الأشخاص ، ولذلك ابتكـر (بعد أن أصدر قانونا دمويا لمجابهـة اسـتياء الشـعب) أشنع عقوبة عرفت فى تاريخ الصين وهى (عقوبـة بـأولاو) التى تتم بوضع قنطرة نحاسية فوق كمية هائلة من الفحـم المـتقد عـلى ارتفاع متر ، وبعد أن تشتد حرارة القنطرة إلى حد الـتوهج يأمر هذا الملك الطاغية أعوانه بأن يدفعوا الشخص الذى يرغب فى تعذيـبه وقتله لكى يسير حافى القدمين على هذه القنطرة النحاسية ، وبإجـباره للعـبور عليها حافيا يشعر بحرارة النحاس الشديدة وهى تأكل قدميـة ، وعـندما يحاول التخلص منها فلا يجد مفرا غير القفز من فوق القـنطرة ، ليسقط فى أحضان الفحم المتوهج الذى يشوى جسده ويموت

---

(١) اندريـه ايمارد ، وجانين أوبوايه – تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة – مرجع سابق ، ص ٦١٠ وما بعدها .

فى الحـــال ، وكذلك كانت زوجته هذا الملك الطاغية التى تدعى (تاكى) تخـــترع لمـــن تغضب عليهم أنواع بشعة من التعذيب والعقاب مثل أمرهم بـــأن يمسكوا فى أيديهم معادن محمية فى النار ، أو تغطس رؤوسهم فى إناء كبير مملوء بالخمر حتى يموتوا مخمورين ، أو تأمر بقطع أعضائهم التناسلية ...... الخ (١) .

وأيضـــا الإمـــبراطور الطاغية (تشن٠ شه٠ هوانغ٠ تى) الذى تمكـــن بقوته وسطوته من توحيد الأقاليم الصينية بعد فترة انفصال دامت حـــوالى ثـــلاث قرون ، وأنشأ أول إمبراطورية فى تاريخ الصين القديمة وجـــلس عـــلى عرشـــها فى عام ٢٢١ ق٠م ، حيث قام بإصدار عقوبات شـــديدة القســـوة لـــردع كل أفراد عامة الشعب من أجل أن يفرض نفوذه وجـــبروته عـــلى كل أرجاء المجتمع الصينى بالقوة والطغيان والاستبداد والظلم ولذلك أمر بقتل جميع المعارضين لسياسته ، وارتكب أبشع وسائل التعذيب مع الأبرياء ، وعندما حاول أنصار الفيلسوف كونفوشيوس التنديد بإجـــراءاته القمعيـــة أمر باعتقال أكثر من أربعمائة شخص منهم ودفنهم

---

(١) تـــاريخ الصـــين ٠ الجزء الأول٠ سلسلة كتب سور الصين العظيم ٠ الطبعة الأولى عـــام ١٩٨٦ دار مجـــلة بناء الصين ببكين ٠ توزيع الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب (كوزى شوديان) ببكين ص ١٣ ، ص ١٤ .

- انظـــر أيضا مؤلفنا فى التاريخ العام لأهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة- ١٩٨٩ – دار النهضة المصرية – ص ٤٨٠ ، ٤٨١ .

أحياء ، كما كان يحاكم الأسرة بأكملها فى حالة ما إذا ارتكب أحد أفرادها جريمة من الجرائم المنصوص عليها فى القوانين البالغة القسوة التى قام بوضـعها ، ورغـم أن فترة حكمه لم تدوم سوى عشر سنوات فقط حيث تـوفى فى عـام ٢١٠ ق٠م إلا أنـه قـد ترك ورائه شهرة فى القسوة والاسـتبداد جعلته لدى المؤرخين من أعلام الأباطرة الطغاة الذى حكموا الصين فى العصور القديمة [١] .

* تـاريخ الإمـبراطورية الـرومانية مـلئ أيضا بحكامها الطغاة السـفاحين الذين أذاقوا الشعب الرومانى والشعوب الأخرى التى سيطروا عـليها كافـة أسـاليب الـذل والعذاب والاستبداد وكان أشدهم فى الظلم والقسـوة التى وصلت إلى حد الغرابة هو الإمبراطور السفاح نيرون الذى حكـم الإمـبراطورية الرومانية فى الفترة من عام (٥٤ - ٥٨ ميلادية) حيث كان يتعطش دائما لسفك دماء الأبرياء أو إشعال النيران فى أجسادهم أو تعذيـبهم إلى حـد الموت وهو فى قمة النشوة والسعادة ، وفى إحدى المـرات عندما لم تعجبه آراء الفيلسوف سنكا (٤ ق٠م - ٦٥ م) الذى يعتـبر من أشهر فلاسفة المدرسة الرواقية فى العصر الرومانى ، أحضره أمامـه وحكم عليه بالإعدام ، ثم طلب منه أن يختار الوسيلة التى سيعدم

---

(١) جيـان بـوه تسـان . وشأوشيون تشنغ. وهوهوا- موجز تاريخ الصين ٠ الطبعة الأولى عام ١٩٨٥ ٠ دار النشر باللغات الأجنبية ببكين ، ص ١٨ ، ص ١٩ ٠

بها من عدة وسائل طرحها عليه ، وأمام جبروته وقسوته اضطر سنكا أن يختار وسيلة قطع شريانه الأكبر ، وبالفعل أمر هذا الإمبراطور السفاح أعوانه بقطع شريان سنكا الأكبر ، وعندما أخذ الدم ينفجر منه بغزارة شديدة تعالت صيحات الضحك والهزو الهستيرى من جانب هذا الإمبراطور السفاح الذى كان يجلس على كرسى العرش يشاهد تنفيذ حكمه الظالم وهو فى قمة السعادة والنشوة ، ولهذا يقول بعض المؤرخين بأن قسوة واستبداد الإمبراطور نيرون كانت ليس لها مثيل فى عصر الإمبراطورية الرومانية الغربية والشرقية [١] .

وأيضا لم يخلو تاريخ مصر الفرعونية ولا بلاد ما بين النهرين (بال واشور) ولا دولة الحيثين ولا بلاد اليونان من حكام ظلمه ومستبدين أشاعوا الفساد والطغيان وابتكروا أساليب عديدة فى العذاب والعقاب مثل فقئ العين وصب الرصاص فى الحلق ، وتمزيق الجسد بمنشار خشب ، أو ربط الأطراف الأربعة فى أربع جياد وعندما تجرى هذه الجياد فى اتجاهات مختلفة يمزق الجسد إلى أربع أجزاء ، أو قطع الأعضاء التناسلية ، أو تشوية الوجه ، أو قطع اللسان أو صم الأذن —

---

(١) د. عثمان أمين : الفلسفة الرواقية .القاهرة ١٩٤٥ . مكتبة النهضة المصرية ص ٢٥ وما بعدها .

- شارل فرنر : الفلسفة اليونانية .ترجمة تيسير شيخ الأرض. الطبعة الأولى عام ١٩٦٨ . دار الأنوار- بيروت . ص ٢٢٦ وما بعدها .

وغيـــر ذلك من هذه الأساليب الوحشية - ولذا كان مصيرهم أمام الثورات الشـــعبية الـــتى قامت ضدهم أما القتل أو الهروب من كرسى العرش إلى أمـــاكن بعيـــدة عن أعين الشعب مكثوا فيها غرباء إلى أن جاءتهم المنية لتنقذهم من حياتهم الأخيرة التى امتلأت بالذل والهوان .

ولذلـــك رغـــم بشاعة وقسوة الجرائم التى ارتكبها ملوك وأباطرة العصور القديمة ، إلا أن هذه الجرائم كانت لا تعتبر فى نظر حكومات دول العـــالم القديم من قبيل الجرائم الدولية لأن السلطة المطلقة التى تمتع بها هؤلاء الملوك والأباطرة فى الحكم أعطتهم الحق الكامل فى أن يجمعوا بين أيدهـــم كل السلطات الدينية والدنيوية وأن يفعلوا ما يشاءون دون حسيب أو رقيب عليهم .

وبالـــتالى كـــان لا يوجد أمام شعوبهم سوى الثورات لتخلص من ظلمهم وطغيانهم . وخير مثال على ذلك المجتمع الصينى ، حيث لم يحدث أن تـــم تغير نظام حكم أو انتهاء حكم أسرة وحلول بدلا منها إلا بالثورات الشـــعبية الداميـــة مثل ثورة العامة والعبيد عام ١٧٦٦ ق٠م ضد الملك المســـتبد (شـــياجيه) آخر ملوك أسرة شيا وعلى أثر نجاح هذه الثورة ســـقط نظـــام حكمة وتلاشت بالتالى أسرة شيا من حكم المجتمع الصينى وحـــل بدلا منها نظام حكم أسرة شائغ ، وثورة الفلاحين عام ٢٠٦ ق٠م التى نجحت وأنهت نظام حكم إمبراطورية تشين ، ليحل بدلا منه نظام حكم إمبراطورية هان الغربية .

المبحث الثانى

نظـــام تعـدد الطبقات

****

معظم مجتمعات الدول القديمة التى صنعت حضارات إنسانية تألقت بهـا فى العصور القديمة قد ارتبط نظامها الاجتماعي بالنظام الطبقى الذى جعـل جميـع أفراد الشعب فى كل دولة من هذه الدول غير متساوين فى الحقـوق والواجـبات ، ولذلـك كانت معظم أنظمة القوانين الداخلية التى ظهـرت فى تـلك العصور ارتكزت على النظام الطبقى فى تحديد الحقوق والامتيازات وفى فرض الواجبات ، أى أسست أحكامها على عدم المساواة بين أفراد الشعب وهذا الوضع قد أدى إلى وجود أفراد فى المجتمع الواحد شخصيتهم القانونية متكاملة ، وأفراد شخصيتهم القانونية ناقصة ، وأفراد آخرون ليست لهم شخصية قانونية على الإطلاق [١] .

ولـبيان ذلـك سنعرض صور مختصرة للحياة الاجتماعية فى أهم مجتمعات الدول القديمة :

*** فى بلاد ما بين النهرين :**

منذ بداية العصر الحجرى حتى نهاية العصور القديمة كان نظامها

---

(١) د . محمـد كـامل ياقوت : الشخصية الدولية فى القانون الدولى والشريعة الإسـلامية . طـبعة ١٩٧٠م . القاهـرة ، عـالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع . ص ٦٧٦ وما بعدها .

الاجـتماعي قـائم على تعدد الطبقات ، وقد ظهر ذلك بوضوح فى قانون (حمورابى)سادس ملوك بابل وأشهرهم قوة وحكمة وعلم ، حيث أصدره خلال فترة حكمه التى امتدت من عام (١٧٢٨- ١٦٨٦ ق٠م) ٠

وقسـم فيـه المجـتمع إلى أربعة طبقات ، وكل طبقة تميزت عن الأخرى فى تطبيق أحكامه وهى :

- **طبقة الأحرار**: وكـانت تتكون من الأشخاص الذين لهم الحق المطـلق فى التمـلك وممارسـة الـتجارة وفى الاشتراك مع المـلك فى إدارة شـئون الـبلاد ، وفى الدخـول إلى مجالس الشيوخ ، ومعظمهم كانت تصدر لهم أوامر ملكية بإعفائهم من الضرائب ٠

- **طبقة الكهنة** : وكـانت لهـا نفـس الحقوق والامتيازات المقررة لطبقة الأحرار إلى جانب مكانتهم المتميزة فى حراسة المعابد وفى إسداء النصح للملك وتزويده بالآراء والحكمة ٠

- **طبقة العامة**: وكانت تتكون من العمال والصناع والمزارعين والمعـتقين مـن الـرق وحقوقهم كانت أقل من حقوق طبقتى الأحرار والكهنة حيث كان لا يجوز لهم الاشتراك مع الملك فى إدارة شئون البلاد ولا الدخول فى مجلس الشيوخ ٠

- **طبقة العبيد** : وكانت تضم الأفراد الذين ولدوا أرقاء وأسرى الحـــروب إلى جـــانب الذين استرقوا لعجزهم عن سداد الديون المستحقة عليهم ، وكانت لهم بعض الحقوق الضئيلة .

وعـــلى هـــذا الأســـاس كان أفراد الشعب فى مجتمع بلاد ما بين النهرين غير متساوين فى الحقوق والواجبات، كما لم يحدث بينهم مساواة فى العقـــاب ، لأن فكـــرة العقاب كانت مرتبطة بتسلسل الطبقات، وبالتالى كـــانت عقوبـــة الجـــريمة الواحدة تختلف حسب حالة الجانى الاجتماعية فالجرائم التى كانت تمس الإنسان فى سلامة جسمه مثل الضرب والجرح ، كـــان لا يطبق جزاء المثل على المعتدى (القصاص) إلا إذا كان من طبقة المعتدى عليه - أما إذا كان المعتدى من طبقة الأمراء والمعتدى عليه من طبقة العامة أو من طبقة العبيد فكان طبقا لما تناولته المواد من ١٩٤ - ٢١٤ من قانون حمورابى يكتفى بالتعويض [١] .

---

(١) د . عـــبد السلام الترمانينى . محاضرات فى تاريخ القانون .طبعة ١٩٦٤ . كلية الحقوق جامعة حلب . ص ٥٣ وما بعدها .

- د . عادل بسيونى . التاريخ العام للنظم والشرائع . طبعة ١٩٩١/٩٠ القاهرة . ص ٥٤ وما بعدها .

- د .صـــوفى حســـن أبو طالب : مبادئ تاريخ القانون طبعة ١٩٦٧ القاهرة دار النهضة العربية ص ١٥٧ - ص ١٦٠ .

- مؤلفـــنا . المبادئ العامة لتاريخ وفلسفة نظم وقوانين حضارات العالم القديم ١٩٩٨ - دار النهضة المصرية ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

*** في الهند القديمة :**

وضح قانون مانو (الذى اختلف المؤرخين فى تحديد سنة صدوره حيث قال بعضهم أنه وضع فى عام ١٢٨٠ق٠م والبعض الآخر يرجعه إلى تاريخ أحدث من ذلك) والرأى الراجح يشير بأنه قد دون فى القرن الثالث قبل الميلاد) النظام الطبقى الذى كان قائم عليه المجتمع الهندى القديم حيث قسمه إلى خمس طبقات :

- **طبقة رجال الدين**: وهى طبقة البراهمة وقد وضعت على قمة طبقات المجتمع ومنحت كافة الحقوق العامة والخاصة كاملة كما أعطى لأبنائها حق شغل الوظائف الهامة فى الدولة ٠
- **طبقة المحاربين** : وهى تتكون من قادة الجيوش وكبار الضباط وتأتى فى المرتبة الثانية ، وأقل حظا من حيث التمتع بالحقوق والامتيازات عن الطبقة الأولى ٠
- **طبقة الزراع والتجار** : وتقرر لها قدر معين من الحقوق تقل عن الطبقتين السابقتين ٠
- **طبقة العمال والحرفين** : وهى كانت تمثل أدنى الطبقات من حيث الحقوق التى تقررت لها ٠
- **طبقة المنبوذين** : وهى كانت تمثل فئة من أفراد الشعب لم يعترف لهم بأى حق من الحقوق العامة أو الخاصة ، كما كان يحرم على جميع أفراد الطبقات الأخرى السابقة أن يلمسوهم أو يتصلوا بها ٠

وقـد اتسم هذا التقسيم الطبقى بالشدة والصرامة ، فلم يسمح لأى فـرد أن ينـتقل مـن طبقة إلى طبقة أخرى تعلوها ، كما كان لا يجوز الـزواج بين الطبقات ، وبالتالى لم يكن أفراد الشعب الهندى متساوين فى الحقوق والواجبات (١).

* **وأيضا كان للمجتمع الصينى** القديم قائم على النظام الطبقى حيث قسم أفراد الشعب إلى ثلاث طبقات :

- **طبقة النبلاء** : وكانت تتكون من رجال الدين وأفراد السلالات الـتى حكمـت الصين ، ومن أمراء الإقطاع فى الفترات التى كان ينتعش فيها النظام الإقطاعي ، كما كان يدخل هذه الطبقة فى بعض الأحيان التجار الأثـرياء وكـبار قـادة الجيوش ، وبعض أفراد عامة الشعب الذين كانت السلطة تنعم عليهم بوظائف هامة فى إدارة شئون البلاد ، وحيث أن أفراد هـذه الطـبقة كانوا ينتسبون إلى طوائف عديدة فقد ترتب على ذلك عدم المسـاواة بيـنهم فى الامـتيازات التى كانت تمنح لهم وإن كانوا جميعا متساوون فى كافة الحقوق العامة والخاصة .

---

(١) د. عـادل بسـيونى : الـتاريخ العـام للنظم والشرائع . المرجع السابق ص ٦١ .

- اندريه ايمارد ، وجانين أوبوايه - تاريخ الحضارات العام - الشرق واليونان القديمة - مرجع سابق. ص ٥٧١ ، ص ٥٧٢ .
- انظـر مؤلفنا . التاريخ العام لأهم شرائع حضارات العالم القديم - ١٩٩٧ - دار النهضة المصرية - ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

- **طبقة العامة:** وهى تمثل جموع الشعب الصينى من الصناع والعمال والمزارعين وأصحاب المهن المختلفة ، وكانت الحقوق المقررة لهم تقل بكثير جدا عن حقوق طبقة النبلاء ، كما إنه فى بعض الفترات التى كان ينتعش فيها النظام الإقطاعي وتزداد نفوذ أمراء الإقطاع فى الأقاليم الصينية كانت فئة الفلاحين والزراع عبارة عن أتباع للسيد الإقطاعى ومرتبطون بالأرض وكانوا يمثلون أدنى درجات هذه الطبقة .
- **طبقة العبيد** : وكانت تتكون من الذين ولدوا ارقاء ، ومن أسرى الحروب واللقطاء ، ومن الذين صدر ضدهم أحكام من الدولة بضمهم إلى هذه الطبقة كعقوبة على ما ارتكبوه من جرائم معينة ، وهؤلاء العبيد كانت لهم حقوق شخصية ضئيلة للغاية ، وكانت تتلاشى معظم الأحيان من أثر ازدياد نفوذ الأمراء الإرستقراطيين ، ولذا كانوا يمثلون أدنى درجات المجتمع ويعتبرون مثل الأشياء التى يحق تملكها والتصرف فيها .

وبالتالى يتضح أن أفراد الشعب الصينى فى العصور القديمة كانوا غير متساوين فى الحقوق والواجبات [1] .

---

(1) R. Grousset- la chine sant et art. Paris .1951 PP 43-77.
-M.Granet.la civilization chinoise .Paris 1929 PP 41-63.

- اندريه إيمارد ، وجانبين أبوايه- تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة – مرجع سابق . ص٥٧٩ – ص ٥٨٢ .
- مؤلفنا . التاريخ العام لأهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة – مرجع سابق – ص٤٩٤ وما بعدها .

* **كانت بلاد اليونان(الإغريق)** قائمة أيضا على النظام الطبقي وظهر ذلك في مدونه دراكون (حاكم أثينا) التى صدرت فى عام ٦٢١ق٠م ، وأقرت نظام الطبقات الذى كان قائما من قبل حيث كانت توجد أربعة طبقات على النحو الأتي :

- **طبقة الأشراف** : وهم النبلاء أصحاب الثروة والنفوذ والسلطة وكانوا يتمتعون بكافة الحقوق العامة والخاصة إلى جانب الامتيازات التى كانت تمنح لهم ٠

- **الطبقة الوسطى**: وكانت تتكون من الزراع والتجار وأصحاب المهن وكانت تتمتع بقدر من الحقوق أقل بكثير من الطبقة الأولى ٠

- **طبقة صغار الملاك والعمال**: وكانت تتمتع بقدر من الحقوق أقل أيضا بكثير عن المقرر للطبقة الأولى والثانية ٠

- **طبقة العبيد** : وكانت لا تتمتع بأى حقوق على الإطلاق ، وكانت تتكون من أسرى الحروب واللقطاء ، ومن الذين ولدوا ارقاء، ومن الذين عجزوا عن سداد الديون المستحقة عليهم، ومن الذين صدرت ضدهم أحكام بضمهم إلى هذه الطبقة كعقوبة على ما ارتكبوه من جرائم ، وجميع أفراد هذه الطبقة قد اعتبروا مثل الأشياء إلى تباع وتشترى ، وكل عبد كان عبارة عن أداه ناطقة فقط ويباح لسيده أن يكلفه بأشق الأعمال كما كان يحق له قتله دون أن يحاسب قانونا ٠

واستمر هذا الوضع إلى أن ثار عامة الشعب المكونين للطبقتين الثانية والثالثة مطالبين بمساواتهم فى الحقوق مع أفراد طبقة الأشراف ، وأمام سخطهم المتزايد الذى كان ينذر بالثورة ، قام صولون الذى تولى حكم أثينا فى عام ٥٩٤ ق.م بإصدار مدونة قانونية باسمه ، أصلحت قسوة الأحكام التى كانت فى قانون دراكون، وأقرت بمساواة جميع أفراد الشعب (عدا طبقة العبيد) فى كافة الحقوق العامة والخاصة واستطاع عامة الشعب من خلال ذلك أن

يشتركوا فى السلطة وأن يعينوا فى الوظائف الهامة والمناصب العليا فى الدولة [١] .

* **منذ بداية عهد الرومان** كان الشعب الرومانى منقسم إلى ثلاث طبقات :

---

(١) د. عبد السلام الترمانينى . محاضرات فى تاريخ القانون. مرجع سابق ص ١٤٧ وما بعدها .
- د. صوفى حسن أبو طالب : مبادئ تاريخ القانون. مرجع سابق ص ١٤٧ وما بعدها .
- اندريه ايمارد ، وجانين اوبوايه – تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة – مرجع سابق. ص ٣٣٧ – ص ٣٤٠ .
انظر مؤلفنا – التاريخ العام لأهم شرائع حضارات العالم القديم مرجع سابق – ص ٢٤٥ وما بعدها .

- **طبقة الأشراف**: وكـــانت تـــتكون من الأمراء وكبار رجال الدين وقـــادة الجيوش ، وكانوا يتمتعون بكافة الحقوق العامة والخاصة إلى جانب الامتيازات التى كانت تمنح لهم من الملك .

- **الطبقة العامة**: وكـــانت تـــتكون من الزراع والتجار وأصحـــاب المهـــن المختـــلفة وكـــانوا يتمـــتعون فقط بالحقوق الخاصة دون الحقوق العامة (الحقوق السياسية) .

- **طبقة العبيد** : وجميـــع أفرادها كانوا محرمون تماما من كافة الحقـــوق ، وكـــانت تتكون من أسرى الحروب واللقطاء ، والذين اســترقوا بســبب عجـــزهم عن سداد ديونهم – ومن الذين ولدوا ارقاء.

بعـــد زوال الـــنظام الملكى وإقامة النظام الجمهورى فى روما عام ٥٠٩ ق.م . قام أفراد طبقة العامة بثورات عديدة مطالبين بمساواتهم فى الحقـــوق مـــع أفـــراد طبقة الأشراف ، وأمام سخطهم المستمر اضطرت الحكومـــة إلى تشكيل لجنة لإصدار قانون يحقق المساواة بين جميع أفراد الشـــعب . وبـــالفعل تمكـــنت هـــذه اللجنة من إعداد هذا القانون الذى تم صـــدوره تحـــت مسمى قانون الألواح الاثنى عشر فى عام ٤٤٩ ق.م ، والـــذى حقـــق بـــالفعل المساواة التامة فى الحقوق العامة والخاصة بين الأشراف وعامة الشعب دون أن يعطى أى حقوق لطبقة العبيد .

إذا كـانت رومـا قد حققت المساواة فى الحقوق بين جميع أفراد الشـعب الأحـرار ، إلا أنها بعد أن احتلت مجتمعات عديدة فى الشـرق والغـرب ، قـد جعـلت الشـعب الرومانى فقط يتمتع بكافة الحقوق دون الشـعوب الأخرى ، واستمر هذا الوضع إلى أن أصدر الإمبراطور كراكلا دسـتورا فى عـام (٢١٢ ق٠م) منح بمقتضاه الجنسية الرومانية لغير الرومان من سكان الإمبراطورية الأحرار ثم استكمل بعد ذلك هذا القانون وتـم مـنح الجنسـية لكل الأجانب الموجودين فى الإمبراطورية فى عهد الإمبراطور جستيان الذى حكم الإمبراطورية الرومانية الشرقية فى الفترة من عام ٥٢٧ م إلى ٥٦٥ م [١] .

---

(١) د٠عمـر ممـدوح مصـطفى: القانون الرومانى ٠الطبعة الخامسة ١٩٦٥/ ١٩٦٦م – دار المعارف بالقاهرة ٠ص ٧٩ وما بعدها ٠

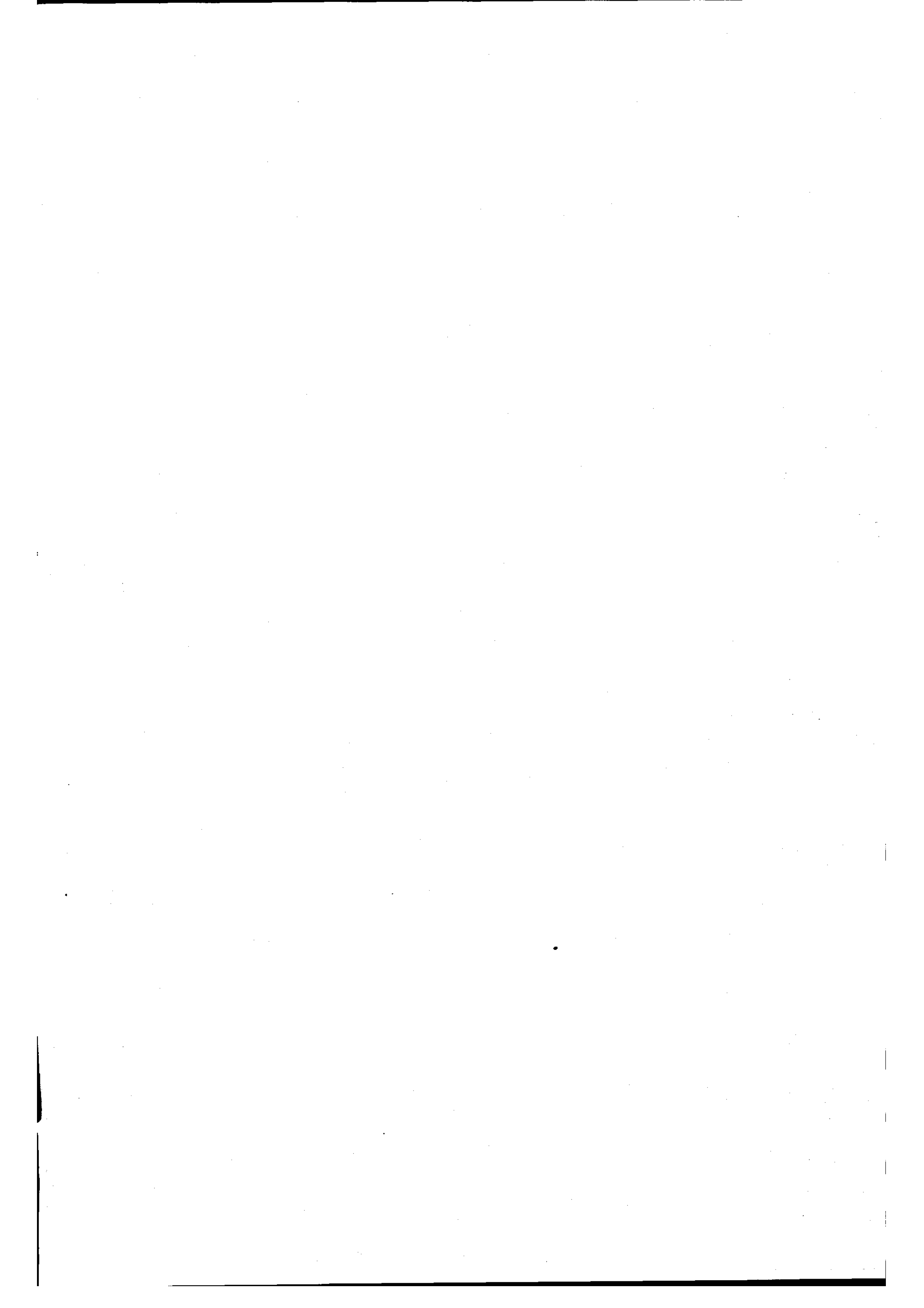
- د٠محمود سلام زناتى: نظم القانون الرومانى٠ طبعة ١٩٦٦ ٠ القاهرة دار النهضة العربية ص ٤٧ وما بعدها ٠
- د٠ عـبد السـلام الترمانينى ٠ محاضرات فى تاريخ القانون٠ مرجع سابق ص ٧٣ وما بعدها ٠
- د٠عـادل بسـيونى : الـتاريخ العـام لـلنظم والشـرائع٠ المرجع السابق ص ٦٨ وما بعدها ٠
- اندريـة ايمـارد ، وجـانين أوبوايـه – تـاريخ الحضـارات العام – روما وإمبراطوريتها – الجزء الثانى٠ ترجمة يوسف داغر، وفريد داغر – الطبعة الأولى ١٩٦٤م ٠منشورات عويدات٠بيروت ص١١١ وما بعدها ٠
- د٠صـوفى حسن أبو طالب : مبادئ تاريخ القانون ٠ مرجع سابق ص ٧٣ وما بعدها ٠

* وأيضا كان النظام الاجتماعى فى **دولة الحيثين ودولة الفرس** قائمـــا على النظام الطبقى الشديد الوطأة ، أما بالنسبة **لمصر الفرعونية** فكـــان الـــنظام الطـــبقى يظهر فقط فى العهود التى كان يسود فيها النظام الإقطاعي ، أما فى العهود التى كان ينتشر فيها النظام الفردى الحر ، كان الـــنظام الطـــبقى يخـــتفى تمامـــا بيـــن أفراد الشعب المصرى حيث كانوا يتســـاوون جميعـــا فى كافة الحقوق عدا طبقة العبيد التى كانت لها بعض الحقـــوق الـــتى تزيد بكثير عن المجتمعات الأخرى ، رغم أن معظم أفراد هذه الطبقة كانوا من الأجانب [١] .

وبذلـــك فـــإذا كانت التفرقة بين أفراد شعب أى دولة فى الحقوق تعتـــبر الآن مـــن أكبر الجرائم الدولية وعلى الأخص بعد صدور الإعلان العـــالمى لحقوق الإنسان فى عام ١٩٤٨م ، إلا أنها فى العصور القديمة الـــتى انتشر فيها نظام تعدد الطبقات لم تكن من قبيل الجرائم الدولية فى نظـــر حكومـــات دول العـــالم القديـــم لأن معظـــم هذه الدول كان نظامها الاجتماعى والقانونى مرتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الطبقى .

---

(١) انظر مؤلفنا : المبادئ العامة لتاريخ النظم والشرائع ١٩٩١ - دار النهضة المصرية - ص ١٧٧ وما بعدها .



المبحث الثالث

نظـــام الـــــرق

****

جميـــع المصـــادر الـــتاريخية تؤكـــد تماما بأن كل أنظمة قوانين مجـــتمعات دول العالم القديم كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بنظام الرق وأن معظـــم أنظمـــة قوانين مجتمعات الدول الشرقية كانت تقرر بعض الحقوق الضـــئيلة لطـــبقة العـــبيد أى كانت تعترف لهم بشخصية حقوقية، وجميع أنظمـــة قوانيـــن المجتمعات الغربية عند الإغريق والرومان كانت لا تقرر مطـــلقا أى حقـــوق لطـــبقة العبيد ، حيث كانت تربط الشخصية القانونية وجـــودا وعدما بحرية الفرد فى المجتمع [١] وعلى أساس أنها كانت تنظر إلى العبد بأنه عبارة عن أداة ناطقة لا شخصية لـــه ويعامل مثل الأشياء التى تباع وتشترى ويجوز لسيدة أن يعذبه إلى حد القتل دون أن يحاسبه أحـــدا ولإيضـــاح ذلـــك نعـــرض باختصار نظام الرق فى أهم المجتمعات الإنسانية التى ظهرت فى العصور القديمة .

---

(١) د. محمـــود الســـقا : معالم تاريخ القانون ١٩٦٨ القاهرة .ص ٣٣٦ وما بعدها .

- د. محمـــد كـــامل يـــاقوت : الشخصية الدولية فى القانون الدولى والشريعة الإسلامية . مرجع سابق . ص ٦٧٦ .

- د. عـــبد المنعم بدر ، د. عبد المنعم البدراوى: القانون الرومانى – القاهرة ١٩٥٣. دار نشر الثقافة . ص ١٧٠ وما بعدها .

أولا - فى مصر الفرعونية :

يؤكد معظم المؤرخين والعلماء بأن طبقة العبيد التى كانت موجودة فى المجتمع المصرى القديم كان لا يوجد من بينها شخص مصرى واحد ، وإنما كان جميع أفرادها من جنسيات مختلفة وأغلبهم كانوا من أسرى الحروب والفتوحات التى قام بها ملوك مصر الفراعنة وعلى الأخص فى عهد الأسرتين الحادية عشر والثانية عشر أى خلال الفترة من (٢١٣٤ - ١٧٨٠ ق ٠م) - وعهد الأسرة الثامنة عشر حتى الأسرة العشرين خلال الفترة من(١٥٧٠- ١٠٩٠ ق٠ م) ، وأنه على الرغم من ذلك ، وقد اعترف القانون الفرعونى ببعض الحقوق للعبيد ، حيث كان للعبد أن يتزوج ويكون أسرة وأولاده ينتسبون إليه ، كما كان له الحق فى أن يتملك وتكون له ذمة مالية مستقلة وأن يمارس الزراعة والصناعة والتجارة دون أن يمثل فى ذلك سيده ، وإنما كان يقوم بها بنفسه ولحسابه الخاص، بالإضافة إلى ذلك أن باب العتق كان مفتوحا أمام أى عبد فى حالة ما إذا قدم عمل جليل فى المجتمع ، أو إذا احتمى بأحد المعابد المقدسة أو صدر حكم من القضاء بناء على شكوى منه أثبت فيها أن سيدة قام بتعذيبه [١] .

ثانيا - بلاد ما بين النهرين (دولة بابل ، ودولة اشور) :

كانت طبقة العبيد الموجودة فى بلاد ما بين النهرين (بابل-

---

(١) د٠ محمود السقا : تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ٠ الطبعة الأولى - ١٩٧٠ ٠القاهرة ٠مكتبة القاهرة الحديثة ص ١٨٥ - ص ١٩٣ ٠

اشور) تتكون من الأفراد الذين ولدوا أرقاء ، ومن أسرى الحرب ، ومن الأشخاص الذين استرقوا بسبب عجزهم عن سداد الديون المستحقة عليهم سواء كانوا مواطنين أو أجانب ، أى كانت هذه الطبقة تشمل مواطنين أو أجانب ، وليست مثل طبقة العبيد التى كانت توجد فى مجتمع مصر الفرعونية وتتكون فقط من الأجانب .

وقد قرر قانون حمورابى الذى يمثل أهم أنظمة قوانين بلاد ما بين النهرين بعض الحقوق للأرقاء، حيث كان للعبد أن يتزوج ويكون أسرة ويتملك ويقوم بالبيع والشراء لحساب نفسه ، وأن يعتق إذا قدم إلى سيدة ثمن يساويه فى الصفات ، كما كان له الحق أن يعترض أمام القاضى إذا أراد سيدة أن يبيعه إلى رجل مشهور بالقسوة وللقاضى أن ينصفه ويقوم بفسخ عقد بيعه إذا تأكد من ذلك .

وبالتالى كان لطبقة العبيد شخصية حقوقية فى مجتمع ما بين بلاد النهرين مثل ما كان متبع فى مصر الفرعونية وإن كانت أقل فى بعض الحقوق حيث كان العبد فى بلاد ما بين النهرين ذكرا أو أنثى يوشم حتى تكون عبوديته ظاهرة بين أفراد المجتمع ، وتبتر بد أى شخص سواء كان طبيبا أو غير ذلك إذا أزال هذا الوشم [١] .

---

(١) د. عبد السلام الترمانينى: محاضرات فى تاريخ القانون. الطبعة الأولى ١٩٦٤ كلية الحقوق . جامعة حلب . مرجع سابق . ص ٥٤

- مؤلفنا. المبادئ العامة لتاريخ النظم والشرائع - مرجع سابق - ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

ثالثا : اليهــود :

كــانت طــبقة العبيد الموجودة فى المجتمع اليهودى ، تمثل أدنى طــبقات المجتمع – وكانت تتكون من الأشخاص الذين ولدوا ارقاء ، ومن أســرى الحروب ، ومن الذين استرقوا كعقوبة تبعية بعد الحكم عليهم فى جرائم السرقة ، ومن الذين عجزوا عن سداد الديون المستحقة عليهم فى الموعــد المحدد إلى أن يقوموا بالوفاء بالدين أو تمضى عليهم مدة ست ســنوات إذا كــانوا مــن بــنى إسرائيل ، أما إذا كانوا من الأجانب فإن استرقاقهم يكون مؤبدا ما لم يقوموا بسداد ما عليهم من ديون .

ففى مرحلة القبيلة التى كان فيها اليهود يعيشون حياة البداوة بعد خــروجهم مــن مصر عام ١٢٢٥ ق.م كان العبد مثل السلعة التى تباع وتشــترى ، ويخضع لسلطات سيدة الذى كان له كل الحقوق عليه ومنها حق الحياة والموت .

أمــا بعد أن دخل اليهود أرض كنعان بفلسطين تحت زعامة يوشع بــن نون وذاقوا طعم الاستقرار لأول مرة فى حياتهم اختلفت النظرة نحو العــبيد فى مرحلــتى القضــاة والمــلوك حيث تمتع العبد ببعض الحقوق (شخصية حقوقية) وأن كان مازال مملوكا لسيدة وله عليه حق التصرف بالبيع أو بالهبة كما يتصرف فى سائر أمواله ومن أهم هذه الحقوق التى تمــتع بها العبد هو أن يتزوج ويكون له أسرة ، وأن يكون لــه بمشيئة سيدة أموال خاصة به وهى الحوزة المالية ، وأن يتمتع بالحرية الدينيــة

ويشترك فى الحفلات الدينية ويتمتع بالراحة يوم السبت ، كما يكون لــه الحــق فى أن يعتق من العبودية إذا لم يحسن سيدة معاملته وقام بتعذيبه أو يضربه بأن فقأ له عينيه أو كسر له زراعه أو رجله مثلا ، وكان السيد يحاكم أمام مجلس الشيوخ إذا قام عمدا بقتل عبده .

ولذلك تميزت شريعة اليهود بالرحمة فى معاملة العبيد مثل ما كان مقررا فى مصر الفرعونية [١] .

رابعا : **الهند القديمة** :

ظهــرت فى المجتمع الهندى القديم طبقة كانت أحط قدرا من طبقة العــبيد فى المجــتمعات الإنسانية الأخرى أطلق عليها طبقة المنبوذين ، وكــانت تــتكون من الأفراد الذين كفروا بالآلهة ، ومن أسرى الحروب ، ومــن الأشــخاص الذيــن ارتكــبوا جرائم أخلاقية وصدرت ضدهم أحكام بضمهم إلى هذه الطبقة كعقوبة لهم ، ومن الأفراد الذين ولدوا من والدين منبوذين – ولذلك كان أغلب أفراد هذه الطبقة من الهنود .

---

(١) د.محمــود الســقا – أبحــاث فى تاريخ الشرائع القديمة – طبعة ١٩٩٣ – القاهرة – دار النهضة العربية – ص ١٨١ .
- د. فخرى أبو سيف . دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية – كلية الحقوق جامعة المنصورة – طبعة ١٩٨١-١٩٨٢ – ص ٢١٥ .
- اندريــة ايمارد ، جانبين أويوايه – تاريخ الحضارات العام – الشرق واليونان القديمة – مرجع سابق ص ٢٧٦ ، ص ٢٧٧ .
- مؤلفنا . المبادئ العامة لتاريخ النظم والشرائع – مرجع سابق – ص ٢٧١ ، ص ٢٧٢ .

وقــانون مانو الذى يمثل أهم أنظمة قوانين المجتمع الهندى القديم لم يعترف على الإطلاق لأفراد هذه الطبقة بأى حق من الحقوق العامة أو الخاصــة ، كما حرم على جميع أفراد الشعب أن يتصلوا بهم أو يتعاملوا معهــم أو حــتى يلمســوهم أى حكــم عليهم بالإعدام الاجتماعى حتى لا يختلطوا بأفراد الشعب [١] ٠

خامسا : الصين القديمة :

طــبقة العبيد التى كانت موجودة فى المجتمع الصينى القديم ، كان معظم أفرادها من اللقطاء والذين ولدوا أرقاء ومن أسرى الحروب، ومن الذيــن صــدرت ضدهم أحكام من القضاء بضمهم إلى هذه الطبقة كعقوبة على ما ارتكبوه من جرائم معينة ٠

ورغــم أن أنظمــة القوانيــن التى ظهرت فى الصين القديمة مثل قــانون الإمبراطور (تش٠ شه٠هوانغ٠تى) الذى صدر خلال الفترة من عــام (٢٢١ – ٢١٠ ق٠ م) ، وقــانون الإمبراطور (وأو– وأو) الذى

---

(١) اندريــه ايمارد، وجانين أوبوايه – تاريخ الحضارات العام٠ الشرق واليونان القديمة – مرجع سابق ص ٥٦٠ وما بعدها ٠

– د٠ عــادل بسيونى: التاريخ العام للنظم والشرائع ٠المرجع السابق ص ٦٠ وما بعدها ٠

– د٠ عبد السلام الترمانينى٠ محاضرات فى تاريخ القانون٠ مرجع سابق ص ٦٤ وما بعدها ٠

أصـــدره فى الفـــترة من عام (١٤ - ٨٧ ق ٠ م) - كانت تعطى بعض الحقـــوق لطـــبقة العبيد ، إلا أن هذه الحقوق كانت ضئيلة للغاية عما كان مقـــرر لطـــبقة العـــبيد فى أنظمـــة قوانين مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين واليهود [١] .

ولذلـــك كان يحدث فى الفترات التى يشتد فيها نفوذ الإقطاع ذوبان كامل لحقوق العبيد ، لأن أمراء الإقطاع كانوا يسخروهم ويعاملوه بقسوة شديدة بعيدة تماما عن كل النواحى الإنسانية حيث اعتبروهم بمثابة (أداة ناطقـــة) وكـــانوا يســـمونهم بالـــنار فى جـــباههم لمنعهم من الأباق ، ويـــربطونهم من أعناقهم عند العمل ، كما كان يحق للسيد أن يقتل عبده كما يقتل حيوانه ، أو يقدمه قربانا للموتى بدلا من الماشية ، وقد جاء فى سجلات (لغة العظام الكهنوتية) أن أحد السادة قد قتل ٢٦٥٦ عبدا مرة واحـــدة فى إحدى المناسبات الطقوسية ، وأن العبيد كانوا يقتلوا إذا مات سيدهم ليدفنوا معه ، وقد كشف فى قبر أحد ملوك أسرة شانغ التى حكمت المجـــتمع الصـــينى من القرن السابع عشر حتى القرن الحادى عشر قبل الميلاد) عن وجود ربعمائة جثة عبد قتلوا من أجل أن يقدموا قربانا لـــه عند وفاته ، وأيضا عندما مات الإمبراطور [تشن٠شه٠ هوانغ دى] فى عـــام ٢١٠ ق٠م تـــم ذبح جميع العبيد الذين كانوا فى قصره ودفنوا معه

(1) R. Grousset . La chine sant et art. Op.cit. PP 45-61.
- M . Granet. La civilisation chinoise.op.cit.PP 44-59.

فى المقبرة التى دفن فيها [١] .

ولذلـك فإنـه على ضوء هذه الأوضاع المشينة التى كانت تحدث لطـبقة العـبيد ، كان العبيد يجابهون هذا الاضطهاد البشع والقسوة التى تدمى القلوب بالإهمال المقصود فى العمل وتخريب أدوات الإنتاج والهرب ، إلى جـانب قيـامهم بثورات دموية عارمة نجحت معظمها فى ضعضعت قوة الحكومة ثم قلبت أنظمة الحكم ، ولهذا فإن معظم سقوط أنظمة الحكم والأسـر التى تعاقبت على عرش الصين كان من نتيجة الثورات التى قام بها العبيد سواء كانوا بمفردهم أو اشترك معهم الفلاحين والعمال وبعض أصحاب الحرف من عامة الشعب [٢] .

سادسا : الحيثيين :

كـانت طبقة العبيد فى المجتمع الحيثى الذى ظهر كدولة قوية فى منطقة شرق جبال الأناضول (بتركيا حاليا) فى القرن السادس عشر قبل الميـلاد ، تـتكون من أسرى الحروب ومن الذين ولدوا أرقاء ومن الذين اسـترقوا بسبب الديون أو صدرت ضدهم أحكام قضائية بضمهم إلى هذه الطبقة .

---

(١) تاريخ الصين ٠ الجزء الأول ٠ مرجع سابق ٠ ص ١٣ ٠

- انظـر مؤلفنا – التاريخ العام لأهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة – مرجع سابق – ص ١٤٠ وما بعدها ٠

(٢) جيـان بـوه تسـان . وشاوشيون تشنغ، وهوهوا– موجز تاريخ الصين ٠ مرجع سابق ٠ ص ١٥ وما بعدها ٠

وحيـث قـد عثر على مجموعتين من القوانين الحيثية فى مدينة رومـة (من المدن الهامة بتركيا حاليا) وضعت على غرار قوانين بلاد مـا بيـن الـنهرين ، ولكن كانت أخف منها وطأة فى العقوبات وخاصة العقوبـات الجسـدية ، فقـد اتضح منها أن طبقة العبيد كانت لها بعض الحقوق فى المجتمع تعادل ما هو مقرر لعبيد بلاد ما بين النهرين ، حيث كـان للعـبد أن يـتزوج ويكون أسرة ، ويحق لـه أن يتملك المنقولات ويكـون لـه بيت يعيش فيه ، وأن يمارس الزراعة والصناعة والتجارة بذمـة ماليـة مستقلة عن ذمة سيدة أى كان للعبيد شخصية حقوقية فى المجتمع الحيثى [١] .

سابعا - الفـرس :

بالـرغم مـن أن نظـم القوانين فى بلاد الفرس كانت شبيهة بل مقتبسـة من نظم قوانين بلاد ما بين النهرين ومصر الفرعونية أى كانت تعـطى طبقة العبيد بعض الحقوق كحق التملك وحق الزواج وحق التظلم للقاضـى ، إلا أنه أمام قسوة واستبداد وطغيان بعض ملوك الفرس كانت هذه الحقوق تضيع أو تدخل فى طئ النسيان وخاصة بالنسبة لعبيد القصر ، حيـث كـان يتم تسخيرهم فى أعمال تفوق بكثير طاقاتهم كما كان يتم تعذيـبهم بقسوة شديدة تصل إلى حد القتل ، وبعض المؤرخين يشير بأن

(١) اندريـه ايمـارد ، وجـانين أوبوايـه – تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق ص ٢٠٣ – ص ٢٠٨ .

السبب فى ذلك يرجع إلى أن معظم أفراد طبقة العبيد فى المجتمع الفارسى كـــانوا من أسرى الحروب الأجانب ، والبعض الآخر يعارض ذلك ويشير بـــأن السبب يرجع إلى الظلم والطغيان الذى اتصف به بعض ملوك فارس مـــثل داريـــوس الأخمينى وابنه الملك احشويروش وليس بسبب أن معظم العـــبيد كـــانوا مـــن الأجـــانب لأنـــه كـــانت توجد مجتمعات أخرى مثل مصـــر الفـــرعونية عـــبيدها جميعا من الأجانب ولم تعاملهم بهذه القسوة والاستبداد [١] .

ونحـــن نرى أن الرأى الثانى هو الصحيح ويتفق مع الواقع الذى كانت عليه مجتمعات العالم القديم ، وما أشتهر به بعض ملوك الفرس من الظلم والقسوة والاستبداد والطغيان .

ثامنا – بلاد اليونان (الإغريق) :

إذا كـــانت بلاد اليونان قد استطاعت بعد صدور قانون صولون فى عـــام ٥٩٤ ق.م أن تزيل النظام الطبقى الذى كان سائدا من قبل، والذى

---

(1)A.T.Olmstead.History Of the Perisan empire. Achaemenid.Period chicago.The University of Chicago press .1948. PP 71-78.

- د. نـــور الديـــن اشـــراقيه- معركة الحياة (الثورة الفكرية العالمية- النضال الـــثورى مـــن أجـــل الوحدة العالمية .طبعة ١٩٧٢ .مطابع دار الكتب ببيروت ص ٢٢١ وما بعدها .

تقــرر فى قانون دراكون فى عام ٦٢١ ق٠م وحققت المساواة التامة بين جميع أفراد الشعب فى الحقوق والواجبات أى إزالة الفوارق بين الأشراف وعامـــة الشعب فى الحقوق العامة والخاصة[1] إلا أنها لم تقرر أى حقوق عــلى الإطــلاق لطبقة العبيد التى كانت تضم اللقطاء ، وأسرى الحروب، والذين استرقوا بأمر من السلطة الحاكمة بل اعتبرتهم مثل الأشياء تماما الــتى تــباع وتشــترى، وقامت بتسخيرهم فى الأعمال التى كانت تفوق طاقــاتهم ، كما كان فى أوقات عديدة يتم تعذيبهم بقسوة شديدة تصل إلى حــد قتــلهم دون مســائلة عن ذلك الأفعال [2] – وعدد العبيد فى المدن الإغريقية كان كبير جدا ، ففى أثينا قد وصل عددهم إلى نحو ثلث السكان ، وفى اســبارطه بلغ نحو نصف السكان – وجميع المدن الإغريقية كانت تعتــبر العــبيد ليس مثل الأحرار فى الطبيعة الإنسانية وأنهم معيار النظام الاقتصـــادى فى دولة المدينة – كأشياء لها قيمة فقط – هذا بالإضافة إلى أن أشـــهر فلاســفة الإغــريق قد أقروا بنظام الرق فمثلا افلاطون قد أقر بشــرعية وجود العبيد . وارسطو قرر بأن العلاقة بين السيد والعبد عدل يتفق مع طبيعة الحياة الإنسانية فى كل دولة [3] .

---

(١) د ٠ صــوفى أبو طالب : مبادئ تاريخ القانون ٠ مرجع سابق ٠ ص ١٤٧ – ١٥٠ .

(٢) د ٠ عــبد السلام الترمانينى ٠ محاضرات فى تاريخ القانون ٠ مرجع سابق ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٣) د ٠ بطــرس بطــرس غــالى ، د ٠محمود خيرى عيسى– المدخل فى علم السياسة – طبعة ١٩٥٨ – مكتبة الإنجلو المصرية – ص ٥٤ وما بعدها .

دكــتور
سمير عبد المنعم أ... العينين
أستاذ فلسفة وتاريخ القا...ن بكلية الشريعة
والقانون ــ جا...ة الأزهر بطنطا
والمحامى بالنقض والإدارية العليا
٠١٢٢٧٩٩٤١٠٣/٤٥٠٢٤٦٢/٢٩٠٤١٥٨

ولهـذا حـدث فى بعـض العهود تذمر واستياء من جانب العبيد تعـبرا عـن سـخطهم ولمجابهـة ما تعرضوا لـه من الذل والاستبداد والطغيان[١] .

وجميـع فلاسفة المدرسة الكلبية التى أسسها ديوجين خلال الفترة من عام (٣٨٠ - ٣٣٠ ق ٠ م) والمدرسة الرواقية التى أسسها زينون خلال الفترة من عام (٣٢٠ - ٢٦٤ ق ٠ م) قد نددوا بالحالة التى كانت عليها طبقة العبيد فى المجتمع الإغريقى وطالبوا بأن ينالوا العتق أو حتى الرحمة والعدل فى معاملتهم باعتبارهم أخوة فى الإنسانية [٢] .

تاسعا - الرومـان :

الأوضاع التى كانت عليها طبقة العبيد فى بلاد الإغريق هى نفسها الـتى كـانت سـائدة فى المجتمع الرومانى حيث تم مساواة جميع أفراد الشعب فى الحقوق العامة والخاصة وفى الواجبات بعد زوال النظام الملكى فى رومـا وظهـور النظام الجمهورى فى عام ٥٠٩ ق٠م وصدر قانون الألواح الأثنى عشر فى عام ٤٤٩ ق ٠م ، إلا أن طبقة العبيد لم تكن لها

---

(١) اندريـه إيمارد ، وجانين أبوايه -تاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونان القديمة ٠ مرجع سابق ٠ ص ٣٣٧ وما بعدها ٠

(٢) أبـو بكـر محمد ذكرى : تيسير فلسفة الأخلاق ٠ الطبعة الأولى ١٩٦٧ ٠ القاهرة ٠ دار التأليف - ص ٢٤ وما بعدها ٠

على الإطلاق أى حقوق داخل المجتمع الرومانى بل كانت مثل الأشياء أو الحيوانات التى تباع وتشترى [١] .

ولذلك كان الرومان الأحرار يعذبون العبيد دون أدنى مسئولية، ويسخروهم بقسوة شديدة فى الأعمال التى تفوق بقدر كبير طاقاتهم ، كما جعلوهم تروس للحروب والفتوحات التى قامت بها روما فى الشرق والغرب حيث كانوا يجرون آلات الحرب الثقيلة لمسافات طويلة وهم مقيدين بالسلاسل الحديدية ، ويمسكون بأيديهم المجاديف بالأيام المتواصلة لدفع السفن والمراكب الضخمة المحملة بالجنود والسلاح فى البحار والأنهار وهم يعذبون بالسياط على ظهورهم [٢] - وترتب على أثر ذلك أن العبد كان لا يجوز له أن يكون أسرة ، ومعاشرته الجنسية كانت لا تعتبر زواجا بل اختلاطا ماديا لا ينتج عنه أى أثر قانونى ، والأولاد الذين يولدون من هذه المعاشرة لا ينسبون للأم ولا للأب ، وإنما هم ملك لسيد

---

(١) د. عبد المنعم البدراوى : تاريخ القانون الرومانى. الطبعة الأولى ١٩٤٨ ، ١٩٤٩م . القاهرة . دار نشر الثقافة ص٦٧ - ص ٧٠ .

- د . محمود سلام زناتى: نظم القانون الرومانى . مرجع سابق. ص ٤٧ - ص ٥٢ .

- د . عمر ممدوح مصطفى: القانون الرومانى. مرجع سابق. ص ١٢٤ وما بعدها .

(٢) اندريه ايمارد، وجانين أوبوايه -تاريخ الحضارات العام - روما وإمبراطوريتها. مرجع سابق. ص ١١٢ وما بعدها .

العبده التى أنجبت ، وكذلك كان لا يجوز للعبد أن يرث أو يورث أو يكتسب حقا أو يلتزم بدين أو يكون له ذمة مالية مستقلة أو يقاضى غيره كمدع أو مدعى عليه أو يتظلم من قسوة سيدة أو تعذيبه لـه – وبالتالى كان الرومان يعاملونهم بقسوة بالغة أسوء من معاملة الحيوانات – بل كانوا يعتبرون الحيوانات أفضل منهم – ولذا قال شيشرون أشهر فلاسفة الرومان فى الفكر القانونى والسياسى [من الأفضل لتخفيف حمل سفينة معرضة للغرق أن نلقى فى البحر بعبد مسن بدلا من حصان جيد] [١] .

وقد استمرت أوضاع طبقة العبيد على هذا الشكل فى الإمبراطورية الرومانية طوال العصور القديمة الباقية حتى سقطت روما وزالت إمبراطوريتها من الغرب على يد (ادواكر) قائد الجرمان فى عام ٤٧٦ م بعد أن تفشى فيها الانحلال الأخلاقي ، والعوامل الغير إنسانية [٢] .

ولذلك كان العبيد فى معظم المجتمعات الشرقية لهم بعض الحقوق وإن كان المجتمع المصرى الفرعونى ينفرد بالصدارة فى ذلك وخاصة أن طبقة العبيد التى ظهرت فيه كانت من الأجانب وليس من بينهم مصرى

---

(١) د . محمود سلام زناتى – حقوق الإنسان فى مصر الفرعونية – دار النهضة العربية – ص ٨١ .

(٢) د . حسن شحاته سعفان . مونتسكيو (سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب) . (غير محدد سنة الطبع) دار النهضة العربية بالقاهرة . ص ١١٢ وما بعدها .

واحد ، أن المجتمعات الغربية عند الإغريق والرومان لم تعطى للعبيد أى حقوق على الإطلاق .

وحيث أن نظام الرق كان مقرر فى جميع الأنظمة القانونية التى ظهرت فى مجتمعات دول العالم القديم ، فإن التفرقة الحادة بينهم وبين عامة الشعب إلى جانب استخدام القسوة والأساليب الغير إنسانية فى معاملتهم، كانت لا تعتبر مثل ما هو مقرر الآن فى أنظمة الدول الداخلية ، والنظام الدولى من قبيل الجرائم الدولية .

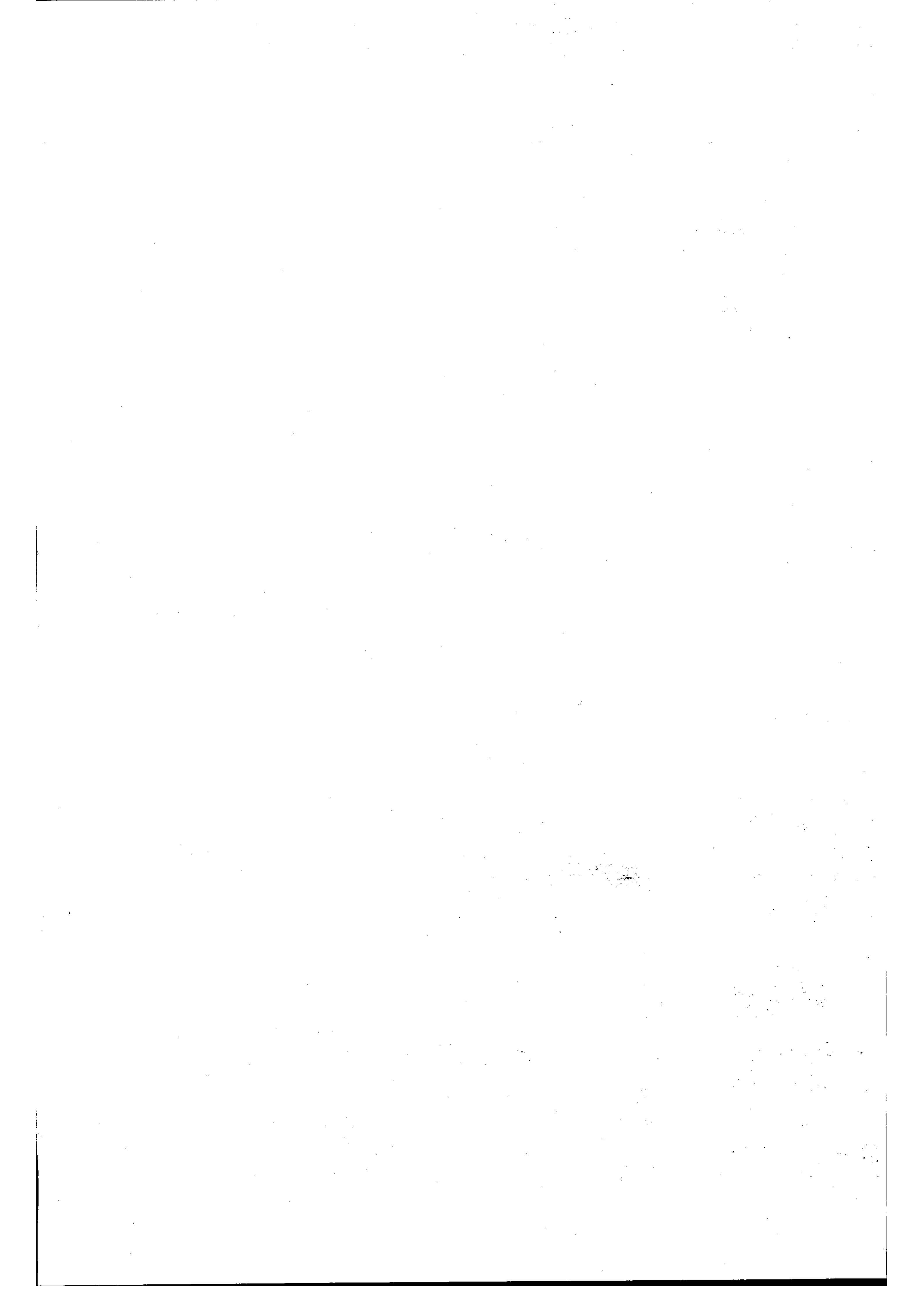
وبناء على ما تقدم فإنه بسبب أنظمة الحكم المطلق وتعدد الطبقات . والرق – التى كانت منتشرة وسائدة ومقننة فى مجتمعات دول العالم القديم ، كانت جميع الجرائم الخاصة بالتفرقة العنصرية وانتهاك حقوق الإنسان وحرياته الأساسية لا تعتبر فى نظر حكومات هذه الدول من قبيل الجرائم الدولية ، رغم الاتجاهات الفلسفية والفكرية التى تصدت لها بعنف خلال تلك العصور ، وسوف نوضح ذلك الباب الثانى .

الفصل الثانى

****

أهم الجرائم العدوانية على حقوق الوحدة البشرية

فى المجتمع الدولى القديم



تقديم:

إذا كـانت الجـرائم العدوانيـة على حقوق الوحدة البشرية التى أفـزعت شـعوب المجـتمعات القديمة وهددت من شراستها أمن وسلامة المجتمع الدولى القديم ، قد أصبحت فى عالم اليوم تتمثل فى الجرائم التى تخـل بأمن وسلامة البشرية مثل العدوان المسلح والنشاط الإرهابي (١) ، والجـرائم التى تخالف قوانين الحرب وعادتها مثل قتل المدنيين والأطفال وسـوء معاملة الأسرى والتنكيل بهم وتدمير المدن والقرى بما لا يبرره ضـرورة الحـرب (٢) ، والجـرائم التى ترتكب ضد الإنسانية مثل التفرقة العنصرية وانتهاك حقوق الإنسان وحرياته الأساسية (٣) .

فإنـه عـلى الـرغم من ارتكاب هذه الجرائم جميعها خلال ازمان العصـور القديمـة ، إلا أن بعضـها فقط قد أخذ صفة التجريم من جانب المجتمع الدولى القديم ، والبعض الآخر والذى يمثل أغلب هذه الجرائم لم يأخذ هذه الصفة للأسباب التى أوردناها فى الفصل الأول، وهى نظام الحكم المطـلق ، ونظـام تعـدد الطبقات ، ونظام الرق حيث كانت هذه الأنظمة

---

(1) Jean Graven : Cours de droit penal international . 1950. Geneve. PP 267- 268 .

(٢) د. حسـنين عـبيد : الجـريمة الدولية . طبعة ١٩٧٩. القاهرة . دار النهضة العربية . – ص ٢٣٤ .

(3) Stanis Law Plawski- Etudes de prinsipes Fondmentaux De droit intemational penal. Paris. 1972. PP 104 – 106.

سـائدة ومقنـنة فى جميـع مجتمعات الدول القديمة التى ظهرت فى تلك العصور ٠

ولكـن نـبين الجرائم التى أخذت صفة التجريم من جانب المجتمع الـدولى القديـم والأسباب التى دفعت إلى استنكارها والتنديد بها ومطالبة معظم الشعوب القديمة بضرورة معاقبة مرتكبيها ، وسنعرض أهم صورها فى هـذا الفصـل اعتمادا على ما توفر لدينا من معلومات تاريخية تتعلق بـالأحداث الـتى تخـص هذه الدراسة على مر العصور القديمة ، ولذلك سنقسم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث على النحو التالى :

المبحث الأول : الحرب الغير مشروعة ٠

المبحث الثانى : قيام دولة بانتهاك أمن واستقرار دولة أخرى

المبحث الثالث : أعمال القرصنة البحرية والسطو البـرى المسلح على مصالح وممتلكات دولة ٠

المبحث الأول

الحـرب الغير مشروعـة

****

بعـض الفقهـاء الذين ينكرون وجود علاقات دولية بالمعنى الفنى الدقيق فى العصور القديمة ، يقررون بأن الحرب بصفة عامة كانت مباحة فى تـلك العصـور ولا تحكمها أى قواعد أو مبادئ قانونية أو أخلاقية ، وفكـرة الحرب الغير مشروعة كانت غير معروفة لأنه نادرا ما كانت دول العالم القديم تلجأ للصلح أو إقامة علاقات ودية فيما بينها نتيجة تمتع كل دولة بحرية كاملة وسلطة مطلقة فى خوض الحروب وارتكاب كافة جرائم الحـرب مثل قتل المدنيين والأطفال والشيوخ والنساء والمرضى ، وتدمير المدن والقرى ، واسترقاق وتعذيب الأسرى أو أبادتهم ، وأن فكرة تجريم الحـروب (الغيـر قائمة على حق الدفاع الشرعى) وما يرتكب فيها من جـرائم الحرب لم تظهر بصفة فعلية وتطبق فى النظام القانونى الدولى إلا منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى [1] .

---

(١) د. محمـد حـافظ غـانم : مبادئ القانون الدولى العام . طبعة ١٩٦٨ . القاهرة . دار النهضة العربية . ص ٤٦ .

- د . محمد عبد المنعم : النظرية العامة للجريمة الدولية . ١٩٨٩ . القاهرة ص ١٤ .
- د . عـلى بدوى : أبحاث فى التاريخ العام للقانون . طبعة ١٩٣٨ . مكتبة نورس بالقاهرة ص ١٠ .

فى الواقــع أن هذا الرأى غير صحيح أو على الأقل لا يمكن الأخذ به على إطلاقه للأسباب التالية :

١ - لــو كــانت الحروب فى العصور القديمة مباحة سواء كانت مشــروعة أو غير مشروعة فإن معنى ذلك إنه كانت توجد فوضى شاملة فى العــالم القديــم لاشــتغاله بصفة دائمة بهذه الحروب ، ولو كان ذلك صــحيح لأنهــت هذه الفوضى على جميع حضارات الشعوب القديمة وفى الحقيقــة أن هــذه الحضــارات مــازالت باقية حتى الآن تبهر عالم اليوم بشــموخها وما تحقق فيها من إنجازات ، وأن هذه الإنجازات قد استفادت منها جميع شعوب العالم فى العصر الحالى والعصور السابقة ٠

٢ - إذا كان العصور القديمة قد ظهرت فيها شعوب مثل الإغريق والــرومان تــدعى بأنها أرقى من الشعوب الأخرى ومن حقها إخضاعها والسيطرة عليها مما أدى إلى كثرة الحروب - فإن كثيرا من الشعوب فى العصــر الحديــث قــد أصــابها ذلك الغرور ، مثل فرنسا على يد نابليون بونابــرت عندما راودته أحلام السيطرة على الشعوب المختلفة فى الشرق والغــرب لإقامة إمبراطورية فرنسية فى أوائل القرن التاسع عشر وخاض بجيوشــه مــن أجــل ذلك حروب عديدة أحتل من خلالها دول فى الشرق ومــزق وقهر معظم الدول الأوربية إلى أن تحالفت ضده وهزمته بعد أن حطمت جيوشه بهزيمة ساحقة فى عام ١٨١٤م ٠

وهتلر خلال النصف الأول لهذا القرن عندما أحس بقوة إلمانيا وتفوقها الحربى ، واعتقد أن الشعب الألماني هو أرقى شعوب العالم وقام بإشعال فتيل الحرب العالمية الثانية التى أنهكت قوى شعوب عديدة فى أوروبا وأسيا وأفريقيا نتيجة الأحلام الكاذبة التى راودته وكانت النهاية تحطيمه بهزيمة ساحقة دمرت كل أحلامه [١] ، فهل معنى ذلك أن الحرب كانت مباحة ، وفكرة الحرب الغير مشروعة كان ليس لها وجود فى القرن الماضى ولا فى النصف الأول من هذا القرن .

٣ – ليس صحيح أن العلاقات الدولية الودية كانت نادرة الوجود بين دول العالم القديم لأن سجلات التاريخ قد أثبتت عكس ذلك وأكدت وجودها فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، حيث عقدت بين هذه الدول معاهدات دولية عديدة فى السلام والصداقة والتآخى إلى جانب معاهدات أخرى خاصة بالتحالف الدفاعى والهجومى وسوف نشير إلى أهمها فيما بعد .

٤ – وأيضا ليس صحيح بأن العلاقات الدولية كانت لا تخضع لقواعد ونظم دولية بالمعنى الدقيق فى العصور القديمة ، لأن المؤرخون والعلماء قد سجلوا اتفاقيات لحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية

---

(1) David Thomson. World History from 1914 to 1950. Oxford University press 1953 . PP 7 – 10, PP 77 – 157

ومعاهدات تضمنت شروط الالتجاء إلى التحكيم ، وإلى نزع السلاح ، وإلى تسليم اللاجئين السياسيين ، وكانت جميعها تستند إلى نظم وقواعد ومبادئ دولية معظمها سائد حتى الآن فى النظام الدولى مثل مبدء الوفاء بالعهد ، وحسن النية فى التعاقد ، والالتزام بالتعويض عن الضرر غير المشروع [١] .

٥ – ليست كل دول العالم القديم كانت لها حرية مطلقة فى إشعال الحروب مع الدول الأخرى لكى تسيطر عليها وتستغل ثرواتها وتسخر شعوبها ، وإنما كانت توجد ضوابط قائمة على توازن القوى مثل ما حدث فى أوروبا خلال القرن التاسع عشر الميلادى من خلال الحلف المقدس والوفاق الأوروبي – كما أن التاريخ أثبت وجود تبادل تمثيل دبلوماسى وقنصلى بين العديد من دول العالم القديم بالإضافة إلى وجود قواعد قانونية كانت تحمى الحقوق الخاصة بالأجانب فى معظم هذه الدول – حيث أن هذه الدول كانت فى معظم أزمان العصور القديمة على اتصال دائما ببعضها ، وأن هذا الاتصال قد ساعد على نهوض حضارات على أكتاف حضارات أخرى مثل الحاضرة الحيثية والفارسية التى قامت على أكتاف

---

(١) د . عبد العزيز سرحان: القانون الدولى العام .طبعة ١٩٧٣ القاهرة . دار النهضة العربية . ص ١١ .

– د . يحيى الجمل: تطور المجتمع الدولى .طبعة ١٩٦٤ .الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر . ص ٢٠ ، ص ٣٥ .

حضـــارة بـــلاد مـــا بين النهرين وحضارة مصر الفرعونية ، والحضارة الغــربية الــتى قـــامت عـــلى دعائم الحضارات الشرقية ، كما ساهم هذا الاتصال أيضا على إقرار نظم وقواعد ومبادئ دولية عديدة أعطت الطابع التاريخى للقانون الدولى العام [١] .

وعـــلى هـــذا الأساس لا يمكن القول بأن الحروب كانت مباحة فى العصور القديمة بصفة مطلقة – وإذا كانت تندلع فى بعض الأحيان لأسباب قد تكون تافه فإن ذلك يرجع إلى الآتى :

١ – العلاقات التى كانت قائمة بين شعوب دول العالم القديم كانت أقــل متانة أى كانت غير وثيقة بدرجة متكاملة مثل علاقات القرن الحالى بســبب صــعوبة المواصـــلات وضعف الإمكانيات التى تدعم توثيق هذه العلاقات بالشكل الذى نراه فى عالم اليوم .

٢– بعــض دول العـــالم القديم كانت لا تتوافر فيها درجات الأمن بصـــفة متكامـــلة بســـبب عدم وجود ترابط قوى بينها أو وجود هيئة أو مـــنظمة تساعدهم على تحقيق ذلك مثل ما يحدث الآن بعد انتهاء الحرب العالميـــة الـــثانية مـــن خـــلال منظمة الأمم المتحدة والمنظمات الأخرى الإقليمية والمتخصصة .

---

(1) E. Swain – A History of World civilization . I. Vol. London . 1947. PP 22 .

٣ – اختلاف الثقافات وطرق التفكير بين شعوب دول العالم القديم كـان يثير فى بعض الأحيان خلافات كانت تتصاعد حدتها بشكل يؤدى إلى إشـعال المنازعات والحروب فيما بينها لكى ينتصر طرف على آخر ليثبت تفوقه الفكرى والثقافى .

وأيضـا لـم تترك الحروب فى العصور القديمة بدون تنظيم وإنما كانت توجد نظم وقواعد تنظمها وتحد من اندلاعها مثل :

١ – فى الحضـارة الهـندية القديمة كانت توجد فيها نظم وقواعد قانونيـة تمـنع الحاكم من أن يشن الحرب لمجرد التوسع الإقليمي ، كما ألزمته هذه النظم بأن يسبق بدء الحرب القيام بمدولات ومشاورات بحيث لا يقررها إلا لأسباب خطيرة .

٢ – فى الصـين القديمة كان للحرب نظاما قانونيا بحيث لا يمكن أن تقـوم إلا بيـن الدول المتساوية فى القوة ، كما كان لا يجوز أن تقوم الحرب بين الدولة والوحدات المعتمدة عليها ، ولا بيـن الأقاليم الصينية المختلفة [١] .

---

(١) د . حـامد سـلطان : القـانون الـدولى العام فى السلم – طبعة ١٩٧٢ ، القاهرة ، ص ٧٦٤ وما بعدها .

– اندريه ايمارد . وجانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سبق . ص ٥٣٧ وما بعدها .

٣ - العهد القديم لبنى إسرائيل قد ميز بين الحروب الإرادية التى تشن بقصد التوسع الإقليمى والحروب الإلزامية التى تشن ضد عدو يهاجم إسرائيل ، وحرم الأولى وأجاز الثانية ، أى جعل الحروب الإرادية غير مشروعة ، والحروب الإلزامية مشروعة باعتبارها حق دفاع شرعى .

٤- فى نظم قوانين الحضارة المصرية القديمة وحضارة بلاد من بين النهرين كانت لا تجيز الحروب إلا من أجل الدفاع عن الوطن ومصالحه العليا (١) .

٥ - أما فى الحضارة اليونانية ، فإن معظم الفلاسفة والمفكرين الذين ظهروا فيها كانوا يدينوا الحرب من أجل التوسع الإقليمى ، كما أن المدن اليونانية المستقلة مثل أثينا واسبارطة كانت دائما تبدى أسبابا لقيامها بالحرب أغلبها يتصل بالدفاع الشرعى وكان عدم إبداء هذه الأسباب ، يسبب التزام المدينة بالتعويض ، ولقد كان للتقارب فى الثقافة بين هذه المدن أثره الكبير فى قيام التحكيم بينها ، وفى عقد العديد من معاهدات السلام التى أبرمت بينها كما سنرى فيما بعد .

---

(١) د . حامد سلطان : القانون الدولى العام فى السلم - طبعة ١٩٧٢ ، القاهرة . ص ٧٦٥ وما بعدها .

- اندريه ايمارد ، وجابين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق . ص ٥٣٨ وما بعدها .

٦ - فى الحضارة الرومانية كان الفقهاء يجيزون فقط الحروب المشروعة وهى تلك الحروب التى تبدأ وفقا للقانون الوضعى وبموافقة النقباء وكانت موافقة هؤلاء لا تنصب على عدالة أو عدم الحرب ، وإنما على اتباع نظم وشكليات قانونية لشنها كالإعلان مثلا عنها ، وقد عالج فيلسوف الرومان شيشيرون قضية الحروب المشروعة ، ورأى إنها لا تكون كذلك إلا إذا سبقها طلب رسمى للترضية أو إذا سبقها إنذار رسمى ، هذا بالإضافة أن محاولات الفقه الرومانى لخلق نظرية أخلاقية للحرب كان لـه تأثير فعال على رجال القانون الكنسى الذين أخذوا مصادر قانونهم من القانون الرومانى [١] .

ولكى نقطع الشك باليقين فى هذا الموضوع ونبين بأن الحروب فى العصور القديمة لم تكن مباحة بصفة مطلقة ، وأن فكرة الحرب الغير مشروعة كانت معروفة بين دول العالم القديم ، سنعرض بعض صور من الأحداث التى تمت فى تلك العصور ، وذلك على النحو الآتى :

* اندلعت بين مملكتى مصر والحيثيين حروب طاحنة فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد بسبب دفاع مصر عن أراضيها ومصالحها فى الشام وادعاء الحيثيين بأن قوة ونفوذ مصر فى منطقة الشرق الأوسط

---

(١) د . جعفر عبد السلام: مبادئ القانون الدولى ،مرجع سابق ، ص ٧٩٥ .

كـــانت تهدد كيان مملكتهم فى آسيا الصغرى ، وقد دامت هذه الحروب ما يقـــرب مـــن عشـــرين عامـــا ، ومن أهم ملاحمها الفاصلة معركة قادش (مديـــنة فى ســـوريا) الـــتى أنهت تلك الحروب بانتصار ساحق للجيش المصـــرى بقيـــادة الملك [رمسيس الثانى] على جيش الحيثيين وقائدهم الملك [خيا تيسير] .

وبعد أن حملت مصر الحيثيين مسئولية هذا الاعتداء ، أرسل ملك الحيـــثيين خيا تيسير وفدا من أخلص رجاله إلى الملك [رمسيس الثانى] لطـــلب الصلح ، وعقد معاهدة تحالف وسلام وتآخى بين شعبى المملكتين من أجل حقن الدماء ووضع حدا للمنازعات والاقتتال بينهما .

لـــم يـــرفض الملك رمسيس الثانى ذلك العرض بل أرسل مع هذا الوفد الموافقة والتأييد للصلح ولعقد هذه المعاهدة ، وبمجرد وصول أفراد الوفـــد لبلادهم وهم يحملون بين أيديهم وثيقة الموافقة المبدئية قام على الفـــور المـــلك خيا تيسير بعقد هذا الصلح مع الملك [رمسيس الثانى] ، كمـــا تـــم عقـــد معاهدة تحالف وسلام وتآخى بين الشعبين المصـــــرى والحيثى فى عام ١٢٨٠ ق٠م ، وسميت بمعاهدة هوزيليت واعترفت بها معظم دول العالم القديم فى ذلك الوقت ، وكان من أهـــم نصوصها أن يتم ســـلام وتـــآخى بيـــن شعب مصر وشعب الحيثيين إلى الأبد ، وأن تحترم كـــل مـــن المملكـــتين سيادة الأخرى وألا تعتدى إحداهما على الأخرى ، وأن تساند كل منهما الأخرى فى الدفاع إذا تعرضت للاعتداء من جيـــوش

أجنـــبية [١] وبالطـــبع لو كانت الحروب مباحة بصفة مطلقة ما كان يوجد داعى لعقد هذه المعاهدة التى مازالت حتى الآن تعتبر من أفضل معاهدات السلام التى عقدت فى تاريخ البشرية ·

* كانت **بــلاد ما بيــن النــهرين** قبل قيام دولة بابل واشور مقسمة إلى مـــدن مســـتقلة وذات قوة وسيادة وكانت كل واحدة منها تطلق على نفســـها دولة ، فحدث فى عام ٣١٠٧ ق ·م خلافات ومنازعات حادة بين دولـــة (لاجـــاش) ودولة (أما) أدت إلى إشعال الحرب بينهما ، وهذه الحـــرب اســـتمرت سبع سنوات وانتهت بانتصار جيش دولة (لاجاش) بقيـــادة المـــلك (اناتيم) على جيش دولة (أما) ، وعندما حملت دولة

---

(١) د · عـــبد العزيز سرحان : القانون الدولى العام · مرجع سابق · ص ٨٦ – ص ٨٨ ·

– د · أحمـــد ســـويلم العمـــرى : أصول العلاقات السياسية الدولية – ١٩٥٩ القاهرة · مكتبة الأنجلو المصرية · ص ٤٥ ·

– د · سليم حسن : مصر القديمة · طبعة ١٩٤٧ القاهرة · مطبعة دار الكتب · الهيئة المصرية العامة للكتاب · ص ٢٤٣ وما بعدها ·

– د · فـــتحية النـــبراوى ، د · محمـــد نصـــر مهنا ، د· درية شفيق: تطور العلاقـــات السياســـية طبعة ١٩٨٤· مطبعة مصنع الكراس بالإسكندرية ص ١٩ وما بعدها ·

– انظـــر مؤلفنا – العلاقات الدولية فى العصور القديمة – طبعة ١٩٨٩ – دار النهضة المصرية ص ٢٤ – ٣٣ ·

(لاجاش) مسئولية اندلاع هذه الحرب على دولة (أما) طلب ملك دولة (أما) الصلح وعقد معاهدة سلام ، ووافق على ذلك ملك دولة (لاجاش) ، وبعد المفاوضات التى تمت بينهما عقدت هذه المعاهدة فى عام ٣١٠٠ ق ٠ م وتضمنت نصوص عديدة أهمها يتلخص بأن يسود سلام دائم بين الدولـتين وإلا تعـتدى أحدهما على الأخرى ، وأن تتعهد كل من الدولتين بحل المنازعات التى قد تثور بينهما فى المستقبل بالطرق الودية أو ترفع للتحكيم إذا لم يتم إنهاء النزاع بالتفاهم الودى [١] ٠

وأيضا لو كانت الحرب مباحة بصفة مطلقة فى العالم القديم كان لا يوجد داعى على الإطلاق لعقد هذه المعاهدة ٠

---

(١) د٠ صلاح الدين عامر : مقدمة لدراسة القانون الدولى العام ١٩٨٤ القاهرة ٠ دار النهضة العربية ٠ ص ١٤٠ ٠

- د ٠ حسنى محمد جابر: القانون الدولى العام ٠ طبعة ١٩٧٣ ٠ دار النهضة العربية ص ٤٢ ، ص ٤٣ ٠
- د ٠ محمد طلعت الغنيمى: الأحكام العامة فى قانون الأمم ١٩٧٠ ٠ منشأة المعارف بالإسكندرية ٠ ص ٤٠ ٠
- د٠ على صادق أبو هيف : القانون الدولى العام ١٩٧٥ ٠ منشأة المعارف بالإسكندرية ٠ ص ٣٤ ٠
- انظـر مؤلفنا – العلاقات الدولية فى العصور القديمة– مرجع سابق – ص ٥٣ – ٥٥ ٠

* بعـد أن فشـل الإســكندر الأكبر فى احتلال الهند وضمها إلى الإمــبراطورية الإغــريقية التى كان يحلم بها فى عام ٣٢٧ ق٠ م حيث هزمت جيوشه على الحدود الهندية وفرت إلى الخلف نحو بابل ، وحملت الحكومـــة الهندية فى ذلك الوقت الإسكندر الأكبر مسئولية هذا الاعتداء ، فما كان من الإسكندر الأكبر وقواده إلا أن طلب الصلح وتعهد بعدم تكرار ذلك ، وبعد أن قبلت الهند هذا الصلح ، قام بينهما وبين الإغريق علاقات دبلوماســية وطيدة وواسعة النطاق حيث أرسل الإغريق بعثة دبلوماسية يرأسها سفير يدعى (ميجاستين) إلى الهند كما قامت الهند بإرسال بعثة مماثـــلة إلى أثيـــنا – وبالتالى لو كانت الحروب مباحة كان لا يوجد داعى على الإطلاق أن يطلب الإسكندر الأكبر الصلح مع الهند ٠

وكان أيضا لا يوجد داعى لإقامة علاقات دبلوماسية وطيدة وواسعة النطاق بين الهند والإغريق [1] ٠

---

(1) L.Bach Hofer, Early indian sculptue, 2 vol , Paris, 1929, P 91.

- د٠ حسن محمد جوهر ، د ٠ محمد مرسى أبو الليل : شعوب العالم ، الطبعة الأولى ١٩٦٥م القاهرة ٠ دار المعارف ٠ ص ٢٠ وما بعدها ٠
- اندريه ايمارد ، وجانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونان القديمة مرجع سابق ٠ ص ٦١٠ وما بعدها ٠
- انظــر مؤلفنا : البعد الأخلاقي لقانون العلاقات الدولية– طبعة ١٩٨٨ – دار النهضة المصرية ص ٥١٣ ، ص ٥١٤ ٠

* فى الفـــترة الـــتى كانت فيها الصين القديمة مقسمة إلى ممالك مســتقلة وذات ســيادة ، حدثـــت بيـــن تلك الممالك حروب دامية بسبب المـــنازعات عـــلى الحدود ومحاولة كل مملكة توسيع نطاق سيادتها على حســاب الممـــالك الأخـــرى ، حتى تكون لها الغلبة والبقاء أمام الصراع والتـــنافس الـــذى كـــان دائـــر بين هذه الممالك ، من أجل فرض النفوذ والاســـتيلاء على عرش المجتمع الصينى ، وحيث استمرت هذه الحروب ســـنين طويـــلة ألحقت بهذه الممالك خسائر فادحة فى الأرواح والموارد المختـــلفة ، فقـــد قام دعاة السلام فى تلك الممالك بالدعوة إلى وقف هذه الحـــروب الطاحـــنة وعقد مؤتمر دولى يحضره حكام هذه الممالك لتسوية المـــنازعات والخلافـــات التى بينهما ووضع حد لهذه الحروب المستمرة ، وبعـــد مباحـــثات ومناقشات بين دعاة السلام وحكام الممالك المتحاربة تم الاتفاق على اختيار وادى (يانجستى) ليعقد فيه هذا المؤتمر .

وأثـــناء انعقـــاد هـــذا المؤتمر قرر جميع الحاضرين فيه أن أفضل وسيلة لمنع الحروب وتحقيق سلام دائم بين الممالك بعد تسوية المنازعات والخلافـــات الـــتى بينها هو نزع الوسيلة التى تساعد على قيام الحروب وتســـتخدم فى الفـــتك بـــالأرواح وإلحـــاق الخسائر والدمار فى المناطق المعمورة وهى الأسلحة ، وبالفعل تم الاتفاق بين جميع حكام هذه الممالك عـــلى هذا المبدأ بعد أن تم الصلح بينهم ووقعوا على معاهدة نزع السلاح لـــتكون خيـــر ضـــمان لعدم قيام حروب بينهم مرة أخرى ، وسميت هذه المعاهدة (بمعاهدة وادى يانجستى) وتم إبرامها فى عـــام ٦٠٠ ق.م ،

وهى تعتـــبر أقـــدم معـــاهدة تم فيها الاتفاق على نزع السلاح فى السجل الـــتاريخى للأســـرة الدوليـــة ، حيث حققت سلاما دائما لمدة مائة عام ، ولجـــأت كـــل مملكة إلى التفاوض والوساطة والتحكم لحل أى نزاع يثور بيـــنها وبيـــن أى ممـــلكة أخـــرى بدلا من الحرب [١] ، وبالتالى لو كانت الحروب مباحة كان لا داعى مطلقا لعقد هذه المعاهدة .

* فى الفـــترة الـــتى كـــان فيها بلاد اليونان تتكون من عدة مدن مســـتقلة وذات ســـيادة مـــثل أثينا واسبارطة وبتر أوبولونى ، وكانت كل مديـــنة تشـــبه المملكة أو الدولة تماما ، وازدهرت فى هذه المدن أنظمة الحكـــم المختلفة كدليل عن استقلال كل مدينة عن الأخرى ، كان يوجد فى بعـــض الفـــترات تنافس وصراع شديد بين أثينا ذات الحكم الديمقراطى ، وإســـبارطة القائمـــة على حكم الالجركية ، وكانت كل منها تحاول تدعيم قوتهـــا بضـــم المدن الأخرى إليها كحلفاء ، ومع ازدياد هوة هذا التنافس والصراع يوما بعد يوم حدثت بينهما حروب طاحنة ومدمرة ، ضاعت فيها

---

(١) د . حسنى محمد جابر: القانون الدولى العام . مرجع سابق . ص ١٥٦ .

- د . أحمد سويلم العمرى : أصول العلاقات السياسية الدولية . مرجع سابق . ص ٤٦ .

- Andre Cades. Le desarment devant la societe des nations, Paris. 1929, P 2 .

- انظـــر مؤلفـــنا : التاريخ العام لأهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة - مرجع سابق - ص ٥٢٢ ، ص ٥٢٣ .

استقلال بلاد اليونان وهى ما تسمى بالحروب البيلويونيزية التى استمرت عشــر سنوات من عام ٤٣١ ق٠ م إلى عام ٤٢١ ق٠ م ، وانتهت بعقد معاهدة صلح تعتبر من قبيل المعاهدات الدولية للسلام فى العصر الإغريقى ســميت بمعــاهدة (نيكيــاس) عام ٤٢١ ق ٠ م ، حيث تم الاتفاق بين الطــرفين عــلى وقف القتال وعلى أن يستمر الصلح بينهما لمدة خمسين عامــا [١] فلو كانت الحروب مباحة بصفة مطلقة فكان لا يوجد داعى لعقد هــذه المعاهدة التى التزم فيها الطرفين على وقف القتال وعلى أن يسود بينهما سلام دائم لمدة خمسين عاما ٠

* فى عــام ٢٠٢ ق٠ م قامت حرب طاحنة بين روما ومدينـــة (قــرجاطة *) المستقلة ، وعندما شعرت قرطاجة بأن الهزيمة ستلحق

---

(١) اندريه ايمارد ، وجانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونان القديمة مرجع سابق٠ ص ٣١٣، ٣١٦، ٣١٧ ، ٣٤٨ ٠

- د٠ أحمــد سويلم العمرى : أصول العلاقات السياسية الدولية ٠ مرجع سابق ٠ ص ٤٧ ٠

انظــر مؤلفــنا : العلاقــات الدوليــة فى العصور القديمة – مرجع سابق – ص ٩٣ ٠

* هى مديــنة تقع الآن فى إسبانيا تأسست كمدينة مستقلة ذات قوة وسيادة بأســم (قــرطاجة الجديــدة) فى القــرن الثالث قبل الميلاد نسبة إلى مدينة قــرطاجة القديمــة الــتى تأسست بأسم (قرت حدشت) فى عام ٨١٤ق٠م منطقة تقع بين بحيرة تونس وهضبة بيرسا وهى من ضواحى تونــس حاليا وتعرف باسم ضاحية سان لويس ٠

بهـــا وتسحق جيوشها طلبت من قادة جيوش الرومان وقف القتال وإبرام معاهدة صلح ، إلا أن هؤلاء القادة لم يوافقوا على ذلك إلا بشرط أن تعلن قـــرطاجة استسلامها مع نزع ما تحمله قواتها من سلاح – وإمام ضراوة المعـــارك قبـــلت قرطاجة هذه الشروط وتم على الفور إيقاف القتال وعقد معاهدة صلح بين الطرفين فى عام ٢٠١ق ٠ م [١] .

وأيضـــا لو كانت الحروب مباحة بصفة مطلقة ولا تحكمها أى نظم أو ضوابط، لاستمرت روما فى القتال وسحقت قرطاجة بجيوشها ولم تقبل وقف القتال بهذا الصلح وإن كان مشروط لصالحها ٠

وبالـــتالى لم تكن الحرب مباحة بصفة مطلقة فى العصور القديمة وإنما عرفت فى تلك العصور الحرب المشروعة وهى التى كانت تقوم بها الـــدول للدفاع عن أراضيها أو مصالحها العليا ، والحروب الغير مشروعة وهى التى كانت تشن بهدف السلب أو النهب أو الاستيلاء والفتح لتوسيع إقـــليم الدولـــة المعـــتدية وأن **النوع الأول** وهى الحرب المشروعة كانت مـــباحة لاعتـــبارها مـــن قـــبيل اســـتخدام حـــق الدفـــاع الشـــرعى ٠

---

(١) اندريـــه ايمـــارد . وجـــانين أوبوايـــه : تـــاريخ الحضـــارات العام ٠ روما وإمبراطوريتها- مرجع سابق ص ٦٤ وما بعدها ٠

- مؤلفـــنا – البعد الإخلاقى لقانون العلاقات الدولية- مرجع سابـــــــــق – ص ٥٦٢ ٠

أما النوع الثانى وهى الحرب الغير مشروعة فكانت فى تلك العصور من قـــبيل الجــرائم العدوانية على المجتمع الدولى القديم وهى ما تعرف الآن بمصـــطلح جــرائم السلام التى تعد حسب التقسيم الثلاثى للجرائم الدولية الـــذى أقـــرته الجمعيـــة العامة للأمم المتحدة ٠ النوع الأول من الجرائم الدولية التى تتمثل فى العدوان المسلح ٠

المبحث الثانى

قيام دولة بانتهاك أمن واستقرار دولة أخرى

****

شهد العالم القديم حوادث ومؤامرات عديدة ارتكبت من إحدى الدول لزعزعة الأمان والاستقرار داخل إقليم دولة أخرى ، وكان يترتب على ذلك إما انهيار كيان هذه الدول فى الداخل ، أو سقوط نظام الحكم فيها ، أو صمودها والتغلب على هذه المشاكل ومواجهة الدولة التى هتكت أمنها واستقرارها ، أما بحرب واسعة النطاق ، أو بعمل إنتقامى محدود [١] .

وهذه الأفعال كانت تعتبر من أخطر العوامل التى كانت تعكر صفو العلاقات بين دولتين ، أو أكثر فى العصور القديمة ، وترجع أسبابها إلى تحقيق أغراض عديدة أهمها يتلخص فى الآتى :

أولاً : الرغبة فى الفتح واحتلال إقليم الدولة :

ويحدث ذلك عندما تقوم دولة بإضعاف الكيان الداخلى لدولة أخرى من خلال إثارة الفتن والاضطرابات والاغتيالات والثورات التى تنهك جبهتها الداخلية من أجل أن تنقض عليها وتحتل إقليمها

---

(1) J.G.Venezia. La nation de represailles endroit intemational public. Rgdip 1965. PP 464 – 466 .

بسهولة ، وذلك بدلا من قيامها بشن حرب عليها وهى بكامل قواها وتكون أمام احتمالين :

الأول : أن تفشل فى احتلالها وتنال هزيمة ساحقة قد تقضى على قوتها العسكرية .

الثانى : أن تنجح فى فتحها ولكن بعد أن تتكبد خسائر فادحة فى قواتها ومعداتها الحربية نتيجة المقاومة التى تقوم بها هذه الدولة قبل أن تسحق بالهزيمة وتستسلم باحتلال أراضيها ، وهذا قد حدث مرات عديدة فى العصور القديمة ، وذلك مثل :

- بعد أن قتل الملك (اختاتون) عام ١٣٥٨ ق . م من أثر الاضطرابات الداخلية التى إشعلها كهنة أمون - قامت زوجته الشابة (نفرتيتى) بإرسال خطاب سرى إلى ملك الحيثيين (شوبيليو ليوجا) تطلب منه أن يرسل إليها أحد أبنائه لتتزوجه حتى تتمكن من خلال جيش الحيثيين أن تحتفظ بالعرش - وحيث كان ملك الحيثيين يرغب فى احتلال مصر ، فقد انتهز هذا المناسبة والتوتر السياسى الذى كان موجود فى مصر ويقوم باحتلال إقليم مصر بدون حرب ، ولذا قام بالفعل بإرسال أحد أبنائه ليتزوجها ويصبح ملكا على مصر - إلا أن قادة الجيش المصرى قد اكتشفوا هذه المؤامرة ودبروا كمين لهذا الابن فى الطريق قبل أن يصل إلى الحدود المصرية وقتلوه بعد أن سحقوا القوات المحدودة التى كانت ترافقه ، وفشلت بالتالى هذه المؤامرة واتهم الحيثيون مصر بأنها هى

التى دبرت قتل ابن الملك ، واعلنوا (كما جاء فى الوثائق التى عثر عليها فى الإناضول) الحرب عليها [١] .

* وأيضـــا عندما رغب ملك الحبشة (شاباكا) احتلال إقليم مصر الفــرعونية خـــلال الفــترة من (عام ٧١٧ - ٧١٢ ق٠ م) ولم يتمكن لضـــعف قوتـــه العسكرية أمام قوة الجيش المصرى فى ذلك الوقت ، فقام باتخاذ هذا الأسلوب الدنئ حيث اتفق مع بعض المعارضين لسياسة الملك المصرى (بوكخرويس) الذى يعتبر من أشهر المشرعين فى العالم القديم ، لإثارة الفتن والاضطرابات وإشعال ثورة ضد نظام حكمه فى كافة أنحاء الإقـــليم المصرى لزعزعة سلطات حكمة للبلاد ، وبعد أن تحقق ذلك وتم إشـــاعة الفوضـــى وعدم الأمان والاستقرار فى معظم أرجاء الإقليم وفشل المـــلك (بوكخوريس) فى السيطرة عليها وخاصة أن بعض كهنة أمون كـــانوا مـــن ضمن المتحالفين ضده، تمكن الملك الحبشى (شاباكا) من دخول مصر بدون أى جهود حربية وقتل الملك المصرى (بوكخوريس) ، وجـــلس على عرش مصر واعتبره المؤرخين بأنه من أول الملوك الذين أسســـوا الأســـرة الخامسة والعشرين فى تاريخ مصر الفرعونية فى عام ٧١٢ ق٠م ٠

---

(1) Ralph linton – TREE OF culture – Port 1 – 1955 – New york – PP 246 ets .

* وكمـا فعـل (شاباكا) الحبشى ، قام الأشوريين أيضا بارتكاب نفـس الأسـاليب الدنيـئة واحتلوا مصر فى ٦٧٠ ق ٠ م إلى أن تمكن شـعب مصـر مـن طـردهم بقيادة الملك (بسماتيك الأول) الذى جلس عـلى عـرش مصر بعد ذلك وأسس الأسرة السادسة والعشرين فى عام ٦٦٣ ق٠م[١] .

ثانيا : الرغبة فى زعامة المنطقة :

ويحـدث ذلك عندما توجد أكثر من دولة فى منطقة واحدة ويكون بيـنهما تنـافس وصراع شديد من أجل أن تتزعم إحداها سيادة المنطقة سياسيا ، فتقوم إحدى هذه الدول التى تملك الإمكانيات أو القدرات بارتكاب الأسـاليب الدنيئة مثل إثارة الفتن والاضطرابات والاغتيالات والثورات فى أقـاليم الـدول الأخرى المجاورة لها ، أو فى إقليم أكبر دولة تنافسها فى تحقيـق أغراضها ، وذلك من أجل زعزعة الأمان والاستقرار فى الداخل وإربـاك السـلطة الحاكمـة وجعـلها غيـر قادرة على ممارسة سيادتها

---

(1) D.Kahn, Scientists of Cade Analysis Civilized study. New York. 1966. PP 113 – 116 .

- د ٠ محمـود السـقا : تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ١٩٧٠م ٠ مكتبة القاهرة الحديثة ص ٢٧ وما بعدها ٠
- اندريه ايمارد . وجانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونان القديمة – مرجع سابق – ص ٦٥ وما بعدها ٠

الخارجيـــة فى المـــنطقة بنفس القوة التى كانت عليها من قبل ذلك [١] ـ وهذا قد حدث مرات عديدة فى العصور القديمة مثل :

* عـــندما كـــانت بـــلاد اليونان مقسمة إلى مدن مستقلة ، وكان التـــنافس شـــديد بين أثينا وإسبارطة حيث كانت كل منهما ترغب فى أن تتســـيد المـــنطقة الـــتى تـــتمركز فيها المدن اليونانية المستقلة . وكانت إسبارطة أشد ولعا لذلك نتيجة قيامها على حكم الطبقة الإرستقراطية التى كـــانت تمثل الأقلية وهو ما يطلق عليه نظام الأوليجاركية ، فى حين كانت أثيـــنا تتـــبع نظـــام الحكـــم الديمقراطي ٠ وحيث أن إسبارطة كانت لديها إمكانيـــات وقـــدرات في إثـــارة الفتن والاضطرابات والاغتيالات وإشعال الثورات فى الأقاليم المختلفة تفوق المدن اليونانية الأخرى ، فكانت دائما تـــرتكب مثل هذه الأفعال داخل إقليم أثينا حتى تنهك قوتها وتشل سلطاتها الخارجية ، لأن أثينا كانت تملك قوة عسكرية أكبر من إسبارطة ٠ ٠وإمام تـــزايد هـــذه الأفعـــال وانكشافها مرات عديدة حدث صدام وحروب مدمرة بيـــنهما انـــتهت بكارثة شاملة لأثينا حيث منى إسطولها وجيشها هزيمة ســـاحقة فى معـــركة(سرقسة) عام ٤١٣ ق٠ م مما أدى إلى إستسلامها وإذلالهـــا من جانب إسبارطة التى تزعمت بعد ذلك منطقة الأمة اليونانية

---

(1) D. Kahn, Scientists of Cade Analysis Civiliwed study York. 1966. PP 140 – 142 .

فترة تزيد عن خمسون عاما [1] .

* وأيضا عندما كانت الصين القديمة مقسمة إلى ممالك مستقلة ، وكـان يحـدث بيـنهما تنافس شديد من أجل أن تتسيد إحداهما المجتمع الصـينى ، تمكـنت مملكة تشين من خلال إرتكاب هذه الأساليب ، وعلى الأخـص إثـارة الثورات أن تنهك قوى الممالك الأخرى لكى تدعم نفوذها وسـطوتها حـتى إستطاعت بعد ذلك من إبتلاع هذه الممالك والتى كانت تمـلك القـوة مـن قبل وهى (تشى ، هان ، وى ، تشو ، تشاو ، يان) وتسـيطر عـلى معظم أرجاء المجتمع الصينى (وتنشأ أول إمبراطورية فى تـاريخ الصـين) عام ٢٢١ ق ٠ م بزعامة (تشن ، شه ، هوانغ ، تى) الـذى يعتـبر أول إمـبراطورية حكم المجتمع الصينى فى العصور القديمة [2] .

---

(١) اندريـه ايمـارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام٠ الشرق واليونان القديمة – مرجع سابق ٠ ص ٣١٣ – ص ٣١٧ ٠

- جورج سارتون : تاريخ العلم٠الجزء الثانى ٠نيويورك ١٩٥٢ ترجمة لفيف من العلماء بإشراف لجنة مؤلفة من د ٠براهيم بيومى مدكور ، د ٠ محمد كـامل حسـين ، د٠ قسـطنطين زريق ، د ٠ محمد مصطفى زيادة٠ الطبعة الثانية ١٩٧٨ ٠القاهرة – دار المعارف المصرية ٠ص ١٧٤ ٠

(٢) جيـان بـوه تسان. شاوشيون تشنغ ، هوهوا٠ موجز تاريخ الصين٠مرجع سابق ص ١٧ ، ص ١٩ ٠

تاريخ الصين – الجزء الأول ٠ مرجع سابق ٠ ص ٣٠ ، ص ٣٦ ٠

ثالثا – خوف دولة من قوة دولة أخرى تتحفز لاحتلالها :

ويحـدث ذلـك عـندما توجد دولة قدراتها العسكرية والاقتصادية ضعيفة بالنسبة لدولة أخرى تتحفز للانقاض عليها والسيطرة على إقليمها فـتقوم هـذه الدولـة آخذ بمبدأ الهجوم خير وسيلة للدفاع بارتكاب هذه الأسـاليب بإشـعال الفتن والاضطرابات والاغتيالات والثورات داخل إقليم الدولة القوية بواسطة أعوانها من أجل أن قواها فى الداخل وتجعلها فى حالـة ارتباك مستمر يشغلها عن التفكير أو الاستعداد لخوض أى عمليات فى الخارج – أى تشل حركتها وتهمد عزيمتها فى الانقضاض عليها أو إذا قـامت بذلـك تكـون قوتهـا العسكرية منهكة من أثر انشغالها المستمر فى إخمـاد المشـاكل الداخـلية ويسهل بالتالى على هذه الدولة أن تدافع عـن كيانهـا وترد العدوان بانتصار يحمى مصالحها العليا ويمنع احتلال أراضيها ، وهذا الأسلوب قد حدث أيضا مرات عديدة فى العصور القديمة مثل :

*عـندما كـانت دولـة الحيـثيين فى بداية ظهورها خلال القرن السـادس عشر قبل الميلاد تهاب من مملكة مصر ومملكة بابل حيث كانت المملكتين يمثلان أكبر قوة فى منطقة الشرق الأوسط ، وتخشى أن تنقض عـليها مصـر أو بابل وتحتل أراضيها ، ارتكبت هذه الأساليب الدنيئة فى داخل المجتمعين المصرى والبابلى حتى تشغل ملوك المملكتين عن التفكير فى احـتلالها وبالفعل استطاعت دولة الحيثيين أن تستمر وتزيد من قوتها ومساحة أراضيها بضم قرى ومدن عديدة إلى إقليمها حتى أصبحت خلال

القرن الثالث عشر قبل الميلاد تمثل القوة الثالثة فى منطقة الشرق الأوسط إلى جـانب مصر وبابل . وعندما ازدادت أحلامها فى السيطرة على مصر لتكتسـب شرف الزعامة فى المنطقة نالت من الجيوش المصرية بقيـادة المـلك رمسيس الثانى هزيمة ساحقة فى معركة قادش عام ١٢٨٠ ق٠م كما سبق أن أشرنا من قبل [١] .

* وأيضـا عندما كانت بلاد اليونان منقسمة إلى عدة مدن مستقلة وكـانت دولة الفرس تمثل فى ذات الوقت أكبر قوة فى العالم القديم حيث سـيطرت على معظم المجتمعات الإنسانية فى الشرق وعلى الأخص خلال الفـترة من عام (٥٤٠ – ٤٩٠ ق ٠ م) ، وشعرت المدن اليونانية بأن دولـة الفـرس سوف تنقض عليها وتحتل اراضيها لتضمها إليها لتسود العـالم فى الشـرق والغرب . قامت هذه المدن اليونانية لدفع هذا الخطر باتباع وسيلتين :

الأولى : هى عقد معاهدة تحالف دفاعى وهجومى أبرمت بينها فى أوائل القرن الخامس قبل الميلادى وهى معاهدة ارجينس **Argiens** وذلك

---

(١) د. فـتحية النـبراوى . د ٠ محمـد نصر مهنا . د ٠ درية شفيق : تطور العلاقات السياسية الدولية ٠ مرجع سابق ٠ ص ١٠ وما بعدها ٠

- Ralph linton – TREE of culture- op. cit- PP 2478 ets.
- G. Contenau- la civilisation des Hittites op. cit – pp 314 ets .

مـن أجـل أن تتحد جيوش هذه المدن فى جبهة واحدة وتتمكن من صد هجوم الجيوش الفارسية عند قيامها بغزو أراضيهـا [١] .

والثانية : دفـع بعـض العناصر المدربة لارتكاب هذه الأساليب الدنيـئة داخـل المجـتمع الفارسـى من أجل إثارة الاضطرابات والفتن والاغـتيالات التى تجعل السلطة الفارسية الحاكمة فى حالة قلق وتشغلها عـن الـتفكير فى ركوب البحر الأبيض لغزو بلاد اليونان وفتحها وضمها إلى الإمـبراطورية الفارسية ، وقد تولت هذه المهمة إسبارطة حيث كانت كما سبق أن أشرنا تملك هذه القدرة ولديها عناصر مدربة وذات خبرة فى ارتكاب هذه الأساليب بدقة فى أقاليم الدول الأخرى [٢] .

وبالفعل نجحت المدن اليونانية فى ارتكاب هذه الأساليب حيث شهد المجتمع الفارسى عدة اضطرابات واغتيالات تصاعدت حدتها حتى وصلت إلى داخل القصر الملكى ، وشغلت بخطورتها حكام فارس وجعلتهم يؤجلوا القيـام بمهمـة فتح بلاد اليونان لحين استقرار أوضاعهم السياسية داخل مجـتمعهم ، والمـدن اليونانيـة لـم تكتفى بذلك فقط بل كان لديها أيضا عناصر أخرى من الأشخاص المدربين دفعتهم إلى بلاد فارس من أجل أن

---

(١) انظـر مؤلفنا – العلاقات الدولية فى العصور القديمة – مرجع سابق – ص ١١٣ ، ص ١١٤ .

(2) H. G. weils – A short History of the world – 1932 – londan - P 105 .

يرسلوا إليها المعلومات السرية عن أوضاع الفرس وما يخططه حكامها نحو غزو بلادهم [١] .

ولذلك عندما شعر ملك فارس (اكسيركيس) بخطورة وجود المدن اليونانية على الإمبراطورية الفارسية قرر بعد أن أخمد الاضطرابات السياسية التى كانت توجد فى المجتمع الفارسى بأن يزحف على هذه المدن بجيوشه وسفنه الحربية لفتحها واحتلال أراضيها ، وهنا تلقت (كما يقول هيرودوت) المدن اليونانية أخطر رسالة محررة بالشفرة تفيد بأن الفرس قاموا بتجهيز قواتهم ومعداتهم الحربية وعزموا الهجوم عليهم [٢] ، وقام بإرسال هذه البرقية المشفرة شخص إغريقي يدعى (ديماراتوس) استطاع أن يقيم بطريقة مستترة فى قلب بلاد فارس ، وكان يتجسس لصالح بلاده حتى تمكن أثناء تواجده فى مدينة سوسه من الحصول على هذه المعلومات المؤكدة بأن (اكسيركيس) ملك الفرس قد استعد لغزو اليونان فقام على الفور بأرسلها كاملة إلى إسبارطة بأسلوب الشفرة حتى لا تنكشف أمرها ، وعلى أثر ذلك قامت إسبارطة بإبلاغ جميع المدن اليونانية من أجل حشد الجيوش والاستعداد لدفع هجوم الفرس الساحق عليها طبقا لاتفاق التحالف الدفاعي والهجومى المبرم

---

(1) D. kahn. Scientists of Cade Analysis Civilized study . New York 1966. PP 149 – 151 .

(٢) جورج سارتون : تاريخ العلم ٠ مرجع سابق – ص ٦ ، ص ٨ ٠

بيـنهما فى معـاهدة ارجيـنس Argiens ، وبالفعل قامـت قــوات الفـرس بـالهجوم عـلى بـلاد اليونـان عـام ٤٨٠ ق ٠ م وتشابكت قـوات الطـرفين ودار القـتال بيـنهما فى معارك بثرموبلاى وسالاميس وبلاتويـا ، وكـانت معـارك طاحـنة إلا أن الجيوش اليونانية استطاعت بفضـل استعدادتها السابقة وقوتهما الموحدة أن تقضى على قوات الفرس وتخـرج مـن هذه الحرب منتصرة ، وتنقذ المدن اليونانية من هذا الغزو المدمر (١) .

هـذه هى أهـم الأغراض التى كانت تدفع الدول نحو ارتكاب هذه الأسـاليب الدنيـئة فى العـالم القديم ، وهذه الأفعال كانت غير مباحة بل أخـذت صفة التحريم أو التجريم فى المجتمع الدولى القديم ، والدليل على ذلـك بأنـه قد نص على الامتناع عنها فى بعض المعاهدات الدولية التى عقدت فى العصور القديمة مثل :

---

(1) D.kahn, Scientists of Cade Analysis Civilized study New York 1966. PP 152 – 153 .

- اندريـه ايمارد ، وجانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام٠ الشرق واليونان القديمة ٠ مرجع سابق ص ٤٠٨ .
- هـنرى جونسـون : تدريـس التاريخ ٠ ترجمة د ٠ أبو الفتوح رضوان٠ الطبعة الأولى ١٩٦٥م ٠ دار النهضة العربية بالقاهرة ص ٥١٥ .

-H .G. weils- A short History of the world – op. cit . PP 106 – 107 .

* معاهدة هوزيليت التى عقدت فى عام ١٢٨٠ ق ٠ م بين مملكة مصر ودولة الحيثيين (السابق الإشارة إليها) حيث جاء ضمن نصوصها عـدم قيـام كـلا مـن الطرفين باحتواء أشخاص ، ودفعهم لإثارة الفتن والاضطرابات والثورات والفوضى والقتل فى إقليم الآخر، وعدم اتفاق كلا مـن الطـرفين مع أى أشخاص معاديين لسياسة الآخر وموجودين داخل إقليمه [١] .

* المعاهدة التى أبرمت فى عام ٣١٠٠ ق ٠م بين دولة(لاجاش) ودولـة (أمـا) فى بـلاد مـا بين النهرين (السابق الإشارة إليها) قد تضـمنت أيضا فى نصوصها عدم قيام أى من الطرفين بتحريض أشخاص لإثارة الفتن والقتل والاضطرابات والثورات داخل إقليم الأخر [٢] .

---

(١) د ٠ فـتحية النـبراوى ، د ٠ محمد نصر مهنا ، د ٠ درية شفيق: تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ٠ ص ١٩ وما بعدها ٠
- د ٠ عبد العزيز سرحان : القانون الدولى العام ٠ مرجع سابق ص ٨٧
- د ٠ أحمد سويلم العمرى : أصول العلاقات السياسية الدولية ٠ مرجع سابق ص ٤٥ ٠

(٢)د ٠ صلاح الدين عامر : مقدمة لدراسة القانون الدولى العام ٠ مرجع سابق ٠ ص ١٤ ٠
- د ٠ حسنى محمد جابر : القانون الدولى العام ٠مرجـع سابـق ص٤٣ ٠
- د ٠على صادق أبو هيف :القانون الدولى العام٠مرجـع سابـق ص ٣٤

* المعاهدة التى أبرمت بين روما والمدن المستقلة فى إقليم لاتيوم وهى (انستيوم ، وبرانستى ، وبروزيا ، وبيسى ، وبورتى ، وأونستا تورنورم ، واستيا) فى عام ٥٠٢ ق ٠ م وأطلق عليها الحلف اللاتينى - جاء من ضمن نصوصها ما يحرم على كل طرف أن يقوم بتحريض أشخاص داخل أقاليم المدن الأخرى بقصد إثارة الفتن والاضطرابات والقتل وإشعال الثورات (١) .

* وأيضا جميع المعاهدات السابق الإشارة إليها فى المبحث السابق قد تضمنت أيضا نصوص مشابه لذلك ، فلو كانت هذه الأفعال التى تنهك بها الدولة أمن واستقرار مجتمع أى دولة أخرى مباحة ما كان قد نص عليها فى هذه المعاهدات على الإطلاق ، وإنما كانت تعتبر من قبيل الجرائم التى تمس الأمن والسلام فى المجتمع الدولى القديم .

وهذه الأساليب لم ترتكب فقط فى العصور القديمة وإنما ارتكبت أيضا فى العصور الوسطى والعصور الحديثة وعلى الأخص بين الدول

---

(١) اندريه ايمارد ، وجانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ٠ روما وإمبراطوريتها - مرجع سابق ٠ ص ٨١ وما بعدها .

- ول ديورانت : قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، ترجمة محمد بدران ١٩٦١ القاهرة ص٨٠ ، ص ٩ ٠

- د٠ أحمد سويلم العمرى : أصول العلاقات السياسية الدولية ٠ مرجع سابق ص ٤٦ ٠

الأوروبيــة خــلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ولذلك نص على تجريمها فى مبادئ ميثاق الأمم المتحدة الذى يعتبر حاليا دســتور المجــتمع الدولى المعاصر ٠ كما أصدرت الجمعية العامة للأمم المــتحدة فى ٢٤/١٠/ ١٩٧٠ إعلانــا بمــبادئ القانون الدولى المتعلقة بعلاقــات الصداقة والتعاون بين الدول وفق ميثاق الأمم المتحدة وكان من أهــم مــبادئ هذا الإعلان عدم جواز تدخل أى دولة فى الشئون الداخلية لدولــة أخــرى حــتى تكــون لها سلطتها الكاملة فى الحفاظ على كيانها وشخصيتها - وأيضا نصت مواثيق منظمات أخرى(إقليمية ومتخصصة) على تحريم هذه الأساليب حتى يسود الود والسلام والوفاق بين جميع دول المجتمع الدولى المعاصر [١] ٠

---

(١) انظــر مؤلفنا- البعد الأخلاقي لقانون العلاقات الدولية- مرجع سابق - ص ٨٦٢ وما بعدها ٠

المبحث الثالث

أعمال القرصنة البحرية والسطو البرى المسلح على مصالح وممتلكات دولة

****

حدثت فى العصور القديمة عمليات إجرامية عديدة من القرصنة البحرية ، والسطو البرى المسلح ، قامت بها مجموعة من الأفراد الخطرين الذين كانوا أغلبهم من المرتزقة وينتمون لجنسيات دول مختلفة من أجل سلب ونهب بعض الأشياء كالسفن والبضائع التجارية المملوكة لدولة معينة أو لبعض الأشخاص التابعين لها واعتبرت هذه الأفعال من الجرائم الخطيرة فى المجتمع الدولى القديم [١] .

وكانت عمليات القرصنة البحرية (كما هو معروف عنها) تتم داخل أعالي البحار من مجموعة أشخاص خطرين ومحترفين فى ارتكاب هذا الأسلوب الإجرامى من خلال استخدامهم مركب أو سفينة كبيرة الحجم ينقضوا بها على أى سفينة تجارية محملة بالبضائع ومملوكة لدولة معينة أو لأشخاص تابعين لها ويستولوا عليها بالكامل بعد أن يقتلوا أفراد طاقمها أو يستولوا فقط على البضائع المحملة عليها .

---

(1) R. weill – La phenicie et l'Asie occidentaie – paris – 1911 – PP 133 ets .

أمــا بالنســبة لعمــليات السطو البرى المسلح فكانت تتم بواسطة مجموعــة أشــخاص خطــرين ومحترفين أيضا فى ارتكاب هذا الأسلوب الإجــرامي مــن خلال استخدامهم الخيول والعربات الجرارة وينقضوا بها عــلى أى حمــلة تجارية كانت تسير برا فى الطرق التى كانت تربط بين الدول القديمة ويستولوا على جميع البضائع التى تحملها ، إلى جانب قتل أفراد الحملة سواء كانوا تجار أو أشخاص تابعين لهــم (١) .

وحيــث أن هــذه العمليات كانت تشكل خطورة بالغة على اقتصاد الدول القديمة وعلى العلاقات التجارية التى كانت تتم بينها من خلال تبادل الســلع والمنــتجات المختلفة ، فقد كانت توجد إجراءات تتخذ من جانب هــذه الــدول لمواجهة عمليات القرصنة البحرية والسطو البرى المسلح لضــبطها ، ومعاقــبة الأشخاص الذين يقومون بارتكابها بعقوبات شديدة تصل إلى حد الإعدام وهى تتلخص فى الآتــى :

أولا : بالنسبة لإعمال القرصنة البحرية :

ظهــرت أعمــال القرصــنة الــبحرية مــنذ أوائل القرن الخامس والعشــرين قبل الميلاد – وذلك بعد أن بدأت المجتمعات الإنسانية القديمة فى الشرق والغرب تصنع سفن تجارية كبيرة الحجم لتجوب فى البحار من أجــل أن تصــدر كميــات ضخمة من السلع والمنتجات والآلات والمعدات.

---

(1) M. Groiset – la civilisation de la grèce Antique – paris – 1932 – PP 71 ets .

البسـيطة الـتى تقوم بإنتاجها واستيراد ما تحتاجه منها ، وعلى الأخص المجـتمعات الـتى صنعت حضارات تجارية بحرية مثل الحضارة المينوية التى تألقت فى جزيرة كريت ، والمدن الفينقية التى انتشرت على سواحل سـوريا مـثل صور وصيدا ، وعندما ازدادت عمليات القرصنة ضد هذه السـفن ، وعلى الأخص خلال الفترة من القرن الثامن عشر إلى منتصف القـرن السـادس عشـر قبل الميلاد ، وأحدثت توتر واضطراب هائل فى حـركة النشـاط الـتجارى بين الدول والمدن المستقلة القديمة إلى جانب الخسـائر الفادحة الناتجة من سلب ونهب السفن وما عليها من بضائع مـع قـتل أفـراد طاقمها البحارين بأساليب وحشية[١].قد ساد بين جميع الـدول الممـالك والمدن المستقلة القديمة بعد أن اعتبرت القرصان عدو للجـنس البشـرى ، والقرصـنة جـريمة سافرة وخطيرة على كيان كل المجـتمعات الإنسـانية ، مبادئ تواترت واستقرت بينها كقواعد عرفية دولية – وجعلتها تقوم باتخاذ الإجراءات الآتية :

* يحق للسفن الحربية التابعة لأى دولة إذا التقت فى عرض البحر مـع أى مركب أو سفينة قرصنة أن تقبض عليها وعلى جميع الأشخاص الذيـن عليها باعتبارهم قراصنة بحر خارجين عن القانون ومجرمين فى حق جميع الدول .

---

(1) Sir – A. EVANS – the palace of minos of Knossos – london . 1921 – PP 42 – 45 .

* أن تقــوم الدولــة الــتى قــامت بعملية القبض بمحاكمة جميع القراصــنة الذين تم ضبطهم طبقا لأحكام قانونها وأمام الجهات القضائية التابعة لها .

* يحــق للدولة التى قامت بالضبط أن تصادر مركب القرصنة بما عليها من بضائع ، إلا إذا اتضح أن المركب مسروقة وثبت ملكيتها لدولة أخرى أو لأشخاص تابعين لها ، أو أن البضائع منهوبة من مراكب أخرى وثبت ملكية أصحابها فتلتزم بأن ترد هذه الأشياء لأصحابها [١] .

وعــلى أثــر هذه المبادئ والقواعد قد أبرمت معاهدات عديــــدة بيــن الدول والمدن المستقلة خلال أزمان العصور القديمـــة - وذلـــك مثل :

* المعــاهدات الــتى أبــرمت بيــن المينوس ملك كريت والمدن المستقلة فى بلاد ما بين النهرين حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م - من أجل أن تحــمى الســفن الحــربية الكريــتية الســفن التجارية التابعة لهذه المدن وتحرســها من عمليات القرصنة أثناء سيرها فى البحر الأبيض المتوسط

---

(1) G. contenau – La civilisation phenicienne – paris – 1932 – PP 61 ets .
- R. weill – La phenicie et L'Asie occidentaie – Op. cit – PP 143 ets .
- Sir. A. EVANS – the palace of minos – op. cit- PP 72 ets .

للقيام برحلاتها التجارية مع المدن الإغريقية نظير أجر كان يدفعه قبضان السفينة عقب وصوله إلى الميناء سالما بالبضائع التى كان ينقلها [١] .

* المعاهدة التى أبرمت حوالى عام ٣٦٠٠ ق٠م بين المينوس ملك كريت وملك الوجه البحرى فى مصر – وذلك من أجل أن تؤمن كل مملكة سفن المملكة الأخرى أثناء رحلاتها التجارية فى البحر الأبيض المتوسط – وتم على أثر هذه المعاهدة أيضا موافقة ملك مصر على إقامة قاعدة بحرية للكريتين فى مصر تقع بين شواطئ الإسكندرية ودمياط ، لكى يستخدموها فى تأمن سفنهم التجارية وفى عمليات الإمداد والخدمات البحرية – وهذه القاعدة كانت على سبيل الإيجار ولم تفقد مصر سيطرتها عليها ، لأن ملك كريت كان يدفع إيجار هذه القاعدة سنويا لملك مصر وكان لا يجوز له مطلقا أن يستخدمها فى المعارك البحرية [٢] .

* التعاقد الذى أبرم بين الملك (اسرحدون) ملك أشور والملك (بعل) حاكم مدينة صور فى عام ٦٨٠ ق ٠ م – وتضمن بنود تلزم حاكم مدينة صور بأن يؤمن البضائع الاشورية وهى محملة على السفن التجارية من أعمال القرصنة أثناء نقلها من الجنوب إلى الشمال ،

---

(1) L. Delaporte – La masoptamie Las civilisation Boby laniennes et assyrienne – paris – 1923 – P. 40 .

(2) Ralph Lintan – TREE of culture – op . cit – P 268 .

وأن لعنات الإلهة ستصب على أسطول الملك (بعل) إذا لم يلتزم بتنفيذ تعهده [١] .

وبالتالى فإنه أثر هذه الأمور قد تم ضبط مراكب وسفن قرصنة عديدة ، ومعاقبة القراصنة الذين كانوا عليها بعد محاكمتهم بعقوبة الإعدام أو بقطع أيديهم ، وفى الفترة التى أعقبت القرن السابع قبل الميلاد كانت عقوبة الإعدام تنفذ على القراصنة بشنقهم على السارية الكبرى للمراكب أو السفن التى كانوا يستخدمونها وضبطوا عليها ، ويتم تركهم معلقين أيام طويلة حتى تتعفن جثثهم كأجراء رادع وعنيف لكل من يحاول القيام بأعمال القرصنة فى عرض البحر [٢] .

وهذه الإجراءات قد استقرت وأصبحت على مر الزمن فى حكم القواعد القانونية الدولية العرفية خلال العصور الوسطى والحديثة ، والاتفاقية الخاصة بأعالى البحار التى أقرها مؤتمر جنيف سنة ١٩٥٨م قد نصت عليها بنصوص صريحة باعتبار القرصنة جريمة دولية تخضع المحاكمة فيها لقضاء الدولة التى تقوم بعملية الضبط ، كما إضافة هذه الاتفاقية إلى القرصنة عمليات خطف واحتجاز الطائرات حيث نصت فى (المادة ١٥) بأنه يعتبر من أعمال القرصنة كلا من الأفعال الآتية :

---

(1) G. Cantennau - la civilisation phenicienne – op . cit – P 77 .

(٢) د . على صادق أبو هيف – القانون الدولى العام – مرجع سابق – ص ٣٨٦ ، ص ٣٨٧ .

* أى عمــل غيــر مشروع من أعمال العنف أو حجز الأشخاص أو السـلب يـرتكب لأغـراض خاصة بواسطة ملاحى أو ركاب سفينة أو طائــرة خاصـــة ويكون موجها ضد سفينة أخرى فى أعالى البحار أو ضد طائــرة أخرى ، أو ضد أشخاص أو أموال على ظهر مثل هذه السفينة أو الطائرة .

* أي مساهمة إرادية فى عملية تقوم بها سفينة أو طائرة مع العلم بالوقائع التى تجعلها سفينة أو طائرة قرصنة .

* أي تحــريض أو تســهيل عمدى لفعل من الأفعال المذكورة فى الفقرتين السابقتين .

كمـــا نصت المادة ١٤ من الاتفاقية على أنه [على كافة الدول أن تتعاون إلى أقصى الحدود الممكنة لعقاب القرصنة فى أعالي البحار أو فى أى مكان آخر خارج نطاق الاختصاص القضائى لآيـــة دولـــة] [١] .

وبالـــتالى فإن معظم أحكام هذه الاتفاقية قد تم إقرارها كمبادئ أو قواعد عرفية دولية ملزمة فى العصور القديمة ، ولم تستحدث فيها سوى قرصـــنة الطائـــرات الـــتى عـــرفت فقط فى هذا العصر بعد أن تم اختراع

---

(١) د . إبــراهيم العـنانى : القانون الدولى العام ، طبعة ١٩٩٠ . القاهرة – كلية حقوق عين شمس . ص ٣٠٣ .

- Francis Fukuyama – the END of Hislory .. op . cit – PP 171 ets .

الطائــرة واســتخدامها فى نقــل الأشــخاص والبضائع منذ أوائل القرن العشرين الميلادى ٠

ثانيا – السطو البرى المسلح :

حيــث أن العالم القديم كان يضم دول وممالك ومدن مستقلة كانت تشغل حيز ضئيل من المناطق المعمورة ، وباقى أجزاء اليابس كان معظم مســاحاته عــبارة عــن مناطق صحراوية غير مأهولة على الإطلاق بأى سكان وكثيرا منها كانت لا تخضع لسيادة أو لسيطرة إلى دولة أو مملكة قديمة ، وإنما كان يمر فى بعضها طرق طويلة أغلبها كانت وعرة أو غير ممهــدة ، ولكــن كانت مكتسبة الصفة الدولية باعتبارها تربط بين أقاليم دولــتين أو أكــثر ، وتســتخدم فى عمــليات التبادل التجارى لنقل السلع والمنــتجات بــرا بيــن أقاليم الدول المختلفة [١] ، فقد استغلت عصابات خطيــرة بعــض أجــزاء هذه الطرق الواقعة على مسافات بعيدة فى قلب المــناطق الصــحراوية وغيــر تابعة لسيطرة أى دولة معينة ، وتقوقعت بالقرب منها لكى تنقض على أى قافلة أو حملة تجارية تمر فيها ، لسلب ونهــب ما تحمله من بضائع إلى جانب قتل معظم أفرادها ، وكانت جميع هــذه العصــابات مشــكلة مــن أشخاص خطرين معظمهم من المطاريد والمرتزقة ويحملون جنسيات مختلفة [٢] .

---

(١) اندريــه ايمارد ، وجاتين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ، الجزء الأول ، مرجع سابق ص ١٧ – ص ٣١ ٠

(2) E.H.G. DOBBY – southeast Asia – New york – 1950 – PP 41 – 43 .

وعـندما تزايدت عمليات السطو على القوافل والحملات التجارية وأحدثـت إربـاك فى حـركة النشـاط التجارى البرى إلى جانب الخسائر الفادحة الناتجة من سلب البضائع مع قتل أصحابها أو الأشخاص التابعين لهـم ، وأصـبحت بالتالى عمليات النقل البرى بين الأقاليم المختلفة تمثل خطـورة بالغـة ، فقـد ساد بين الدول القديمة بعد أن اعتبرت أفراد هذه العصـابات أعـداء للجنس البشرى وما يرتكبونه من جرائم سطو عدوان سـافر على كل أعضاء المجتمع الدولى القديم بعض النظم والمبادئ التى تواتـرت وأصـبحت كقواعـد دولية عرفية ملزمة من أجل مواجهة هذه الجـرائم فى الطـرق الرئيسية ، وتم على أثر ذلك اتخاذ إجراءات عديدة أهمها يتلخص فى الآتى :

* تقسـيم هـذه الطرق حسب أطوالها إلى أجزاء ، لكى تقوم كل دولـة بحراسة وتأمين الجزء القريب منها مهما كان طوله من خلال نقط حراسة متمركزة ودوريات مسلحة متحركة بصفة مستمرة من بداية جزء هذا الطريق حتى نهايته .

* أن تقـوم كـل دولـة مكلفة بحراسة جزء من الطرق الرئيسية بمطـاردة عصـابات السـطو فى هذا الجزء وضبط أشخاصها ومعاقبتهم طـبقا لأحكـام قانونها وإمام الجهات القضائية التابعة لها بعقوبات شديدة ورادعة . فمعظم قوانين هذه الدول كانت طبق عقوبة الإعدام، مثل قانون حمورابى فى بلاد ما بين النهرين – وقانون مانو فى الهند القديمـــة ،

والشريعة اليهودية ، وقانون الإمبراطور (تشن • شه • هوانغ • دى) فى الصين القديمة ، وقانون الألواح الأثنى عشر فى روما •

* يجـوز لـلدولة الـتى قـامت بالضبط أن تصادر جميع الأشياء والبضـائع الـتى كانت فى حوزة أفراد العصابة إلا إذا تبين أنها منهوبة وثبت ملكية أصحابها فتلتزم بردها إليهم •

* يجـوز أن تشـترك أكـثر مـن دولـة فى مطاردة وضبط أى عصـابة سـطو فى الطـرق التى تربط بينها على أن يكون الاختصاص القضـائى للدولة التى تختص بحراسة وتأمين الجزء الذى يتم فيه عملية القبض [١] •

وعـلى أثـر هـذه الإجـراءات قامت جميع الدول القديمة بضبط عصـابات عديـدة ومعاقبة أشخاصها بعقوبات أغلبها الإعدام ، كما كانت معظـم هـذه الدول تعلق جثث أو رؤوس أفراد هذه العصابات فى الطرق الـتى ضـبطوا فيها كأجراء رادع وعنيف لكل من يحاول أن يكون قاطع طريق [٢] •

---

(1) J. Sion – L'Asie des moussons. Paris, 1929. PP 174 – 185.
- E. H. G. Dobby – southeast Asia op . cit – PP 51 – 54 .
(2) Francis Fukuyama – the END of History ... op . cit PP 215 ets .

ومــن أهم الطرق الرئيسية القديمة التى اتبع فيها هذه الإجراءات هــو طــريق الحرير الذى كان يبلغ طوله ٧٠٠٠ كيلو متر ، ويربط بين الصــين ومعظم المجتمعات الإنسانية الأخرى فى جنوب شرق آسيا كالهند وباكســتان وفى المــناطق الــتى كانت تقع غرب الصين حتى حدود بلاد اليونان وروما [١] .

وترجع ظروف إنشاء هذا الطريق إلى عهد أسرة هان الغربية التى حكمــت المجتمع الصينى خلال الفترة من عام (٢٠٦ ق ٠ م – ٢٤ م) حيث قام الرحالة والدبلوماسى الفذ (تشانع تشيان) بإعداد مشروع شق طــريق تجارى طوله ٧٠٠٠ كيلو متر يبدأ من غرب مدينة (تشانغان) العاصمة ويخترق قارة آسيا من الشرق إلى الغرب لينقل من خلاله الحرير الصــينى إلى الهــند وباكســتان وجميع الدول الواقعة فى غرب وأواسط آســيا حــتى أثيــنا ورومــا فى القارة الأوروبية على أن يرد بواسطته الســلع والمنــتجات الــتى تــتوافر فى الدول الأخرى ويحتاجها المجتمع الصينى .

وبعــد أن اقتنعت السلطة المركزية لأسرة هان الغربية بأهمية هذا المشــروع قــامت بتــنفيذه وشقت هذا الطريق الذى أطلق عليه (طريق

---

(١) اندريه ايمارد ، وجانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق . ص ٦٣٢ وما بعدها .

الحريـــر) والـــذى يعتـــبر الآن مـــن أهم الملامح الحضارية التى حققها المجتمع الصينى فى العصور القديمة ٠

بعد أن تم افتتاح هذا الطريق حقق رواجا هائلا فى عمليات التبادل الـــتجارى للســـلع والمنتجات المختلفة بين الصين ومعظم مجتمعات الدول الواقعـــة فى الشرق والغرب حيث كان التجار الصينيون يرسلون البضائع الصـــينية وخاصـــة المنسوجات الحريرية إلى الهند وباكستان وإلى أقصى الغـــرب بداية من فارس وبلاد ما بين النهرين وأقاليم الشرق العربى حتى أثينا وروما ، ويجلبون من هذه المجتمعات السلع والمنتجات التى يحتاجها الشعب الصينى ٠

وحيـــث ظهـــرت عمليات سطو خطيرة على هذا الطريق قامت بها عصـــابات مكونـــة مـــن أشخاص محترفين فى الأجرام والسلب والنهـــب والقـــتل هددوا حركة التجارة على هذا الطريق ، وعلى الأخص فى بداية القرن الأخير قبل الميلاد ، فقد اهتمت حكومة هان الغربية بهذه الأوضاع الخطيـــرة وقـــامت فى عـــام ٦٠ قبل الميلاد بإنشاء هيئات رسمية لإدارة الشـــئون العامة لهذا الطريق كما أقامت عليه حصون مسلحة مثل حصنى يويمـــنقوان ويـــانقوان الحيوييـــن فى مقاطعة قانسو، ودوريات متحركة لتأمين حركة المواصلات ونقل البضائع على جزء كبير من هذا الطريق ، ومـــن خلال التنسيق بين الصين والدول الأخرى التى يمر بها هذا الطريق ثم تأمين باقى إجزاءه – وقد ترتب على هذه الإجراءات الأمنيـــة ضبـــط

عصـابات سـطو عديـدة تم إعدام معظم أفرادها ، كما أصبحت الأوضاع الأمـنية لحركة المواصلات والنشاط التجارى مستقرة بنسبة كبيرة وعلى الأخـص فى النصف الثانى للقرن الأخير قبل الميلاد ، وأوائل القرن الأول الميلادى (١) .

وأيضـا فى ضـوء هـذه الإجراءات المستندة على هذه المبادئ والقواعـد العرفية - قد أبرمت معاهدات عديدة بين بعض الدول والممالك والمـدن المستقلة خلال أزمان العصور القديمة ، من أجل حماية قوافلها التجارية من عصابات السطو البرى المسلح ، أثناء سيرها فى الطرق التى تربط بينها - وذلك مثل :

* المعـاهدات الـتى أبرمت بين مصر الفرعونية فى عهود عصر الدولـة الحديثة وبين المدن الفينيقية من أجل تأمين حركة التجارة البرية بيـنهما أو بيـن أحدهما والدول القديمة الأخرى فى آسيا - وقد اكتشفت رسـائل فى حفائر تل العمارنة عاصمة الإمبراطورية المصرية فى عهود

---

(١) جيـان بـوه تسان، شاوشيون تشنغ. هوهوا ، موجز تاريخ الصين ، مرجع سابق ، ص ٢٨ وما بعدها .

- تاريخ الصين ، الجزء الأول- مرجع سابق ص ٤٠ ، ص ٤٢ .

- انظـر مؤلفنا - التاريخ العام لأهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة - مرجع سابق - ص ٢٤١ وما بعدها .

هـذا العصـر تؤكد ذلك - وبعضها كانت تتضمن صرخة من حكام المدن الفيـنيقية مـن أثر الاعتداءات التى كانت تقع على قوافلهم التجارية فى الطرق البرية الرئيسية من عصابات القبائل البربرية ومن بعض المجرمين الخطـرين مـن أشـور والدولة الحيثية - وكل رسالة كانت تنتهى بطلب الإمـداد بالقوات والأسلحة والمعدات من ملك مصر من أجل أن يساعدهم بكل قوة طبقا للمعاهدات التى بينهم فى الدفاع عن حركة نشاطهم التجارى وصد الاعتداءات التى تقع على قوافلهم التجارية فى الطرق الرئيسية التى تربط بينهم وبين الدول والممالك الأخرى فى شمال وأواسط وجنوب آسيا - ومن هذه الرسائل :

- رسالة الملك [زيمردا]حاكم مدينة صيدا إلى الملك [امينوفيس الـثالث] مـلك مصـر فى عام ١٣٤٠ ق ٠ م ليطلب منه إرسال قوات وأسـلحة ومعـدات لمعاونـته فى الدفاع عن الحركة التجارية لصيدا من عصابات السطو البرى التى تهددها وتسلب كل خيراتها ٠

- رسـالة المـلك [رب عدى] حاكم مدينة جبيل إلى الملـك [اميـنوفيس الرابع] ملك مصر فى عام ١٣٦٠ ق ٠ م ليطلب منه أيضا إمداده بالجنود والأسلحة والمعدات لمساعدته بقوة فى الدفاع عن الحركة الـتجارية لجـبيل مـن العصابات الخطيرة التى تهددها من أثر سطوها المستمر على قوافلها المحملة بالبضائع فى الطرق الرئيسية [١] ٠

---

(1) R. Weill – La phenicie et l'Asie accidentaie – op . cit – PP 58 ets .

* الــتعاهد الذى أبرم عام ٢١٠٠ ق٠م بين المدن المستقلة التى كــانت تقع فى أرض الأنـهر السبع بمنطقة البنجاب فى شمال غرب الهند القديمة من أجل أن تحمى كل مدينة القوافل التجارية التابعة للمدن الأخرى مــن عصـــابات السطو البرى أثناء سيرها فى الطرق الطويلة التى تربط بيــنهما – وقد دام هذا التعاهد مدة تزيد عن مائة عام ، واستطاعت هذه المــدن حماية قوافلها التجارية من هذه العصابات الخطيرة حتى تعرضت مــنطقة البنجاب بعد ذلك للغزو الشرس الذى قامت به القبائل الأرية التى هاجــرت بحثنا عن الــرزق من شمال أوربا إلى الهند حوالى عام ٢٠٠٠ ق٠م [١] .

وعــلى هذا الأساس كانت تعتبر جرائم السطو البرى فى العصور القديمـــة مـــن الأعمال العدوانية على وحدة الإنسانية ومن أخطر الجرائم الــتى كـــانت تهدد أمن وسلام المجتمع الدولى القديم ، وقد استمرت على هذا الوصف فترات طويلة فى العصور الوسطى ، أما فى العصور الحديثة فقــد انتفت عنها الصفة الدولية وأصبحت فقط من ضمن الجرائم المحلية رغــم خطورتهـــا وذلـــك بسبب أن جميع مساحات اليابس فى هذا العالم الحديث قد أصبحت مقسمة بين الدول ، وجميع أقاليم هذه الدول متلاصقة حاليـــا فى الحدود الدولية أى لا يمكن الآن أن تقع جريمة سطو برى فى

---

(1) L. Bach Hofer – Eerly idian sculpture- 2 . vol – paris – 1950 – PP 132 ets .
- E. H. G. DOBBY – southeast Asia – op . c. t – P 71 .

طريق يقع فى منطقة غير تابعة لدولة، بل لابد أن تكون داخل الاختصاص الإقـليمي لأى دولـة مـن الدول ، ولذا فإنه عند ضبطها لا تكون سوى جريمة محلية فقط •

وترتيـبا على ما تقدم ، فأن هذه الجرائم السابق الإشارة إليها فى هـذا الفصل كانت تعتبر فى العصور القديمة من أخطر الجرائم على وحدة الجنس البشرى كما كانت تهدد آمن وسلامة جميع دول العالم القديم •

البـــاب الثانـــــى

****

أثر الفكر الفلسفى القديم فى تجسيم خطورة الجرائم
العدوانية على حقوق الوحدة البشرية
وفى طرح البـوادر الأولية لفكرة إنشاء قضاء دولى جنائى

تقديـم:

إذا كانت حكومات دول العصور القديمة لم تقرر إلا عدد محدود من الجرائم العدوانية على حقوق الوحدة البشرية دون البعض الآخر رغم ما كـانت تتصف به من قسوة ووحشية وخطورة على أمن وسلامة المجتمع الـدولى القديـم ، وذلـك للأسـباب السابق الإشارة إليهـا - كما كانت الإجـراءات الخاصـة بالمحاكمات وتوقيع العقوبات على الجرائم التى تم إقـرارها تتخذ الصفة الفردية لكل دولة - إلا أنه قد ظهرت اتجاهات فكرة وفلسـفية نددت بشدة من خطورة جميع هذا الجرائم ، سواء المجرمة أو التى لم يتم إقرارها فى أخذ صفة التجريم، كما طالبت فى أراءها بضرورة إنشـاء قضـاء دولى جـنائى عـادل يمـثل كل شعوب العالم ، ويختص بالمحاكمـات وتوقيع العقوبات على الذين يرتكبون هذه الجرائم باعتبارهم أعداء للجنس البشرى ، وخطرين على الوجود الذاتى للحياة الإنسانية فى هـذا العالم الحى ، وهذه الاتجاهات قد نبعت فى المجتمعات الشرقية قبل المجـتمعات الغـربية بـآلاف السـنين ، وليـس كما يقول بعض العلماء والمفكـرين الأوروبيـن بأن بداية ظهورها كان فى عهد الإغريق ثم عهد الرومان لأن نشأت الفلسفة القديمة وما بها من فكر نافع قد سطع فى أول موطن للإنسان القديم ، وأول موطن إنسانى فى العالم القديم كان فى بلاد الشرق .

ولذلك فإنه لإيضاح مفهوم هذه الاتجاهات وبيان حقيقتها المرتكزة على وحدة الإنسانية ، مع إظهار الدور الإيجابى الذى حققتـه فـى هـذا

المجال خلال العصور القديمة ، وتم الاستفادة منه خلال العصور الوسطى والحديـــثة • سنعرض فكر وآراء أهم الفلاسفة الذين أنعمت بهم البشرية فى العصور القديمة وذلك من خلال فصلين متعاقبين :

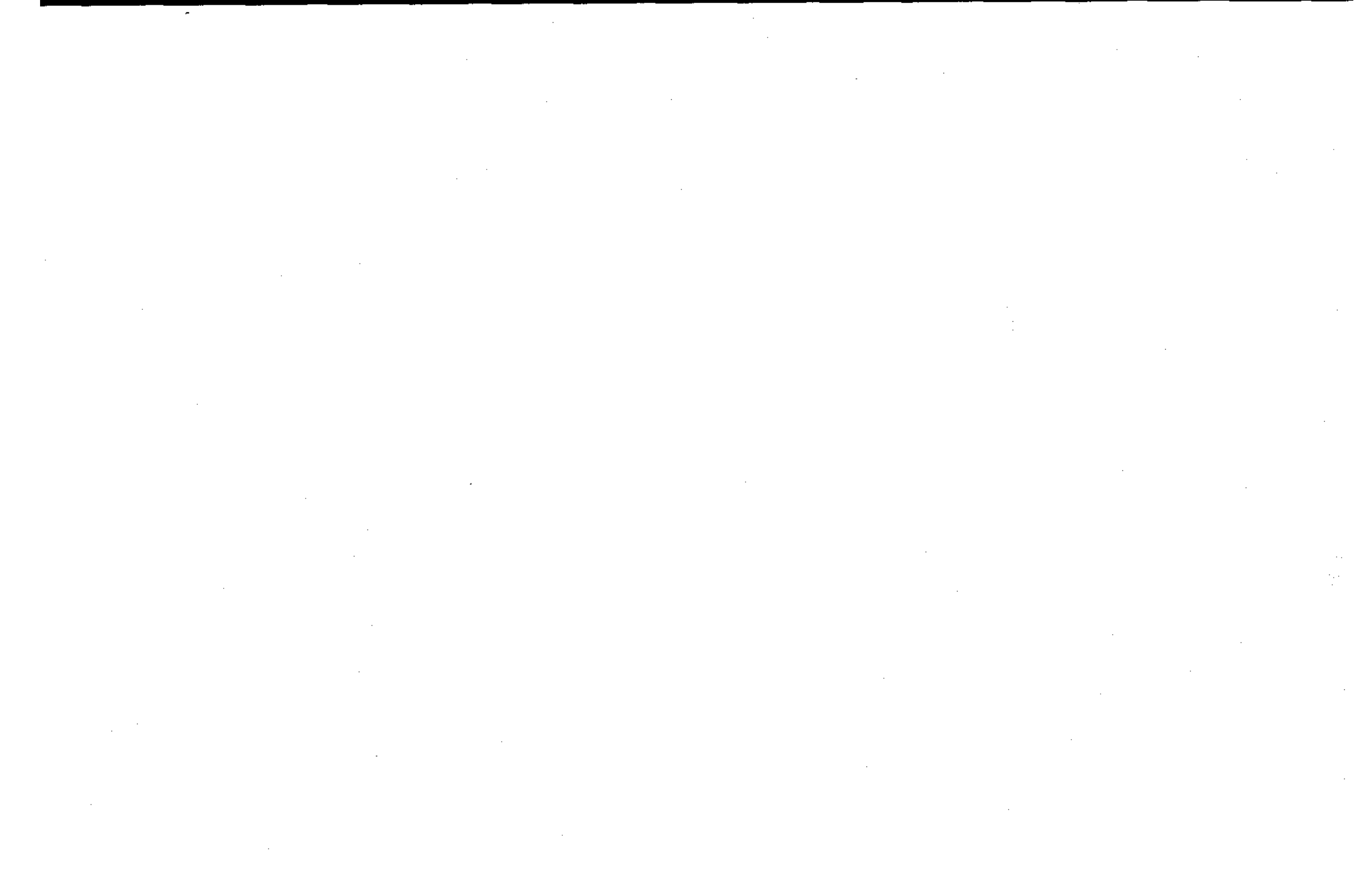
الأول : للفلسفة الشرقية •

الثانى : للفلسفة الغربية •

حـــتى يكون عرضنا مرتب تاريخيا ، ومواكب لبداية ظهور هؤلاء الفلاسفة فى الحياة الإنسانية •

الفصل الأول

الفلسفة الشرقية



تقديم:

أن المــراحل الأولى لجهود الفكر الفلسفى نحو وحدة الإنسانية قد نـبعت فى بلاد الشرق ، فمن فلسفة الشرق بدأت جميع الشعوب فى كافة أرجاء هذا العالم الحى تهتدى إلى أول معالم الطريق الصحيح لفهم الوجود البشــرى وحكمـــة الحيـــاة ، وأســـس القيم العليا وكل المبادئ الروحية والأخلاقية [١] .

ولذلـــك فقـــد ظهر فى الشرق أول فلاسفة العالم الذين نددوا بشدة بتجريم كل الأفعال التى تمس وحدة البشرية أو تنتهك حقوق أو حرية أى إنســـان ، حيـــث اعتـــبروها من أخطر الجرائم التى قد تحطم كيان جميع الشـــعوب أو تخل بسلامة أمنهم واستقرارهم ، كما نادوا فى أراء فكرهم الفلســـفى بضـــرورة إنشاء قضاء واحد يمثل جميع شعوب العالم لمحاكمة ومعاقـــبة من يرتكب هذه الأفعال بعقوبات شديدة تتناسب مع خطورتها ، وعلى هذا الأساس فإن فكرة تجسيم خطورة الجرائم العدوانية على حقوق الوحـــدة البشـــرية وإنشاء قضاء دولى جنائى قد نبعت من فلسفة الشرق القائمـــة على روح الأخوة الواحدة والتوحيد ، ثم امتدت جذورها بعد ذلك إلى فلسفة الغرب [٢] .

---

(1) Henry Thomas – the Great philosophers – op . cit . P . 3 .

(٢) د . نـــور الديـــن إشـــراقية : معـــركة الحياة . مرجع سابق . ص ٢١٩ وما بعدها .

ولكــن نؤكــد هذه الحقائق سنعرض موجز بما سجله التاريخ فى صــفحاته الخضــراء عن أهم فلاسفة الشرق ملتزمين بالترتيب التاريخى لظهورهــم من أجل أن نوضح فكرهم الفلسفى نحو هذا الموضوع ونظهر بــاليقين بأنهم قد تصدوا لهذه الجرائم على أسس روحية قائمة على فكرة التوحيد بالله خالق هذا الكون وما به من كائنات وبشر وليس على أسس ماديــة قائمــة عــلى فكرة وجود بعض الأشياء الظاهرة أو الملموسة أو الاثنين معا (١) .

١ - بتاح حتب - Ptah Hotep:

فليســوف مصــرى ظهــر عام ٢٧٠٠ ق٠ م ، وكان حاكم مدينة ممفيــس ورئيــس وزراء ملك مصر ، وعندما اقتربت حياته من نهايتها اعــتزل منصبه وكرس نفسه لتعليم النشء (٢) والتنديد بالجرائم المرتكبة ضــد وحــدة الإنسانية ، كما كان يحث الناس على ضرورة تعلم الفضيلة كأســاس للحياة الصالحة والابتعاد عن عوامل الشر ، وقال عنها [لا تزه بمعرفــتك ولا تحســبن نفسك عالما ، تحدث إلى الجاهل كما تتحدث إلى

(1) Massharv Anesaki : History of Japanese Religion with special Reference to the social and moral life of the nation , charles E. tuttle company, Tokyo Japan, U. N. university 1980 . PP 25 – 29 .

- شارل فرنر : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق٠ ص ١٨ وما بعدها ٠

(٢) د ٠ صوفى أبو طالب : مبادئ تاريخ القانون ٠مرجع سابق – ص ٥١٤ ٠

العالم على السواء - عليك أن تتعلم الكثير من إخوانك فى الإنسانية فالمعرفة لا حدود لها ، لأنه ليس فى الوجود أى فيلسوف يملك الحكمة الكاملة ، كما يجب أن تعلم علم اليقين بأن الحديث المتسامح اللين اندر من أحجار الزمرد ، فلا تتحدث بخشونة أو بتسرع ، وأحذر من أن تخلق أعداء بكلماتك ، لا تتجاوز الصدق، ولا تفشى كلمات قد أؤتمنت على سماعها سواء كان المتحدث فلاحا أم أمير ، وسرد القصص فى غير موضعها يرهق النفس - ولا تكن خجولا إلى الحد الذى فيه لا تذكر الحق ، ولا متهورا فتنطق زورا وبهتانا - تعلم أن تخطط لنفسك طريقا متزنا بين عواصف الحياة - ولا تدع شيئا يقلب اتزان شخصيتك فإن الشخصية الصالحة هى أغلى هدية فى الحياة - وعش فى دار الرقة والشفقة ليأتى إليك الرجال يحملون إليك الخير] .

وفوق كل هذا كان بتاح حتب يحث على فضيلة ضبط النفس التى كانت أحد أحجار الزوايا فى فلسفتى أفلاطون وارسطو ، وقال عنها [لتكن أعمالك فى مناسباتها ، وكلماتك فى موضعها - فالرجل العاقل لا يتحدث بتاتا فى أمور لا يعرف عنها شيئا - دعنى مرة أخرى أحذرك ، إكبح جماح نفسك ، وإلجم لسانك] (١) .

كان بتاح حتب يؤمن بإله واحد اعتبره أب الإنسانية جمعاء وكان هذا الإله الذى أمن به يعرف فى مصر القديمة باسم أوزيوريس الذى كان

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op. cit P . 514.

يمـــثل الصراع بين الخير والشر وبأنه قد يتغلب الشر لوقت ما ، ولكن من المؤكد أن ينتصر ويسود الخير فى النهاية ، وصرح بأيديه هذا الإلــه ، وبأنه الوحيد الذى يهدى الناس إلى الطريق القويم وجنة الخلد ، فمــن يعــتدى على فرد أو على مجموعة من الافراد ظلما أو بقسوة كأنه اعــتدى عــلى جميع البشر ، ولابد أن يحاسب ويعاقب بشدة لأنه أغضب الإله مهما كانت مكانته أو منزلــته بين الناس [١] .

ويقــول المفكــر الإمــريكى الدكتور هنرى توماس عن بتاح حتب بأنــه [يعتــبر مــن أوائــل الفلاســفة المصــريين ، وأول فيلسوف فى العــالم أعــطى أكــبر المــثل فى الحكمة والفضيلة - كما يعد أيضا أول فيلســوف فى العــالم يــبرز معنى وحدة الإنسانية تحت ألوهية واحدة ، وبــأن هــناك إله واحد لجميع البشر - فقد أثرت مخطوطاته فى الحكمة وتعاليم الأخلاق فى الفيلسوف اليونانى أفلاطون الذى ظهر بعده بما يقرب بــنحو ٢٣٠٠ ســنة ، كمــا أثــرت الصورة التى رسمها للرجل المتحلى بــالأخلاق فى أرســطو تــلميذ أفلاطون عندما رسم صورة الرجل الكامل المتزن الشخصية] [٢] .

---

(١) اندريه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق ص ٩١ ، ص ١٢١ .

(2) Henry thomas - the Great philosophers - op . cit - P 515 .

وبذلــك يعتبر بتاح حتب أول فيلسوف أخلاقى فى تاريخ الإنسانية نــادى بالتوحيد والأخلاق الفاضلة لكل الشعوب ، وجسم خطورة الاعتداء عــلى وحدة الإنسانية وحث على ضرورة معاقبة المتعدى بعقوبة ترضى جميع البشر وذلك من منطلق فلسفته العالمية التى تصلح لكل المجتمعات ولكــل العصــور ، كما عبر بصدق بأن الناس جميعا من طبيعة واحدة ، ويمثــلون أســرة مــتحدة فى كل أمور الحياة ، وأن الخير أساس حياتهم والشــر أمر عارض قد يظهر ويتغلب فى فترة معينة ولكن لابد أن يزول ويمحو بقــوة فعل الخير [١] .

٢ - ابــوور - Apuor:

فيلسوف مصرى قديم ظهر منذ ما يقرب من ٢٦٠٠ سنة ق ٠ م ويعتــبر أول فيلسوف اجتماعى فى تاريخ العالم ، واعتنق فلسفته وارائه شــوبنهاور ، وشــيلى ، وتولســتوى الذيــن يعتبرون من أعظم فلاسفة العصور الحديثة ٠

أطــلق عليه الفيلسوف المتشائم الذى يحبذ الموت أو الانتحار عن الحيــاة الظالمــة لأنه ندد بشدة من خطورة الجرائم التى ترتكب فى حق الإنســانية دون معاقــبة مرتكــبيها العقاب الشديد من جانب كل البشر ، وفضــل المــوت أو الانــتحار بــدلا من الحياة التى يعيش فيها الظالمون

(١) شارل فرنر : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق - ص ٢١ ٠

والأشرار والسفاحون وهم مطلقون الحرية، دون حسيب أو رقيب عليهم ، ولذلك قال [من الأفضل أن تنتهى حياة البشر ، فلا حمل ولا ولادة إذا لم يقدر للأرض أن تتوقف عن جلبتها ، وللصراع أن ينعدم] .

كما عدد أوجه الفساد الذى استشرى فى عصره بين البشر بكلمات لهـا فى كل عصر صدى هائل حتى فى عصرنا الحاضر وقال [إلى من اتحـدث اليـوم ؟ الأخوة الأشرار ، يخدع بعضهم بعضا - إلى من اتحدث اليوم ؟ قلوب جشعة ، وكل امرئ يغتال متاع جاره - إلى مـن اتحـدث اليـوم ؟ لقـد اخـتفى الرجل الشريف من الظهور ، بينما يعيش الباغى المـتعجرف فائزا مظفرا - إلى من اتحدث اليوم ؟ ففى الوقت الذى يجب فيـه أن يـثير سلوك المرء سخطا نراه يبعث السرور أيضا ، وفى الوقت الذى يستحق السارق والظالم والمستبد الجلد بالسوط ، نراه يكافأ بالثروة والشهرة] (1) .

كـان هذا الفيلسوف لا يخشى أو يهاب من أحد فى مواجهة الظلم والطغيـان - ولذا قال ايمارد عنه بأنه قد أعرب عن أسفه للفوضى التى ضـربت اطنابها فى مصر خلال الحقبة الواقعة بين الإمبراطورية القديمة والإمـبراطورية الوسطى وراح يكاشف ملك مصر دون أى خوف أو وجل أو تردد - قائلا أن ما تشهده البلاد كان من بعض نتائج الاضطراب الذى

(1) Henry thomas – the Great philasophers – op .cit – P 9 .

زرعـــته يـــداك فى طولها وعرضها وسط السجس والجلبة ، ولذا ترى الناس اليوم يلجأون للعنف بعضهم ضد البعض الآخر) [١] .

ورغـــم حملـــته الشـــعواء عـــلى الظلم والفساد كان يؤمن بصدق وحـــرارة بفكـــرة الإلـــه الواحد ، وبأن هذا الإله الواحد بما لديه من عدل وحكمـــة وكـــل الخير ستكون لـــه القدرة على بتر عناصر الفساد والظلم والطغيـــان وردع كـــل من يحاول الجنوح نحو الشر - ولذلك قال بعد أن شبهة الإله الواحد للبشر بالرائد الوحيد (ينزل هذا الرائد بردا على لهيب الظـــلم ، فإذا تاهت الناس وامتلأت قلوبهم بالخوف فإنه يقضى الفترة تلو الفترة يجمع شملهم ويلم شتاتهم ، ويضرب الأشرار بالافـــات ثم يخلص الأخيـــار ، وإذا كنـــتم تســـألون أين هو اليـــوم ؟ هل صادفه السبات ؟ لا اطمئنوا فعندما يحين الوقت فمن المؤكد إنه سوف يستيقظ) [٢] .

وبالـــتالى لا يمكـــن إنكار دور هذا الفيلسوف فى التنديد بخطورة الجرائم التى ترتكب فى حق الإنسانية وهى التى تطلق عليها اليوم الجرائم الدوليـــة ، حيـــث فضـــل المـــوت أو الانـــتحار بدلا من العيش فى حياة ترتكب فيها هذه الجرائم من أشخاص لا رقيب أو حسيب عليهم أى لا يتم

---

(١) اندريـــه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ص ٥٢ .

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – P 10 .

عقــابهم ، كما لا يمكن إنكار دوره الهام فى التلميح على ضرورة وجود قضــاء عادل يمثل كل البشر ، وهو ما نطلق عليه الآن مصطلح القضاء الدولى الجنائى ، حيث قرر بأنه الوحيد الذى يستطيع أن يقضى على هذه الجــرائم ويجعل كل الناس تعيش فى أمان واستقرار وعدل داخل حياتهم الإنسانية الواحدة .

ومــن هذا المنطلق يعتبر ابوور ثانى فيلسوف فى العالم بعد بتاح حــتب يــبرز جســامة وخطورة الجرائم الدولية ويلمح نحو فكرة إنشاء قضــاء دولى جــنائى ، كمــا إنه وبتاح حتب قد مهدا الطريق لفيلسوف مصــرى أعظم منهما ، قدر لـــه أن يظهر بعدهما ، ويكون ثالث فيلسوف فى العــالم عن الحكمة والعدل والفضيلة والأخوة الإنسانية الجامعة وهو اخناتون .

٣ - اخناتون - Ikhnaton:

مــن أعظــم ملوك مصر القديمة فى العصر الإمبراطوري ، جلس عــلى العــرش في عــام ١٤٠٠ ق . م - وإذا كان يعتبر ثالث فيلسوف مصــرى . إلا أنـــه أول فيلسوف فى العالم وضع نواة أسمى إدراك للفكر البشرى (إله واحد - عالم واحد - قانون عالمى واحد - توافق البشر) - والاسم الحقيقى لهذا الملك الفيلسوف هو امنحتب الرابع . واتخذ لنفسه اسم اخناتون لأن معناه (مكرس لله - خادم الله) وبالرغم إنه لم يتعــد

الـــثلاثين عامـــا عـــند وفاته إلا إنه خلف وراءه ميثاقا للحكمة يصلح لكل العصور [١] .

فقـــد عبر بصدق وإيمان عميق عن القوة العلوية في إطار فلسفي عـــن التوحيد المرتبط بالأخلاق والفضيلة ، مما جعل الفلاسفة الذين أتوا مـــن بعده يعتبرونه أول من أسس في تاريخ الإنسانية ارتباط قوة العقيدة بـــالأخلاق ، كمـــا تعتـــبر فلسفته عن الإله الواحد في كل شئ أي الوهية الكـــون ، المصـــدر الأساسي للفلسفة الحلولية التي عبر عنها الفيلسوف الهولـــندي بـــاروخ سبينوزا(١٦٣٢ - ١٦٧٧م) حيث رسم لله صورة تجمـــع الكمال كله في الكون وبأنه الخالق الوحيد لكل شيء في هذا العالم الحي .

مـــن خـــلال فكرة الفلسفي اعتبر أن أخطر الجرائم في هذا الكون الحي ، هي التي ترتكب ضد وحدة الإنسانية أو ضد أي حق من حقوق أي إنســـان في الحياة ، من حاكم ظالم أو من شخص متسلط ومستبد أو من كافـــر بحقيقـــة الله خـــالق كل البشر [٢] . لذا كان دائما يرتل بما جاء (بكـــتاب طبيبة عن الموتى) الذي تأثر به ليمحوا عن نفسه ارتكاب هذه الجرائم الخطيرة بالآتي :

---

(١) اندريـــه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام – الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق . ص ٥٢ .

(2) Henry thamas – the Great philosophers – op . cit – PP 11 – 12 .

[لــك المجــد أيها الإله العظيم ، إله الحق والعدل ، لقد استدعيت لاقــف أمامك يا سيدى ، حتى أرى بهاءك وأقدم حسابى .. لم أقم بإيذاء أى إنسان .. ولم أظلم الفقراء .. ولم أكلف نفسا عملا فوق طاقتها .. ولــم أهمــل واجــباتى .. كما لم ارتكب منكرا يغضبك .. لم أمنع عن الجيــاع طعامــا .. لم أسبب لأحد ألما أو أسل له دمعا .. لم أغش فى مكيال أو ميزان .. ولم أحرم الرضع لبنهم .. ولم اغتصب شيئا يخص إنسانا أو يتعلق بك .. إنى طاهر ، طاهر ، طاهر] [١] .

كمــا عــبر عن قوة إيمانه بالتوحيد فى قصيدة شعرية أهداها إلى بهاء الله ، وهى أحد أناشيد العالم السامية ، حيث قال :

[أيهــا الإلــه الــحى . يا مبدع الحياة .. إشراقك جميل فى أفق السماء ، لقد خلقت كل الأشياء .. وتسير كل شىء حسب مشيئتك ، إنك تــربط جميع الأقطار والأمم .. برباط محبتك تضيئ الأرض عندما يبزغ نــور فجــرك .. فتصــحوا الأرض مــن نومهــا مبتهجة وترفع جميع المخــلوقات أصواتها .. بأنشودة العبادة لك يا مصدر النور والضيــاء ، كل الأشياء الحية على الأرض وفى الجو والبحر .. تمتلئ جوانبها بلهب مجــدك أنــت خــالق النــبات فى الأرض..والبذور فى الأرحام أنت قد

---

(١) الإمــام محمد أبو زهرة : مقارنات الأديان (الديانات القديمة) طبعة ١٩٦٥ دار الفكر العربى ، ص ١٩ وما بعدها .

- Canrad Zucker – psychologie de la superstition – paris – 1952 – PP 9 – 13 .

غرستها .. واخرجتها إلى الحياة ، عندما يتحرك جنين الطير فى بيضته .. تمنحه الأنفاس ليكسر قشرتها ويخرج إلى ضوء الحياة .. كل شىء حى وأنــت حيــاة العــالم ، كم من العجائب تصنعها أيها السيد .. الإله الواحــد الــحى لجميع الكون أنت الأب المحب للناس جميعا .. فى مصر وسوريا وجميع أقطــار الأرض] .

وأيضــا من خلال فلسفته عبر عن ضرورة معاقبة كل من يرتكب جــريمة فى حــق الإنســانية بعقــاب يرضــى كل البشر (أى لمح إلى فكــرة القضاء الدولى الجنائى) ليضع حدا يمنع الفساد والظلم والطغيان فى هــذا العــالم الــحى ، حيث كان يقول (إذا كان هناك نيلا للمصريين تحــت أبصارهم ، إلا أنه يوجد نيل أخر من الماء الحى فى السماء لجميع شــعوب الأقطــار الأخــرى ، فالبشر أخوة جميعا ، وتضمهم أسرة ادمية واحدة) [١] .

وبذلك نجد أن اخناتون هو ثالث فيلسوف مصرى فى العالم يجسم خطــورة الجــرائم الدولية ويلمح نحو فكرة إنشاء قضاء دولى جنائى بعد بتاح حتب وابوور ، وذلك من خلال فلسفته التى اعتبر بها أول من أضاء شــعاع الأخــوة العالميــة وأبرز حقيقة الإنسانية الواحدة ، والإله الواحد الرحيم لكل البشر ، إله الحب والتسامح والعدل منذ فجر التاريخ .

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers .Op. cit- P 34.

٤ - بــوذا - Boda :

فيلســوف هــندى - ولد فى عام ٥٦٣ ق . م فى بلدة على حدود نيبال بالهند ، وكان من أسرة نبيلة وقيل بأنه كان أميرا ، وشب مترفا فى الــنعيم ويحمل الكثير من الثروة ، وتزوج عندما بلغ التاسعــة عشرة من عمــره ، وعــندما بلغ سن التاسعة والعشرين انصرف إلى الزهد والتأمل وهجــر زوجــته وخــرج هائما فى الأحراش والغابات راغبا عن الدنيا ، وتاركــا ملاذهــا غيــر مهتم إلا بالتأملات وأقام على ذلك ست سنوات لا يضــعف ولا يــلين حتى بلغ السادسة والثلاثين من عمرة ، إذ أحس بأن نوعا من المعرفة والعلم والحكمة قد أشرقت فى نفسه وقلبه، فأتخذ لنفسه مذهــبا ديــنيا دعا إليه بصدق عن طريق القول المقنع والعمل الصالح ، فتأسست عليه الديانة البوذية وفلسفة الأخلاق المستمدة منها [١] .

والاسم الحقيقى لبوذا هو (سداثنا) واسم أسرته (جوتاما) واسم والده شاكمين ، أما اسم (بوذا) فهو لقب اتخذه لنفسه ومعناه(العالم) كما كان يلقب أيضا (سكيامونى) ومعناه المعتكف [٢] .

---

(١) الإمـــام محمد أبو زهرة : مقارنات الأديان ، الديانات القديمة . مرجع سابق ص ٥٣ .

-Masa Haru Anesaki – History of japanese – op.cit – P 22.

- جورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص ٧٦ .

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit P 34 .

فقـد عكف بوذا على دراسة واحدة جعلها عماد نظرة وقوام بحثه والأسـاس الـذى بنى عليه ديانته ومذهبه الأخلاقي ، وهى الدراسة نحو تخفيف ويلات الإنسانية والقضاء على الظلم والاستبداد والطغيان والرزيلة والشـقاء فى هـذه الحياة ، ليعم الخير على البشر جميعا فى كل الأقطار حيـث لاحـظ بوذا أن هذه الحياة تحيط بها الأقدار والآلام من كل جانب ، وأن السـبب فى ذلك يرجع إلى اللذات والشهوات التى أنغمس فيها بعض الـناس وإلى الظلم والقسوة والوحشية وأعمال الشر الأخرى التى ترتكب ضد الأخوة الإنسانية من جانب بعض المستبدين والسفاحين [١] .

ولذلـك ارتكـز فى تأصـيل مذهبه الأخلاقى على تجسيم خطورة الجـرائم المرتكـبة ضد الإنسانية وطلب ضرورة التخلص منها من خلال السـلوك القويم للإنسان ، حيث وضع خطة مقدسة لعلاج وأصلاح أخلاق كـل البشـر تعتمد على حقيقة وجودهـم فى هذه الحياة ، وهى تتضمن ثمانيـة وجوه [تعلم كيف تفهم نفسك – كن صبورا – تحدث فى رفق – كـن فى فعلك نبيلا – أعمل بأمانة – ابذل جهدك فى كل حين – كن سريع الاسـتجابة لحاجات الأخرين – لتكن نظرتك إلى العالم رحيمة] ثم لخص بوذا بعد ذلك هذه الوجوه الثمانية فى ثلاث كلمات هى (الشفقة – التقوى – المحبة) [٢] .

---

(١) د / نور الدين اشرافية : معركة الحياة ، مرجع سابق – ص ٢٢٦ .

(1) Henry Thomas – the Great philosophers – op . cit – PP 41 , 42 .

وذكـــر بــوذا أيضا رذائل فى صورة وصايا طلب النهى عنها حتى يـــتمكن كل البشر من ضبط سلوكهم ويتجنبوا كل عوامل الشر وهى (لا تقـــتل أحدا ، ولا تقضى على حياة حى - لا تأخذ مالا لا يقدم إليـــك ، فلا تســـرق ولا تغتصب - ولا تكذب ، ولا تقل قولا غير صحيح - لا تشرب خمـــرا ، ولا تتـــناول مســـكرا - لا تزن ، ولا تأت أى أمر يتصل بالحياة التناســـلية إذا كان محرما - لا تأكل طعاما نضج فى غير أوانه - لا تتخذ طيـــبا ، ولا تكلل رأسك بالزهر - لا ترقص ، ولا تحضر مرقصا ولا حفل غـــناء - لا تقـــتن فراشـــا وثيرا ، فلا تقتن ارائك فخمة ، ولا وسائد ولا حشايا وثيرة - لا تأخذ ذهبا أو فضة) .

وهـــذه الوصـــايا العشـــر التى يجب أن يأخذها من يعتنق البوذية ليقـــوى إرادته فى البعد عن عوامل الشر قد أدت نتيجة لما جاء فيها من شدة إلى انقسام البوذيين إلى قسمين :

الأول : وهم البوذيون الدينيون الذين أخذوا بالوصايا العشر كلها

الثانى : هـــم الـــبوذيون المدنيون الذين لم يطبقوا الوصايا العشر كـــلها بـــل اكتفوا بالخمسة الأولى فقط ، وهى الابتعاد عن القتل والسكر والســـرقة والكـــذب والـــزنا ، حيـــث اعتبروا الوصايا أو النواهى الباقية خاصـــة بالمتدينين فقط [١] .

---

(١) الإمـــام محمـــد أبو زهـــرة : مقارنات الأديان ، الديانـــات القديمة ، مرجع سابق . ص ٧٦ .

أن أبــلغ مـــا أحدثـــه بوذا من مبادئ إنسانية هو طلبه والحاجة المستمر على ضرورة إلغاء نظام الطبقات من جميع المجتمعات الإنسانية الموجــودة فى هذا العالم الحى ، حيث اعتبر كل البشر سواسيه ولا يوجد بيــنهم أى فــروق فى الجــنس أو الطبيعة ، كما نادى أيضا بإلغاء الحكم المطلق حتى لا ينزلق الحكام والملوك والأباطرة نحو ظلم الناس وارتكاب الشــر دون حســيب أو رقيب ، وأيضا نادى بأهمية تحرير العبيد فى كل بقـــاع الأرض لأنهم أخوة فى الإنسانية ولا يحق لأخ أن يستعبد أخيه فى هذه الدنيا المليئة بحب الإلـــه الواحـــد [١] .

وبذلــك لم تكن فلسفة بوذا مقصورة على المجتمع الهندى فقط بل اعتـــبرها دعوى عامة لكل شعوب المجتمع الإنسانى ، حيث نادى بالوحدة الإنســـانية وتصـــور أن الإنســـانية أخوة ، وأن هذه الأخوة ترفرف على الجـــنس البشرى فى جميع بقاع الأرض ، وأن الهدف الأسمى هو السلام والمحبـــة لجميع شعوب العالم ليبتر الشر من حولهم وتضئ الظلمة على أسس ثـابتة من الفضيلة الحقة وطهـــارة القلوب [٢] .

---

(1) Masaharu Anesaki : History of Japanese op . cit . PP 24 – 28 .

(٢) اندريـــه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونان القديمة مرجع سابق ٠ ص ٥١٧ ٠

لقــد خــدم بوذا بفلسفته الإنسانية كلها ، وعاش مخلصا ومجاهدا لنشــر مــبادئه السـامية نحــو حقيقة الوجود الإنسانى ، كما يعتبر من ضــمن أوائــل الفلاســفة فى العالم وإن كان رابعهم بعد المصريين الذين عبروا عن خطورة الجرائم التى ترتكب فى حق الإنسانية وهى التى يطلق عــليها الآن الجــرائم الدولية ، كما عبر أيضا عن ضرورة وجود قضاء عادل يمثل جميع الشعوب ليعاقب بشدة من يرتكب هذه الجرائم حتى يسود الخيــر بين البشر ويبتر الشر من كل بقاع الأرض ، وهو ما يطلق عليه أيضا القضاء الدولى الجنائى ، ولذلك فإن مبادئ بوذا قد تعلم منها معظم شــعوب العالم بعد ترجمتها إلى لغات عديدة ، حيث استمر فى دعوته مدة أربعيــن عامــا دون مــلل أو كلل وحبه للعالم أجمع قد جعل منه (رائد الديمقراطية فى التاريخ القديم) لأنه كان ينظر إلى جميع الناس على إنهم ملوك .

وعــندما وصــل إلى سن الثمانين من عمره وبلغت حياته نهايتها ووقع فريسة للمرض . طلب من تلاميذه أن يضعوه على فراش من أوراق الشــجر ، ثــم تلفظ لفظة أخيرة وهو فى سكرات الموت وقــال (لسنا جميعــا إلا قطرات ماء تنساب تجاه محيط السلام الأبدي . فلنحاول جادين لكى ننال هذا السلام) [١] .

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – PP 45 , 46 .

هــذا هــو بوذا فيلسوف الهند والعالم أجمع تعلم منه كل فلاسفة الإغــريق والــرومــان ، كمــا تعــلموا من الفلاسفــة المصريين الذين سبقــوه .

٥ - كونفوشيوس : Konvochios:

فيلسوف ولد فى الصين بمملكة لو (إقليم شانتونج حاليا) فى عام ٥٥١ ق ٠ م ، وقد تربى فى أسرة عظيمة حيث كان والده يعمل قائدا فى الجيــش الصــينى ثم تولى بعد ذلك حكم إحدى المدن فى الصين ، إلا إنه تــوفى عــندما بــلغ كونفوشيوس سن الثالثة وحدث اضطراب فى أحوال أســرته المالية ، الأمر الذى أدى إلى اضطراره للعمل فى سن مبكر أثناء تــلقيه عــلومه فى المدرســة لكى يساعد فى تخفيف الأعباء المالية عن أســرته وأعالــة أمه ، وقد تعلم العزف المتقن على الناى وأصبح عازفا بارعــا ممــا جعل فلسفته يهتدى بها حكماء الصين من بعده فى سهولة ويســر وعمــق فى راحة البال ، ويرسخ فى أذهانهم بأن الموسيقى فن يهــذب النفس ، وتسير جنبا إلى جنب مع الفلسفة والفكر النافع للإنسانية جميعا [١] .

تعلم كونوشيوس أراء الأقدمين فى العقيدة وفلسفة الاخلاق عموما

---

(١) انظــر مؤلفنا - التاريخ العام لأهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة - مرجع سابق - ص ٣١٤ وما بعدها .

ودرس التاريخ والشعر والأدب والحكمة ، وبعد أن أخذها بعمق أصبح مدرسا رحالا ذا أخلاق نبيلة ، وسلطان تام على نفسه وقال (أعيش الآن فى الشمال والجنوب والشرق والغرب) [١] .

فقد كون من جميع هذه العوامل فلسفته الأخلاقية التى اهتدى إليها . وأصبح فيلسوف المادية والواقع الروحى ، كما دعا إلى الانسجام الكلى مع الطبيعة [٢] وقال (أن الإنسان روح بجسد يحوى الشهوات والرغبات ، والطاقة الحية – وعليه أن يتغلب على تلك الشهوات والرغبات ويتجنب ويبتعد عن كل عوامل الشر ويجنح نحو السلام والخير ، ومن الخير أن تتفاعل مع الطبيعة ، فإذا استطعنا أن نوفق بين غرائزنا والطبيعة أصبحنا فى مرتبة معادلة للسماء والأرض ، وذلك لأن جميع الأشياء حية وتعمرها الروح فيجب الاطمئنان إلى الحياة بوداعة ، ومحاولة العيش فيها بسعادة ، وإذا فهمنا الحياة فلا نخاف شيئا ، لأن كل شيء حسن فى هذا العالم ، أن الطغاة يموتون ، والخونة لينتحرون) [٣] .

---

(1) Henry thomas – the philosophers – op . cit – P 53 .

(٢) اندريه ايمارد . جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق – ص ٥٧٨ .

(٣) د . نور الدين اشراقية : معركة الحياة – مرجع سابق – ص ٢٢٧ .

أشار أيضا فى فلسفته بأن الإنسان الأسمى يرعى أربعة مبادئ هى (العلم الغزير - السلوك الحسن - الطبيعة السمحة - العزيمة القوية) أى أن يكون الإنسان على دراية كاملة بالعلم والمعرفة ، وحسن السلوك فى معاملة الآخرين ، وطيب القلب ورحيما وعطوفا على الفقراء والمحتاجين وذا عزيمة قوية يقدر بها على مواجهة أمور الحياة ويتصدى لكل ظلم وفساد وأن يديم المحبة لكل الجنس البشرى ، حيث قال كونفوشيوس عن المحبة (أحبوا جميع البشر ، وأبعدوا عن الكراهية ، فالكراهية لا تولد إلا الكراهية ، والمحبة يمكن أن تتغلب على الكراهية كما تتغلب المياه على النار الموقدة) وأيضا قال عن العدالة عندما قام بتعريفها (أليست العدالة وتبادل المثل بالمثل شيئا واحدا) وعن تبادل المعاملة التى سماها بالقاعدة الذهبية قال (لا تفعل بالآخرين ما لا تحب أن يفعله الآخرين بك) [1] .

كان كونفوشيوس لا يقوم بتدريس وتلقين فلسفته إلى تلاميذه فقط ، وإنما لقنها أيضا للملوك وأصبح مرشدا عاما لهم معتقدا أن صلاح الحاكم يؤدى إلى صلاح الناس ، وأن السياسة الحكيمة للحاكم هى أساس تهذيب الرعية ، وتدفعهم نحو التعاون والمحبة والإخاء حتى تقوم المحبة

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – PP 61, 62 .
- A. Rygaloff – viede confucius – paris – 1946- PP 28 ets.

بين الناس مقام القانون [١] ، ولذا كان يقول للحكام والأمراء وهو يطوف البلاد لإرشادهم بأن (السياسة هى الإصلاح ، فإن جعلت صلاح نفسك أسوة حسنة لرعيتك ، فمن الذى يجترئ على ارتكاب الفساد) [٢] .

وأول حاكم تلقى هذه النصائح والفلسفة من كونفوشيوس هو ملك ولاية (تشى) الذى أراد تطبيق فلسفة الأخلاق الفاضلة فى الحكم - سال كونفوشيوس عن الطريقة المثلى التى يجب أن يحكم بها ملك بلاده ، فأجابه كونفوشيوس قائلا (أن يعطى الفرصة للجميع من الأمير إلى العبد أو المتسول لكى يعيشوا فى تآلف ، ثم يسعى لإزالة كل الأسباب التى تخلف العبيد والمتسولين فى المجتمع ، لأن تكامل الفرد ينبع من العدالة الاجتماعية ، والعيش فى بلد تسوده العدالة ، يساعد الناس ويمكنهم من ارتداء الشرف والمجد فى تواضع ويتحملوا أحزانهم برباطة جاش) ومن هذا المبدأ أصبحت قوانين الأخلاق التى وضعها كونفوشيوس لا تنفصل عن السياسة ، فأفضل الحكام هم المتحلون بالخلق الحسن ، لأن الحاكم لا يستطيع أن يحمل الناس على الجد والإخلاص والصدق والمحبة ، من غير أن يحمل نفسه عليها [٣] .

---

(١) جورج سارتون : تاريخ العلم - مرجع سابق . ص ٧٩ .

(٢) الإمام محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان . الديانات القديمة .مرجع سابق . ص ٧٦ .

(٣) رو صن - وحدة الإنسان فى فلسفة الصين القديمة . ترجمة : د . محمد جلال عباس - طبعة ١٩٨٩ - كلية آداب جامعة القاهرة . ص ٣ - ٥ .

وبذلك فإذا كان كونفوشيوس يعتبر خامس فيلسوف فى العالم، إلا أنـه أول فيلسـوف فى العـالم يعبر بفلسفته الصادقة عن المعنى الدقيق لمفهـوم العدالـة الاجتماعية وأفضل النظم السياسية التى يجب أن يتبعها جميـع الحكـام والمـلوك ، وأنـه مـن خلال فلسفته قد عبر عن مدى خطـورة الجرائم التى ترتكب فى حق الإنسانية وأهمية الحد منها ومعاقبة مرتكـبيها ، لأنـه كان دائما يركز على ضرورة إزالة الطبقات بين أفراد الشعب والاجتهاد نحو تحرير العبيد والقضاء على الأسباب التى تؤدى إلى وضـعهم فى طوق الاستعباد إلى جانب اهتمامه بنشر الطرق المثلى التى يجب أن يحكم بها الملك بلاده (١) .

وفلسـفة كونفوشـيوس عالميـة لكل البشر وأكد ذلك بقوله [فى الوقـت الذى تتقرر فيه العدالة فإن العالم كله سور يعتبر جمهورية ... فيهـا يخـاطب الـناس بعضهم بعضا بإخلاص ، ويظللهم السلام الشامل

---

(١) جيان بوه تسان . شاوشيون تشنغ . هوهوا : موجز تاريخ الصين . مرجع سابق ص ١٥ ، ص ١٦ .

- تاريخ الصين . الجزء الأول . مرجع سابق . ص ٢١ ، ص ٢٢ .
- الامام محمد أبو زهرة : مقارنات الأديان . مرجع سابق ، ص ٩٤ وما بعدها .
- د . فـؤاد محمـد شـبل - حكمة الصين - طبعة ١٩٦٨م - دار المعارف بالقاهرة - ص ٦٤ ، ص ٦٥ .

وتكـــبت مكائد الأنانية ، أما اللصوص والنهابون والخونة فسوف لا تبتلى بهـــم الأرض بعد ذلك ، وما الهدف من تعاليمى إلا رؤية ما أسميه التآلف العظيم بين الجنس البشرى] (١) .

مـــن هذا المنطلق عاش كونفوشيوس يدعو بفلسفته العالمية حتى بـــلغ الثانية والسبعين عاما من عمره ، فمات فى عام ٤٧٩ق٠ م وهو مغمـــور بحـــب كـــل البشر بعد أن ضرب المثل فى الكفاح من أجل إظهار الحقيقـــة ، والمـــبادئ العـــليا لوحدة الإنسانية وأخوة جميع البشر فى كل أقطـــار العالم ، وقد تسربت فلسفته بقوتها إلى كل شعوب القارة الأسيوية والإفـــريقية ، ثم انتقلت بجاذبيتها إلى القارة الأوروبية وتتلمـــذ عليها كل فلاســـفة الإغـــريق والـــرومان إلى جانب معظم فلاسفة العصور الوسطى والحديثة (٢) .

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers-op.cit- P 56.

- رو صـــن – وحـــدة الإنســـان فى فلسفة الصين – مرجع سابق – ص ٧ وما بعدها .

(٢) د . نور الدين اشراقية : معركة الحياة . مرجع سابق. ص ٢٢٨ .

- اندريـــه ايمارد . جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق . ص ٦٠٢ .
- د . فؤاد محمد شبل – حكمه الصين – مرجع سابق ص ٦٨ .
- د . حســـن شـــحاته ســـعفان – كونفوشيوس – غير محدد سنة الطبع – دار النهضة العربية – ص ٣٠ وما بعدها .

٦ - زرادشت – Thradeicht :

فيلسوف ولد فى عام (٥٠٩ ق . م تقريبا) فى بلاد فارس التى كـانت فى تلك الفترة مسرحا للاستبداد والوحشية والطغيان ، فعندما بلغ سن السابعة من عمرة ، قام برعايته عدد كبير من الحكماء علموه سبيل التقوى والفضـيلة ، وبعـض العلماء والمؤرخين يشيرون بأن الحكماء المصـريين والعبرانيين قد اشتركوا فى تربيته وتعليمه ، وبأن هناك أدلة واضـحة فى فلسفة زرادشت الأخلاقية تشير بأنه قد تأثر بطريقة مباشرة أو غيـر مباشرة بوحى أفكار بتاح حتب وابوور واخناتون ، وجانب كبير من حكمـاء وفلاسفة الشرق القديم [١] .

ولمـا بلغ الخامسة عشر من عمره أتم تعليمه وأصبح قادرا ومهيأ لأن يـأخذ عـلى عاتقـة تسطير الحكمة والتدين ، فكرس نفسه للخدمات الاجـتماعية ، فقـام بخدمة المرضى، وإطعام الجياع ، وإراح المسنين ، وسـاعد الفقراء والمحتاجين مع استمراره فى الدراسة والعلم والمعرفة ، وعـندما أكمـل سن الثلاثين تأهب ليكون داعيـا إلى عبادة الإله وأستاذا لفلسـفة جديدة للأخلاق فى الشرق ، فأخذ يجوب الأقاليم متنقلا بين بلاد فارس والهند والصين عشر سنين يدعوا الناس إلى الهداية والحق[٢] .

---

(١) اندريــه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق . ص ٢٢٤ .

(٢) د . نور الدين أشراقية : معركة الحياة . مرجع سابق . ص ٢٢٢

- **J. DUCHESSE – Guillemin Zoroastre, etude criligueavec une traduction commenter de gothe – paris – 1950. PP 34 ets .**

قـــام زرادشـــت بجمع فلسفته الدينية ، والأخلاقية فى كتاب اسماه (افســتا) ويعـــرف حاليــا فى عالمنا الحديث باسم (زند - افستا) أى (تفسير الحكمة) حيث بين فيه طبيعة الإله وواجب الإنسان والغرض من الحيــاة ، فعــرف الإله بأنه (رب الخليقة والحياة والمادة والروح ، وهو المحـــرك الــذى لا شــكل له ولا حدود له ولا نهاية له ٠٠٠٠) وواجب الإنســـان بـــأن يتحلى بالخلق الحسن ويبتعد عن كل عوامل الشر ويحب جميــع البشر ، والغرض من الحياة بأن (الإله غرس فى نفسنا حبا كاملا لوطننا ، وإنه ليس هناك إلا وطن واحد وإله واحد وإن كانت أماكن أقامتنا متفرقة لأن تفسيراتنا المتنوعة تمكنا من جمع ارائنا المجزأة المبعثرة فى حقيقـــة واحـــدة أبديـــة ، وهذه الحقيقة الأبدية هى الدرس الذى علينا أن نتعـــلمه فى مدرسة الحياة بأننا جميعا أخوة فى عالم واحد وأسرة إنسانية واحدة) ٠

كمـــا عـــبر فى كتابه بأنه لكى نفهم الله ونعرفه بالمنطق والحقيقة يجب علينا أن نتعلم كيف نفهم إخواننا فى الإنسانية . وكيف تكون أخلاقنا فى تعاملـــنا مع كافة الناس وبأنه فى طريق هذا الفهم وتلك المعرفة نمر بعدد من علامات الطريق التى تشير إلى هدفنـــا وأهمها :

(١) العدالـــة (فإن تعرف الحق ٠ تعرف الله) وقد اهتدى إلى هـــذا المبدأ الفيلسوف الإغريقى أفلاطون وجعلـــه أساس مذهبه الفلسفى فى الأخلاق ٠

(٢) التعاون (رمز الإخاء والمحبة بين كل البشر وعلى أساسه تـزول كل ما يعوق ويعكر صفو الحياة الإنسانية حيث يحقق الخير الدائم ويتغلب ويمحو كل عوامـل الشـر) .

(٣) الإيمـــان : (إيمان الإنسان بالله ما هو إلا حبة للجنس البشرى لأن الله يضم جميع البشر فى حبة الشامل الجامع) .

(٤) السـعى إلى الكمـال : (بأن الله أراد أن نحارب إلى جانبه لنجعل من هذا العالم شيئا فاضلا نوطد فيه أركان الخير ونبتـر منه الظلم وكل عوامل الشـــر) .

وقد شغلت هذه الفكرة انضج عقول الفلاسفة الذين جاءوا من بعد زرادشـت حتى وليم جيمس ، وهربرت سبنسر ، بالإضافـة إلى ذلك فقد قـال زرادشت [بأن الله يوحينا بأن نحول الشر إلى الخير فكل منا عامل فى بستان الله والحياة غاية تطمئن لها النفوس ، والله يتعاون معنا لنخرج مـن الفوضـى نظاما ومن القبح جمالا ومن الحرب سلاما . ونحن جميعا علينا أن نبنى مصيرنا على الخير ، وعندما تنتهى مهمتنا فى الحياة سيتم استدعاء كل منا ليقدم حسابا عن عمله فالذين فشلوا فى تأدية واجبهم ولم يعمـلوا عملا صالحا سينالون عقابا شديدا من الله عما ارتكبوه من ذنوب فى حياتهم] وهذا يشير إلى تأثر زرادشت بفلسفة المصريين القدماء[1] .

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – PP 21 ets .

وبذلـك يتضـح من منهج زرادشت الفلسفى بأنه قد جسم خطورة الجـرائم التى ترتكب فى حق الإنسانية وحث على ضرورة العقاب عليها مـن كـل البشـر فى صورتهم المتحدة التى صورها فى كتابه عن معالم الطـريق إلى الله ، كمـا أن دعوتـه للإيمان المرتبط بالخلق الحسـن ، والتمسك بالحق والقوة والتغلب على كل عوامل الشر كانت لجميع شعوب العـالم وغيـر مقصـورة على شعب معين ، ولهذا قد اهتدى الفيلسوف السويسـرى نيتشـه إلى كثير من مبادئ زرادشت حيث قام بعرضها فى كـتاب قام بوضعه تحت عنوان (هكذا تكلم زرادشت) ليجعل منها دعوة أخلاقيـة تحـاكى فى أسـلوبها كـلمات الكتاب المقدس [١] وذلك بعد أن تسـربت فلسـفة زرادشت واعتنقتها شعوب كثيرة فى آسيا وفى أوروبا لـدى الإغـريق والـرومان ، ومعظم فلاسفة العالم فى العصور الوسطى والحديثة [٢] .

---

(١) برتراند رسل : حكمة الغرب ٠ الجزء الثانى ٠ لندن ١٩٦١٠ ترجمة د ٠ فـؤاد زكـريا ٠ الطـبعة الأولى ١٩٨٣م ٠ عالم المعرفة – الكويت – ص ٢٠٥ ٠

(٢) د ٠ نور الدين أشراقية : معركة الحياة ٠ مرجع سابق ٠ ص ٢٢٢

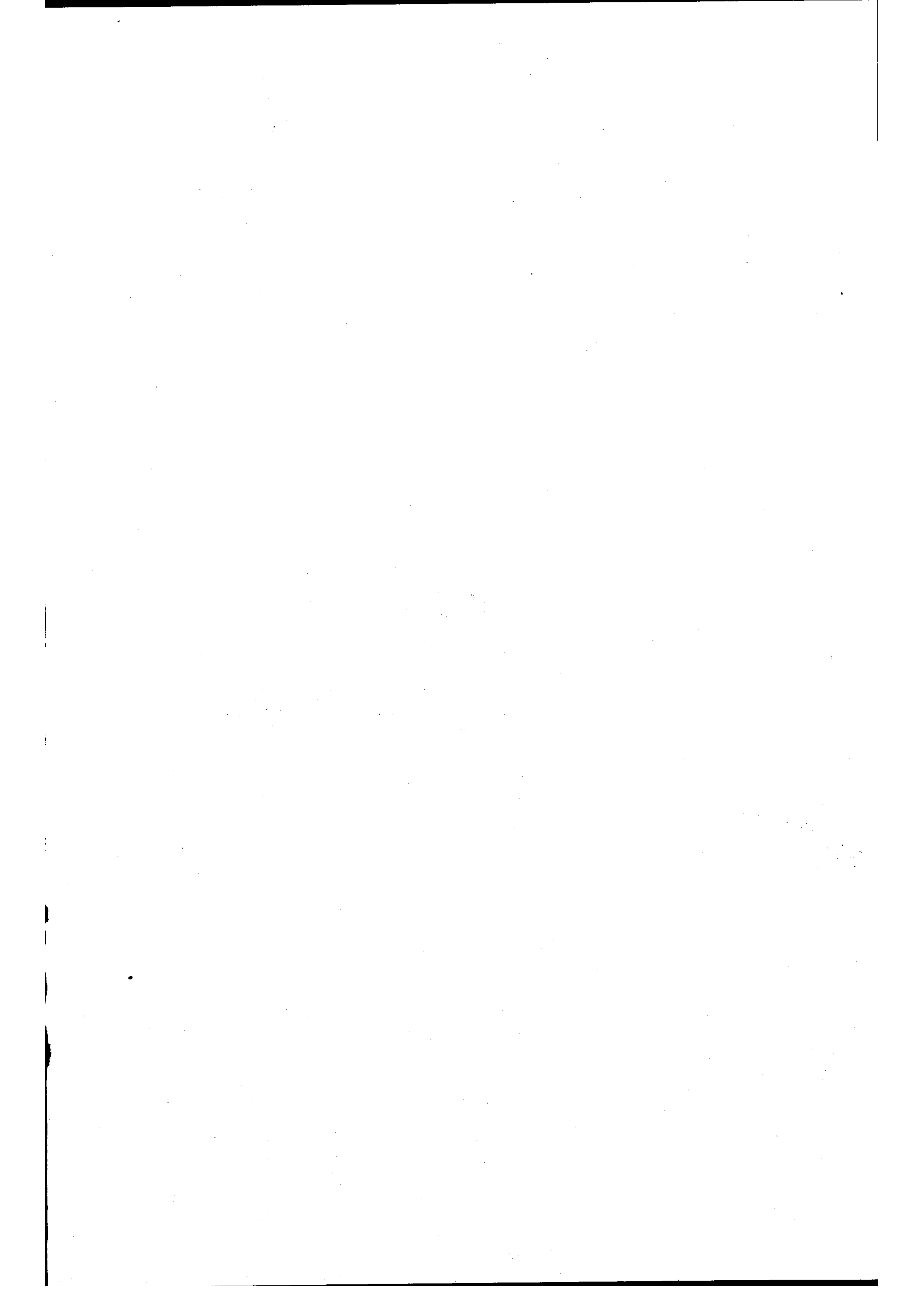
– جواهـر لال نهـرو – لمحات من تاريخ العالم – نقله إلى العربية لجنة من الأسـاتذة الجـامعيين – الطبعة الأولى ١٩٥٧ – منشورات المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت – ص ٢٥ وما بعدها ٠

وبـــناء على ما تقدم ، فإن البذور الأولى لتجسيم خطورة الجرائم الدوليـــة على الحياة الإنسانية وفكرة إنشاء قضاء دولى جنائى قد غرزها فلاســفة الشـــرق العظماء منذ أوائل العصور القديمة ، من خلال فكرهم الفلســفى وما أبرزوه من حقائق الحكمة والقيم العليا والمبادئ الأخلاقية العليا ، كما أنهم اتحدوا فى أراءهم على أسس واحدة بأن العالم كله أسرة بشــرية واحـــدة ، وبأن الإنسانية وطن واحد لإله واحد ، وتعاون وترابط جميع الشعوب فى الأخوة الواحدة سيحقق لهم النور والخير ويمكنهم من قهر الظلام والشر .

وإذا كنا سنكتفى بهؤلاء الفلاسفة الذين تم عرضهم ، رغم أنه قد ظهر بعدهم فلاسفة عظماء آخرون فى المجتمعات الشرقية . فإن ذلك من أجــل عــرض فلاســفة الغرب الذين ظهروا فى الفترات التى تلت أوائل فلاسفة الشرق القديم .

الفصل الثاني

الفلسفة الغربية



تقديم:

تعتبر الفلسفة الغربية الوريث الشرعى للفلسفة الشرقية بداية من عصر الإغريق - وليس كما يقول بعض علماء أوروبا بأن الفكر الفلسفى تأصل أولا فى الغرب منذ ظهور الحضارة اليونانية دون أن يقتبس شيئا من الفلسفة الشرقية (١) .

أو كما يقول برتراند رسل بأن الفكر الفلسفى فى العالمين الغربى والشرقى قد ساروا فى طريقين منفصلين وتطور كل منهما بمعزل عن الآخر (٢) .

لأن هذا الرأى يخالف الحقيقة التى ثبتت فى سجل التاريخ وتأكدت بوضوح تام فى كل الاتجاهات الفكرية التى عبر عنها معظم فلاسفة العالم . وفى ذلك يقول الدكتور هنرى توماس وهو من أعلام الفكر الحديث فى أمريكا (ينسب كثير من المهتمين بدراسة الفلسفة إلى اليونان فضل السبق ، وليس هذا إلا وقوعا فى خطأ فاحش ، فحب الحكمة كالشمس تماما ، بزغ نوره فى الشرق، ثم ما لبث أن انتشر تجاه الغرب ، فليس فى وسعنا فى أن نفهم فلسفة اليونان فهما تماما إلا إذا عرفنا إنها مدينة للفلسفة فى مصر وفارس والهند والصين ، فقد نادى بتاح حتب

---

(١) شارل فرنر : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق . ص ١٥ .

(٢) برتراند رسل : حكمة الغرب . مرجع سابق . ص ٥ ، ص ٦ .

بفكــرة الإله الذى يهدى الناس على الأرض ، ثم ارتقى اخناتون من هذه الفكــرة إلى نظــرية إله واحد عالم واحد .. أما زرادشت فقد حاول أن يفسر مشكلة الخير والشر باستخدام النظرية التى تقول إننا نعمل سويا مع الله على بناء عالم أفضل ، كما نادى كونفوشيوس بالقاعدة الذهبية للعدل المتــبادل - فهــذه الخيــوط والآراء الفلسفية وغيرها كثير ، انتقلت من الشرق إلى بلاد اليونان ، وأن فلاسفة اليونان نقحوها دون أن يغيروا فى معــناهــا أو مضمونها ، ولذا فإذا كان الحكماء الشرقيون قد لقنوا العالم جمال القداسة فأن فلاسفــة اليونان أكدوا قداسة الجمال) [١] .

إن اهتمامــنا بإبــراز هــذه الحقيقة ليس من قبيل التعصب للفكر الفلســفى الشــرقى ، أو إنكــار الدور العظيم الذى قام به الفكر الفلسفى الغربى فى خدمة الإنسانية - وإنما من أجل أن تكون الأمور واضحــة فى تسلسل الحياة الإنسانية عبر الأزمان المختلفة ، وهذا التسلسل لا يمكن أن يستقيم على الإطلاق إلا إذا كان التاريخ الفكرى للبشرية ذو حلقة متصلة لأن تيار الفلسفة والحكمة لابد أن يكون واحد لكل البشر ، وإن هذا التيار لابــد أن تكون لــه نقطة بداية يتدفــق منها ، ونقطة البداية لا يمكن أن تكــون إلا فى المــنطقة الــتى ظهرت فيها أول حضارة فى تاريخ الحياة الإنسانية ثم يمر التيار بعد ذلك للحضارة التى تليها وهكذا .

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – PP 68 .

وحيــث إنـــه لا يوجــد شــك بــأن الحضارات الشرقية قد سبقت الحضــارات الغــربية بما يزيد عن ثلاثة آلاف سنة فإن القول بأن الفكر الفلســفى الغــربى قد تأصل أولا أو إنه قد بدأ منفصلا عن الفكر الفلسفى الشرقى لا يتفق مع الحقيقة ولا مع الواقــع ولا مع المنطق .

وعلى هذا الأساس سنوضح الجهود التى قام بها الفكــر الفلسفى الغــربى فى تجسيم خطورة الجرائم الدولية وفى فكرة إنشاء قضاء دولى جــنائى باعتبار إنها جهود متصلة للفكر الفلسفى الشرقى وذلك من خلال عرض آراء أهم فلاسفة الغرب فى عصر الإغريق ثم فى عصر الرومان ، لكى نتبين حقيقة فكرهم وآرائهم فى هذا الموضوع ، ولكى نؤكد أيضا أن مــا رددوه كان عبارة عن تنقيح لأسس وأصول قد نبعت أولا فى الشرق عــن مــبدأ الوحدة الإنسانية أو الأخوة العالمية لجميع البشر ، وبالتالى سنقسم دراستنا فى هذا المفصل إلى مبحثين على النحو التالى :

- المبحث الأول : الفكر الفلسفى اليونانى .
- المبحث الثانى : الفكر الفلسفى الرومانى .

المبحث الأول

الفكر الفلسفى اليونانـى

****

إذا كـانت الفلسـفة الشـرقية قد أسست مبدأ الوحدة الإنسانية أو الأخـوة العالمية بين جميع الشر على جوهر فكرى واحد قائم على فكرة الـتوحيد بالإله الواحد خالق الكون وما فيه من أشياء وكائنات ومخلوقات وبشـر ، إلا أن الفلسـفة اليونانيـة قـد أسسـت هذا المبدأ على أفكار فلسـفية متعددة ومختلفة رغم أن جميعها كانت تستند على فكرة التوحيد المقتبسـة مـن الفلسـفـة الشرقية ولكن فى ثبوت فكـرى متباين من فيلسوف لآخر .

وهـذا يـرجع إلى أن التفكير الفلسفى اليونانى قد مر بعدة أدوار مـتعددة ، وكل دور كانت له خصائصه أو مميزاته الخاصة التى تميز بها كليا أو جزئيا عن الدور الآخر - وهذه الأدوار يمكن حصرها بصفة عامة فى اتجاهين :

الاتجـاه الأول : يضـم الفكـر الفلسفى الذى انحصر فى أضيق نطاق دائرة الكون وعالم الطبيعة وهى الخاصة بنشأته وأصله الذى انحدر مـنه لكى يصل إلى فكرة توحيد الجنس البشـرى أو مبدأ وحدة الإنسانية على أسس طبيعة أو مادية بحته .

وعلى هذا الأساس فإن جميع فلاسفة هذا الاتجاه ماديون أو طبيعيون لم يهتموا على الإطلاق بالتوحيد القائم على فكرة الإله الواحد وإنما على فكرة الظواهر الطبيعية الموجودة فى هذا الكون .

الاتجاه الثانى : يضم الفكر الفلسفى الذى انحصر فى دائرة ما وراء الطبيعة لكى يصل إلى فكرة توحيد الجنس البشرى على أسس غير مادية ، وإنما على أسانيد تتجه نحو الألوهية المتمثلة فى الروح أو العقل الإلهي أو خلود النفس .

وعلى هذا الأساس فأن فلاسفة هذا الاتجاه روحانيون وإن كان بعضهم قد استند إلى المادة بجانب الروح أو خلود النفس [١] .

ولكى توضح ذلك سنعرض أهم فلاسفة كل اتجاه لكى نظهر ما وصلوا إليه فى تأسيس مبدأ الوحدة الإنسانية أو الأخوة العالمية وفكرة تقاربها نحو الخير وتكاتفها فى التصدى لعوامل الشر التى تتعلق بموضوع دراستنا ، وعلى هذا الأساس سنعرض مضمون الفكر الفلسفى الإغريقى فى مطلبين على النحو التالى :

المطلب الأول: سنوضح فيه فكر الفلاسفة الطبيعيون أو الماديون .

المطلب الثانى : سنطرح فيه فكر فلاسفة فيما وراء الطبيعية .

(١) د . محمد بيصار : الفلسفة اليونانية (غير محدد سنة الطبع) جامعة السيد محمد بن على السنوسى ، بليبيا – ص ٥٠ ، ص ٥١ ، ص ٧٣ .
– شارل فرنر : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق ص ٢٩ وما بعدها .

المطلب الأول

الفلاسفة الطبيعيون أو الماديون

****

١ – طاليس – Tolies :

ولد طاليس أول فلاسفة اليونان فى مدينة ملطية (وكانت أصغر مستعمرة يونانية فى آسيا الصغرى) فى عام ٦٢٤ ق٠م ، وقد رحل إلى بلاد عديدة ، وتأثر فى فلسفته ببعض فلاسفة الشرق حيث إنه حاول أن يكشف عن الجوهر الأوحد الذى خلقت منه السماء والأرض ، رغم أنه كان يؤمن بمذهب تعدد الإلهة الذى كان يعتقده الشعب اليونانى – وذلك من أجل أن يصل إلى مبدأ وحدة الإنسانية أو وحدة الجنس البشرى بأسلوب آخر مادى بدلا من الأسلوب الروحى الذى كان يعتنقه فلاسفة الشرق ٠

وفى النهاية استنتج أن هذا الجوهر هو الماء – فقال أن الماء هو أساس الحياة ، وعدم وجوده هو الموت ، لأن الأشياء الحية تخرج منه وتعيش عليه ، وعندما يمتنع عنها تتعفن وتموت وتتحول إلى تراب ، والماء عندما يتبخر يصبح هواء وعندما يتجمد يصبح ثلجا وصخورا . وبالتالى صرح طاليس بأن الماء هو الجوهر الأساسى المركزى الذى تتكون منه الحياة وكل ما بهاء من أشياء أى هو الذى يبرهن عن وجود وحدة الجنس البشرى أو وحدة الإنسانية ٠

وعلى أساس وحدة الإنسانية القائمة على هذا الجوهر يرى طاليس بفكـرة الفلسفى بأنه يجب على كل شعوب العالم أن يتحدوا فى الخير وأن يتصـدوا جميعـا لأعمـال الشـر ، ومعاقبة من يرتكب أى جريمة تمس وحدتهم الإنسانية (١) .

٢ - انا كسيماندر- Ana Kesiman Der:

فيلسـوف يونانى جاء بعد طاليس ، وولد أيضا فى ملطية عـام ٦١١ ق٠م ورغم أنه كان تلميذ طاليس إلا أنه أخذ يبحث عن مادة أخرى غير الماء تفسر الوجود كله وتكون أساس وحدة الجنس البشرى أو وحدة الإنسانية .

واسـتمر فى هـذا البحث إلى أن اهتدى بأن المادة التى خلقت كل الأشـياء مادة دقيقة أطلق عليها اسم (اللامتناهى) ومن هذا اللامتناهى قـرر بأنـه دائـم الحيـاة ودائم الحركة ومنه خرجت السماء إلى أعلى والمحيطـات إلى أسـفل ، ومن المحيطات خرج الماء نتيجة التبخر تحت

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – PP 68 – 69 .

- شارل فرنر : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق٠ ص ٢٩ ، ص ٣٠ .
- د ٠. محمـد بيصـار : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق ٠ ص ٥١ ، ص ٥٣ .
- جورج سارتون : تاريخ العلم ٠ مرجع سابق ٠ ص ٩٧ .

الشـــمس ومـــن الماء خرجت أول المخلوقات المائية الحيـــة ، ثم تطـور النســل إلى طيور ثم إلى حيوانات حتى بلغ آخر خليقة فى الكون وهو الإنسان [١] .

وفى ذلك يقول الدكتور هنرى توماس بأن (أنا كسيماندر وإن كان قد أعطى أول إشارة أوروبية إلى نظرية داروين فى النشوء والارتقاء ، إلا أنـــه قد أقتبسها من الفلسفة الصينية التى سبق أن أعطت أول إشارة مـــبكرة لهذه النظرية ، ولذلك فإن نسبة كبيرة مما نسميه أراء حديثة ، لا يخرج عن كونه مجرد إحياء لحكمة الشرق القديمة) [٢] .

وبالـــتالى فـــأن أســـاس وحدة الجنس البشرى أو وحدة الإنسانية واتحـــاد جميـــع شـــعوب العالم نحو الخير ، وتصديهم جميعا للظلم وكافة أعمال الشر مع معاقبة من يرتكب أى جريمة تمس وحدتهم الإنسانية يقوم عـــند (انـــا كسيماندر) طبقا لفكرة الفلسفى على جوهر (اللامتناهى أو اللانهايـــة) أى المادة الغير محدودة التى تنشأ المواد الجزئية التى تخلق الحياة وما بها من أشياء وكائنات ومخلوقات وبشـــر [٣] .

---

(١) اندريـــه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونان القديمة ٠ مرجع سابق ٠ ص ٣٠١ ٠

- د ٠ محمد بيصار : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق ٠ ص ٥٣، ص ٥٥ ٠

(2) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit . P 70 .

(٣) شارل فرنر : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق ٠ ص ٢٩ ، ص ٣٠

- جورج سارتون : تاريخ العلم ٠ مرجع سابق ٠ ص ٩٧ ٠

٣ - اناكسيمانز- Ana Kesimans :

فيلسوف يونانى جاء بعد أناكسيماندر بثلاثة وثمانين عاما ، حيث ولد أيضا فى مدينة ملطية عام ٥٢٨ ق ٠ م - وهو إن كان قد تتلمذ على الفكـــر الفلسفى لكل من طاليس وانا كسيماندر إلا أنه أخذ يبحث عن مادة أخـــرى غيـــر التى اهتديا إليها ، لتكون فى نظره الأساس الحقيقى الذى يفســـر الوجـــود كلـــه ووحدة الجنس البشرى حيث لم يقتنع بالماء ، ولا بفكرة اللامتناهى ٠

واســـتمر فى هذا البحث إلى أن اهتدى بأن (الهواء) هو الجوهر الوحيد لوجود الكون - حيث قرر بأن الهواء حى لا محدود ولا موقوت ، وخـــلال حركـــته اللانهائية ينشأ المادة والروح لهذا الكون الحى ، لأنه عـــندما يـــتكاثف تـــتكون منه الأشياء المادية مثل الماء والنار والسحاب والتراب والمعدن والصخر التى تعتبر مادة العالم ، وعندما يكون أكثر رقة يكون النسيم الذى يعتبر نفس العالـــم (١) ٠

هـــذه الفكرة لم يبتكرها أنا كسيمانز وإنما اقتبسها أيضا من بعض فلاســـفة الشرق الذين كانوا يعتقدوا بأن العالم يتكون من مادة وروح وأن

---

(١) اندريـــه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونان القديمة ٠ مرجع سابق ٠ ص ٣٠١ ٠

- د ٠ محمد بيصار : الفلسفة اليونانية - مرجع سابق ٠ ص ٥٥ ٠

روح العالم حية إلى الأبد [١] .

وبالـــتالى فـــأن أساس وحدة الجنس البشرى أو وحدة الإنسانية ، واتحـــاد جميع شعوب العالم فى الخير ، وتصديهم للظلم والاستبداد وكافة أعمـــال الشـــر ، ومعاقبة من ينتهك وحدتهم الإنسانية – يقوم عند (أنا كســيمانز) طـــبقا لـــتفكيره الفلسفى على (الهواء) الذى يخلق المادة والـــروح التى يتكون منها العالم الحى أى أن الهواء هو الأساس الوحيد لوجود الكون [٢] .

٤ – هرقليطس – Har Kaliets:

فيلســـوف يونانى ولد عام ٤٧٥ ق ٠ م ، عاصر اناكسيمانز ولكن لـــم يـــتفق معـــه على أن (الهواء) مصدر الوجود كله ، كما لم يقتنع بفكـــرة (اللامتنـــاهى) التى جاء بها اناكسيماندر ولا بفكرة (الماء) التى ذهـــب إليهـــا طـــاليس – ولذلـــك أخذ يبحث عن جوهر مادى آخر يكون الأساس الحقيقى للكون ، ويفسر وحدة الجنس البشرى ٠

واســـتمر فى هذا البحث إلى أن اهتدى بفكرة الفلسفى بأن جوهر الكون الأصلى وأساس وحدة الإنسانية يكمن فى (النـــار) [٣] .

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – P 71 .

(٢) شارل فرنر : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق ٠ ص ٣١ ٠

(٣) د ٠ محمـــد بيصـــار : الفلســـفة اليونانيـــة – مـــرجع سابق ٠ ص ٥٦ ، ص ٥٧ ٠

حيث قرر بأن النار حية وأبدية ، وأن استمرارها يحدث تغير متصل فى الأشياء وكل أنواع المخلوقات ، فاللهب الأبدى هو البذرة التى تخرج منها كل الأشياء وإليها تعود كل الأشياء لأن النار تأخذ طريقا نازلا وتتحول إلى ماء نتيجة البخار المتصاعد من النار المستمرة ومن تكثيف الماء تتكون الأشياء الصلدة والتراب ، وتأخذ طريقا صاعدا عندما يتحول الماء والأشياء الصلدة والتراب إلى نارا نتيجة الجفاف الشديد وارتفاع درجة الحرارة ، وحركة النار بهذا الشكل دائمة ومستمرة ولا تنقطع أبدا وهى تنشأ كل ما هو موجود ومثل الذهب الذى تبدل به كل السلع ، وعندما تتوقف سينتهى العالم من الوجود حيث سيحدث احتراق شامل ، ثم لا تلبث أن تتراضى وتعود إلى حركتها المستمرة مرة أخرى وتؤدى إلى نشوء عالم جديد .

وبالتالى فأن أساس وحدة الوجود البشرى عند هرقليطس طبقا لتفكيره الفلسفى هى (النار) التى اعتبرها مصدر الوجود كله والتى يستند عليها أيضا فى تفسير اتحاد شعوب العالم نحو الخير وتصارعهم من أجل القضاء على الشر ومعاقبة من يمس وحدة وجودهم فى هذا الكون بعقاب شديد يتفقوا جميعا على تنفيذه [١] .

---

(١) شارل فرنر : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق ص ٣١ .

- Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – pp 71 , 72 .

٥ - ديمقريطس - Dimkerites:

مـن ضـمن الفلاسـفة المادين فى اليونان القديمة ، ولد فى عام ٤٣٠ ق ٠ م وكان تلميذا لعالم اسمه لوقيبوس الذى وضع أساس النظرية الذريـة – ولذلك اهتدى ديمقريطس من خلال بحثه عن الوحدة الأساسية الـتى يـتكون منها الكون وما به من أشياء إلى نظرية أسسها على فكرة (المـادة الأصلية) ، وقال بأن المادة التى تدخل فى بناء العالم لا تتكون من جوهر واحد معين أو حتى عدد محدود من الجواهر ، وإنما تتكون من عدد لا نهائى من (الذرات) وكل ذر ة من هذه الذرات فيها حياة ، وهذه الحيـاة عـبارة عن روحا تهمين علي حركتها ، ومن خلال هذه الحركة تـتكاثر الذرة إلى عدة ذرات دون أن تنشطر أو تنقسم إلى جزئيات أصغر مـنها ، فكـل شئ فى هذا العالم تكون فى البداية من ذرة واحدة متناهية الصـغر ، ومـن تكاثـر هذه الذرة تولدت ذرات لا نهائية فى العدد كونت الشـئ الظاهـر والواضح المعالم والملموس ، وهكذا تكونت كل الأشياء وتكون الوجود كله بما فيه من كائنات وبشر ٠

وبالـتالى فأن أساس بناء العالم ووحدة الجنس البشرى أو وحدة الإنسـانية عـند ديمقرايطس يقوم على فكرة المادة الأصلية التى تمثلها الذرات المتناهية الصغر [١] .

---

(١) د ٠ محمد بيصار : الفلسفة اليونانية ٠مرجع سابق ٠ص ٥٩ ، ص ٦٢ ٠
- اندريـه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونان القديمة ٠ مرجع سابق ص ٣٨٢ ، ص ٥٣٣ ٠
- شارل فرنر : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق ص ٤٨ ، ص ٤٩ ٠
- Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – P 74 .

٦ - امباذو قليس : Amba Zokles :

من فلاسفة المذهب المادى، ولد فى جزيرة صقلية عام ٤٤٥ ق. م اتفـق مع الفلاسفة الذين سبقوه على وحدة الوجود ، ولكن اختلف معهم فى المـادة التى هى المصدر الأساسى لوجود الكون ، حيث لم يقتنع بأن مصدرها عنصر واحد كالماء والهواء أو النار، كما رفض فكرة اللامتناهى لاناكسيماندر ، وفكرة الذرات التى وصل إليها ديمقريطس .

ومـن خلال بحثه توصل إلى أن المادة الحية لأساس وجود الكون ووحـدة الجنس البشرى أو وحدة الإنسانية تتكون من أربعة عناصر هى النار ، والهواء ، والماء ، والتراب ، وهذه العناصر عبارة عن (أصول) الأشـياء ، ومن اتحادها فى صور مختلفة تنشأ جميع الأشياء فى العالم - ثـم قـرر أيضا لدعم تفسير نظريته بأن إنشاء هذه الأشياء بواسطة هذه الأصـول يتم بواسطة الانتخاب (وهنا نتقدم خطوة نحو نظرية داروين) فالطـبيعة تجرب عند تطويرها جميع المخلوقات ، فالكائنات التى تستطيع أن تـتكيف مـع البيئة تعيش ، أما التى تفشل فى ذلك فأنها تنقرض من الوجـود لأنه لا خير فيها ، ومن هذا يكون البقاء للأصلح فى هذا الكون حـتى جلبت الطبيعة فى النهاية الحيوانات والبشر ، وأن جميع البشر فى تآلف مع العالم الذى يعيشون فيه تآلفا قائما على المحبة التى تجمع بينها وتربط أوصال العالم بعضها ببعض [١] .

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – P 73 .

- شارل فرنر : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق . ص ٣٢ .

وعــلى ضوء هذا الفكر للفيلسوف امبادوقليس يكون أساس وحدة الإنســانية أو وحدة الجنس البشرى واتحاد الشعوب نحو الخير وتصديهم جميعــا لــلجرائم وكــل أعمال الشر التى تمس وحدتهم الإنسانية فى هذا الكــون ٠ قائما على أربعة عناصر تمثل أصول كل الأشياء فى هذا الكون وما به من كائنات وبشر ٠

المطلب الثانى
فلاسفة فيما وراء الطبيعة

****

بعض فلاسفة هذا الاتجاه يستندون إلى الروح فقط ، والبعض الآخر يجمع بين الروح والمادة فى فكرهم وذلك كأساس لمبدأ الوحدة الإنسانية والأخوة الجامعة لكل شعوب العالم ، وأهم هؤلاء الفلاسفة كالآتى :

١ - اكسانوفان - Axanovan:

ولد فى عام ٥٨٠ ق ٠ م ، ويعتبر أول فلاسفة التوحيد فى اليونان القديمة ، حيث رفض ما كان يذهب إليه الفلاسفة أصحاب المذهب المادى بعد أن تعمق فى فلسفة الشرق ، وقرر بأن أساس الكون الأصلى ووحدة الجنس البشرى هو الإله الواحد الذى لا بداية ولا نهاية له ، وهو العقل الذى يهيمن على العالم والجسم الذى يكون هذا العالم كله بما فيه من الأشياء وكافة أنواع المخلوقات ، لأن الإله الواحد هو مبدأ الخليقة الأول ، لا يشبه الأشياء ولا الحيوانات ولا البشر فى الشكل أو الملبس أو الصوت أو العقل بل هو الإشكال جميعا والإرادية جميعها والأصوات جميعها والعقول جميعها فهو الكل فى الكل والكل فى واحد . وفكره يضم جميع أفكار المخلوقات كلها فى جميع الأزمان والعصور، وما الكون إلا صورة محسوسة لفكرة كتبت فى مقاطع حيوية متطلعة ونجوم

وهاجة حتى يتمكن كل ذى عينين أن يرى [١] .

وإذا كان ما وصل إليه اكسانوفان لا يعتبر سوى ترديد أو تأكيد بما نادى به فلاسفة الشرق عن فكرة التوحيد كأساس لوحدة الوجود كله مثل بتاح حتب واخناتون وبوذا وكونفوشيوس وزادشت وغيرهم إلا أنه يرجع إليه الفضل الأول فى جعل الشعب اليونانى يسلم بالفكرة الشرقية عن التوحيد بأن العالم واحد ومن خلق ورعاية الإله الواحد ، وأن جميع البشر أخوة وطبيعتهم الإنسانية واحدة ، وأن هذا يجعلهم يتحدون فى الخير ، ويمكنهم بقوة من التصدى للجرائم ، وكل أعمال الشر التى تمس وحدتهم الإنسانية .

٢ - فيثاغورس - Visagores :

ولد فى عام ٥٧٠ ق . م ، ورفض أيضا بعد أن تعمق فى فلسفة الشرق ما كان يذهب إليه الفلاسفة الماديون ، واتبع على أثر ذلك منهج اكسانوفان القائم على فكرة التوحيد ولكن بفكر فلسفى جديد يقوم على الديانة الروحية السرية (الإله الواحد) إلى جانب العلم الذى يكمن فى الرياضيات والموسيقى ، حيث قال بأن (الإله الواحد) هو (الوحدة الغير

---

(١) شارل فرنر : الفلسفة اليونانية – مرجع سابق . ص ٣٣ ، ص ٣٤

- د . محمد بيصار : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق . ص ٧٤ .

- Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – pp 75, 76 .

مرئية) التى خلقت هذا الكون وما به من أشياء وكافة أنواع المخلوقات ، ولإزالة الغموض عن الظواهر المخلوقة لا يتم إلا بالعلاقات المتبادلة بين الأرقـــام جميعـــا ، لأن الأرقـــام تعطى الإجابة عن النظام الغامض للكون وجماله ، والنظام والجمال يعبران عن حقيقة توافق الكون ، وهذا التوافق يستمر على مبادئ موسيقية ذات أنغام متناسقة ، وهذه الأساسيات الثلاثة الإلـــه الواحد ، والرياضيات ، والموسيقى تحقق الوجود كله وفهم أفضل لعالم كامل النظام وتام التناسب .

ولذلـــك كان فيثاغورس يرى من خلال ما وصل إليه بهذه النظرية بـــأن جميـــع الأعمـــال الصـــالحة تمتزج وتتوافق فى معادلة من الأرقام المتناسبة ونظام من الأنغام المتناسقة ، وهذا المزج المتوافـــق المتناسق لكـــل النشاط البشرى ما هو إلا أعلى مراتب الخير لوحدة الجنس البشرى فى هـــذا الكون وعلى هذا الأساس فإن فيثاغورس قد مهد بجملة نظريته الكونيـــــة الطـــريق أمام أفلاطون ليظهر فلسفته المثالية كما سنرى بعد ذلك [١] .

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – pp 77 , 79 .

- شارل فرنر : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق . ص ٣٥ ، ص ٤٠ .
- د . محمد بيصار: الفلسفة اليونانية . مرجع سابق . ص ٥٧ ، ص ٥٨ .
- اندريـــه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق . ص ٣٨٢ ، ص ٥٢٣ .

٣ - سقراط - Sekrat:

ولـد فى أثيـنا عام ٤٧٠ ق٠ م وكان أبوه (سوفر ونيسكوس) نحاتـا ، وتـدرب بالتالى سقراط على مهنة أبيه واتقنها إلى حد ما ، ثم أظهر ولعا مبكرا بالفلسفة بعد أن تعلم قسطا من الحساب والهندسة وعلم الفـلك التحق بالجندية واشترك فى القتال مرارا وكان مظهره فريدا بسبب دمامـته التامة حيث كان افطس الأنف غليظ الشفتين وزيه بسيط جدا كما كـان لا يأكل إلا القليل ويسير دائما فى الشوارع والأزقة حافى القدمين ، ويعيـش أكـثر الوقـت خـارج بيته ، فكان يذهب فى الصباح الباكر إلى المتـنزهات والملاعـب العامة ، ويرى قبل الظهر فى السوق ، ويقضى سائر النهار فى لقاءات مع عامة الناس يتحدث معهم ويتحدثون معـه (١) ٠ كـان دائمـا يتحاشى الخوض فى موضوع طبيعة الكون وفى القوانين الـتى تخضع لها الظواهر السماوية حيث اعتبر الحديث فيها ما هو وراء الطـبيعة مـا هـو إلا نـوع من الجنون ، ولذا كانت أحاديثه تدور حول الشـؤون البشرية وبحث المشاكل مثل [ما البر وما الكفر ، وما الجميل ومـا القـبيح ، ومـا العـدل ومـا الظـلم ، وما الحكمة وما الجنون ، ومـا الشجاعة وما الجبن ، وما الدولة وما السياسى ، وما الحكومة وما الحاكم ٠٠٠] ٠

---

(١) جورج سارتون : تاريخ العلم ٠ مرجع سابق ٠ ص ٦٧ ، ص ٦٩ ٠

حيث كان يرى بأن نعرف أنفسنا وسائر البشر قبل كل شئ آخر ، وأن نسعى للحصول على المعرفة كواجب من الواجبات التى تجعلنا نهتم بأنفسنا أولا ، ونشكر العناية الإلهية عليها ، فوعينا لذاتنا هو جوهر ذاتنا ، والتقوى من الفضائل الأساسية وأول شروطها النزوع نحو ما هو ألهى . ولذلك كان عند سقراط قدر من الصوفية بحكمة العقل والروية ، وكان فى بعض الأحيان يقول (اعلموا أن الله يأمرنى أن أفعل ذلك) لاحثكم صغارا وكبارا بأن لا تحرصوا على سلامتكم أو على أموالكم فوق حرصكم على كمال ذواتكم ، لأن الفضيلة لا تصدر عن المال بل عنها يصدر المال وجميع النعم الأخرى [١] .

وبالتالى أنزل سقراط الفلسفة من السماء إلى الأرض حيث جعل وحدة الجنس البشرى أو وحدة الإنسانية قائم على المعرفة بأنفسنا أولا ، وأن هذه المعرفة سوف تكسب من يحصل عليها الفضيلة ، والفضيلة تؤدى إلى التقوى ، والتقوى هى النزوع إلى الإله ، وهذا النزوع يجعلنا كبشر فى ترابط أخوى نحقق من خلاله الخير ، ونقاوم بأواصره الظلم والاستبداد وكل عوامل الشر .

---

(١) د . محمد بيصار : الفلسفة اليونانية : مرجع سابق . ص ٧٥، ص ٨٣ .

- اندريه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق . ص ٣٠٨، ص ٣١٩ ، ص ٣٢٧ ، ص ٣٥٧ ، ص ٣٥٩ .

وحيث أن آرائه الفلسفية قد أثارت قلق السلطة الحاكمة فى أثينا وخاصة بعد أن أعلن بأن أثينا يجب أن تحكمها أحكم العقول لا أصخب الأصوات ، قد اتهموه بجريمة مزدوجة الأولى بأنه أنكر الإلهة التى تعبدها أثينا وتقدسها والثانية بأنه قد أفسد الشباب ، وعقوبة هذه الجريمة هى الإعدام ، وبالفعل تم محاكمة سقراط وصدر الحكم عليه بالإعدام وتم تنفيذ هذا الحكم بإعطائه جرعة من السم تناولها وفاضت روحه فى عام ٣٩٩ ق ٠ م بعد ذيوع شهرته (كأحكم رجل فى أثينا) [١] .

٤ - افلاطون- Aflatoon:

ولد فى أثينا عام ٤٢٧ ق ٠ م وكان والده واسع الثراء فنشأ فى حياة مليئة بالنعيم والرغد فى العيش ، كما كان وسيم الشكل ، طويل القامة ، أشقر الوجه ، قوى الجسد ، ورياضيا حيث كان من ضمن المصارعين المحترفين فى أثينا وفاز بجائزتين فى المصارعة .

ولذلك كان البعض يقول بأن افلاطون قد نزل من السماء وكلمة افلاطون معناها (عريض المنكبين) فى اللغة اليونانية القديمة ، ألف

(1) Henry thomas – the Great philosohers – op . cit – pp 80 , 94 .

- شارل فرنز: الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق ٠ ص ٥٩ ، ص ٩٠ .
- اندريه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونان القديمة ٠ مرجع سابق ٠ ص ٣٦٢ ، ص ٣٦٧ ، ٣٨٣ ، ص ٣٨٧ ، ص ٣٩٦ ، ص ٥٣٢ .

فى شـــبابه قصـــائد شعر وخاصة الشعر التمثيلى ، كما اشتغل بكثير من العـلوم إلا أن ميلـــه للحكمة وإقباله عليها طغى على كل جانب آخر من جوانب حياته [١] .

كان افلاطون من أخلص تلاميذ سقراط كما أحبه حبا شديدا لدرجة بـــلغت حـــد القداسة ، وبعد أن تم إعدام سقراط سافر إلى بلاد عديدة من بيـــنها مصر ثم عاد إلى بلاده ، ولم يمكث أيضا فيها فترات طويلة إلا بعد أن بـــلغ مـــن العمر سبعة وستين عاما حيث كرس آخر ثلاثة عشر عاما مـــن حياتـــه للتعـــليم ونشـــر فلســـفته حتى مات فى عام ٣٤٧ ق٠م ، ورغـــم تأثـــره بفلســـفة سقراط إلا أنه وضع نظرية جديدة فى المعرفة الحســـية وموضـــوعها خـــواص الأجسام ، والمعرفة الظنية وموضوعها الأحكـــام المتعـــلقة بالمحسوسات من جهة ما هى محسوســـة ، والمعرفة الاســـتدلالية وموضـــوعها الماهيـــات الرياضـــية كالمثلـــثية والمـــربعية والمســـتطيلية ، والمعـــرفة العقليـــة وموضوعها المهايا المجردة تجريدا دائمـــا عن المواد وهى المعرفة المبنية على التعقل المحض والتى تخص العلم وغايته معا [٢] .

---

(١) شـــارل فرنـــر : الفلســـفة اليونانيـــــة ٠ مرجع سابـــق ٠ ص ٩١ ، ص ٩٢ ٠

(١) د ٠ محمـــد بيصار : الفلسفة اليونانية : مرجـــع سابـــق ٠ ص ٨٤ ، ص ٨٧ ٠

كما وضع فى فلسفته نظرية عن المثل تزيد عن نظرية سقــراط ، لأن سقراط قرر بأن ما يعرف من الأشياء ، إنما هو المفاهيم الكلية وليس الظواهــر الحســية الجزئية ، إنما افلاطون كان يرى أن هناك علما يقينيا موضــوعاته دائمــا موجودة فى شكل أو فى صورة المجردات التى تعتبر العلم المعقول الذى هو أصل العالــم المحسوس (١) .

ولــكى يزيل الغموض الذى أحاط بنظريته عن المثل تعرض لفكرة الألوهيــة وقــرر بــأن الإلــه هو مثال الخير ، والجمال ، والصانع ، أو الــنموذج الــحى بــالذات والــنفس العالمة ، والجزء الناطق من النفس الإنسانية ، وإله الكواكب ، وكل شىء فى هذا الكون ، حيث كان افلاطون يعــتقد فى وحدانية الإله ، واعتبره روح عاقلة منظمة متصفــة بالجمال والخيــر والعــدل والكمــال والبساطة والثبات والصدق، يتجه إلى العالم بعنايــته الــتى لا تقتصــر عــلى الكلى دون الجزئى أو العكس ، ووجود الأشرار فى عالم الحس لا يعنى أن العناية الإلهية غافلة ، وإنما موجودة لأن الشر الخلقى لابد أن يزول ويلقى الأشرار جزاءهم فى ساعة اتيه فى يوم لا ريب فيه ، أما الشر الطبيعى فإن الإله لم يرده وإنما سمح به فداء

---

(1) Henry thomas-the Great Philosophers- op.cit pp 98 , 99 .

- اندريــه ايمارد ، جاتين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمــة ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ ، ص ٢٢٦، ص ٢٢٩ ، ص ٢٤١ ، ص ٣٢٧ .

لـــلخير الفائض على العالم ولكى يتميز به الخير مثلما يتميز الصدق عن الكذب والعدل عن الظلـــم [١] .

وقـــال افلاطـــون أن كل شئ زمنى فى هذا العالم هو صورة لمثال أبـــدى موجـــود فى عقـــل الإله الأعظم فكل أفراد العالم ما هى إلا صورة بشـــرية للمثال الإلهى عن الإنسان ، والعدالة ، هى تشابك ودى للمصالح المتـــبادلة بين جميع البشر ، أو هى تناغم الجنس البشرى كله فى موكب الكون المنظم .

وهكذا يضيف افلاطون إلى فلسفة الشرق عنصرا هاما هو التناغم أو الجمال ، وبأن العالم يقوم على دعائم من العدالة والفضيلة والمحبة ، وخـــلق أفكـــار جميـــلة تتـــبع من مثال الجمال الموجود في الإله [٢] أى يعـــبر بقوة عن وحدة الإنسانية واتحادها نحو الخير وتكاتفها ضد الجرائم والشر .

---

(١) د . محمـــد بيصـــار : الفلســـفة اليونانية : مرجع سابـــق . ص ٩٨ ، ص ١٠٩ .

(2) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit PP 99 , 107 .

- شارل فرنر : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق. ص ١١٧ ، ص ١٢٦
- اندريـــه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق . ص ٣٨٦ ، ص ٣٨٨ .

وقـد جسد افلاطون نظريته المثالية فى صورة دولتـه المثاليـة (الجمهوريـة) حيـث قـرر بأنهـا ليست دكتاتورية بها رجل واحد حر والآخـرون عـبيد ، وليـس ارستقراطية يحكها الأغنياء دون الفقراء ، وليست ديمقراطية يحكمها أكثر الناس شعبية لا أكثرهم كفاية ، وإنما لابد أن تكـون عادلة فى كل الأمور وتمثل كيان الإنسانية الحقة ويكون الفرد فيها جزء من جسمها ويحكمها رجال ونساء يمتازون بأثبت العقول وأرق القـلوب لأنهـم الذيـن سوف يدركون أن المثال هو الشئ وخاصة مثال العدالـة ، لأن العدالـة تـناغم أو هى قانون توازن أخلاقى ورياضى بين الجـزء والجـزء ، وبين الجزء والكل ، وأن هذا التكيف الدقيق هو روح العدالة ذاتها [١] .

ولكـن رغم هذا إلا أنه يؤخذ على افلاطون بأنه قد أقر نظام الرق واعتـبر العـبيذ ليـس مثل الأحرار فى الطبيعة الإنسانية ، وبأنهم معيار الـنظام الاقتصـادى فى دولة المدينة – كما أشـار فى مؤلفـه (الجمهوريـة) وهـو يرسـم معالم دولته المثالية بأنه لا مكان للضعفاء والمرضى فى مجتمع هذه الدولة وأنه يجب أن يقتلوا أو تركهم يموتون ، وبالـتالى لـم يعـطى صورة متكاملة لمفهوم وحدة الجنس البشرى مثل فلاسفة الشرق الذين سبقوه .

---

(١) جمهوريـة افلاطـون . الكتاب الرابع . ترجمة د . فؤاد زكريا . مراجعة عـن الأصـل اليونانى، د . محمد سليم سالم .طبعة ١٩٦٨م . القاهرة . دار الكتاب العربى للطباعة والنشر . ص ٢٥٧ وما بعدها .

٥ - ارسطو طاليس - Arstoo Talies :

ولـد فى عام ٣٨٤ ق٠ م بمدينة (اسطاغيرا) وكانت مستعمرة يونانيـة تـبعد شـمالا حـوالى ٣٢٠ كيلو مترا من أثينا ، ولكن قضى معظم حداثته فى (بيلا) عاصمة مقدونيا فى شبه جزيرة البلقان ، وكان والـده معيـن طبيا خاصا للملك امينتاس والد الملك فليب وجد الإسكندر الأكبر ٠

وعندما بلغ الثامنة عشر من عمره غادر مقدونيا ليلتحق بإكاديمية افلاطـون فى أثيـنا ، وخـلال فترة قصيرة أثبت لافلاطون أنه يمتاز إلى جانب لطفة ورقته وإناقته وأدبه بعقلية من أخصب العقليات الموهوبة فى العالم ، فقد كان مستعدا لتقبل كل أوجه المعرفة الممكنة من علم الفلاسفة الاقدمين وتأملات سقراط إلى أمال أفلاطون ٠ بالإضافة إلى فروع العلوم الأخـرى مثل السياسة ، والشعر ، والقصص ، والتمثيل ، وعلم النفس ، وعـلم الأخـلاق ، والتاريخ الطبيعى ، والبيان ، والطب ، والرياضيات ، والفلك [١] ٠

---

(١) شارل فرنر : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق ص ١٢٨ ٠

- اندريـه ايمـارد ، جـانين أوبوايـه : تـاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونـان القديمة ٠ مرجع سابق ص ٣٢٣ ، ص ٣٣٥ ، ص ٣٨٦ ، ص ٣٨٩ ، ص ٣٩٢ ٠

وفى السنوات التالية لاحظ افلاطون أن اكاديميته تتكون من جزأين أولهمـــا جســـم طلبـــته وثانيهما عقل (أرسطو) - ولذلك جمعت المحبة والـــود بيـــن أرســـطو وأفلاطون رغم ما كان يحدث بينهما من اختلافات فى الفكـــر والجـــدل ، وبعد سنوات أصبح ارسطو خريج الأكاديمية معلما بها .

بعـــد أن توفى أستاذه افلاطون فى عام ٣٤٧ ق.م غادر أثينا بعد أن تـــلقى دعـــوة من الملك هرمياس حاكم مدينة (أسوس) وهى إحدى المقاطعـــات فى آسيا الصغرى ، وبالفعل أقام هناك وارتبط بعلاقة حميمة مـــع الملك هرمياس وخاصة بعد أن تزوج أرسطو ابنته ووهبه مالا طائلا هدية بمناسبة هذا الزواج .

وبعد ثلاثة أعوام قضاها أرسطو فى هدوء وبهاء داخل بلاط الملك هـــرمياس تلقى دعوة أخرى من الملك فليب لكى يقيم فى مقدونيا ويقوم بتـــثقيف شـــبله الصـــغير المـــتوحش وهو الإسكندر الأكبر. فقبل أرسطو الدعوى وكان عمره فى ذلك الوقت واحد وأربعين عاما أما الإسكندر فكان فى الثالـــثة عشرة من عمره ، واستمر أرسطو يعلم ويثقف الإسكندر رغم المـــنازعات القاســـية الـــتى كـــانت فى داخل القصر بين الملك (فليب) وزوجـــته الملكة (أوليمبياس) التى كانت دائما تعيره بأن الإسكندر ليس أبنه وإنما هو ابن غير شرعى ، وكان الإسكندر يعاملها باحتقار شديد كما كان فى كثير من الأحيان يدخل معها فى مشاجرات بذيئة ، وفى إحـــدى

المـرات حاول الملك فليب أن يقتل ابنه الإسكندر بعد أن سبه وضربه إلا أنـه لـم يـنجح فى طعنه بالسيف بسبب سقوطه على الأرض حيث كان مخمورا للغايـــة .

وبعـد أن قتل الملك فليب بيد أحد السفاحين الذى استاجرته الملكة (أوليمـبياس) لهذا الغرض ، جلس الإسكندر على عرش مقدونيا وأول إجـراء اتخذه هو طرد أرسطو كما لو كان كما مهملا لم يفعل شيئا سوى الوقوف عقبة فى سبيل طموحة .

وبالـتالى عـاد أرسطو إلى أثينا وكان عمره خمسين عاما تقريبا وبـدا يهـتم بجمع كل أمور المعرفة ليضع دراسة شاملة للعالم كما انتج عددا من الكتب والرسائل يقدر بما يقرب من الألف ، وتعد هذه المصنفات حـتى يومـنا هذا أروع ما انتجه العقل البشرى حيث تتعلق بالدين والعلم والفن ومعظم أمور المعرفة فى الحياة الإنسانية .

وقـد اسـتمر على ذلك عشر سنوات إلا أنه قد أحس بخطر على حياتـه فى أثيـنا بعـد أن اتهمته السلطة الحاكمة بالإلحاد وخيانة الدولة فهـرب إلى مديـنة (أوبا) وهى جزيرة فى بحر ايجه ، ولكن لم يقضى فيهـا سـوى سبعة أشهر فقط لأنه لم يطبق العزلة فأعد لنفسه كاسا من السـم تناوله بعد أن قال (إذا كنت لم أعد أستطيع ممارسة العلم فأنى لم أعد أعير الحياة أى اهتمام) وقبل أن يلقى حتفه فى عام ٣٢٢ ق . م أو

وهو فى سكرات الموت سطر ما يمكن أن يوصف بأنه أعظم عمل قام به وهى وصـيته الـتى حرر فيها عبيده والتى تعتبر أول إعلان فى التاريخ الغـربى لـتحرير العـبيد قبل إعلان ابراهام لنكولن بما يقرب من الفين ومائتى عام [١] ، ونحن نرى بأن بهذه الوصية يكون إلى حد ما قد أصلح مـن رأيه السابق عن العبيد بأنه ليسوا مثل الأحرار فى الطبيعة الإنسانية وأن وجودهم عدل يتفق مع الطبيعة – ويكون أيضا فى حياته الأخيرة فى مدينة أوبا قد أصلح من قولـه بأن الدولة يجوز لها أن تلجأ إلى عمليات إجهـاض النسـاء أو قـتل الأطفال من أجل أن تحدد النسل لتحافظ على التوازن بين قدراتها الاقتصادية وبين عدد السكـان [٢] .

وبالرغم أن ارسطو كان أحد تلاميذ افلاطون كما كان افلاطون أحد تلاميذ سقراط ، إلا أن دائرة التأمل فى فلسفته كانت أوسع وأشمل منهما لأنـه كان عالما إلى جانب كونه فيلسوفا ، فطبيعة الإله عند أرسطو ثابت ويحرك العالم بأكمله فى حين عند أفلاطون متحرك دائمـا .

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – PP 108 , 113 .

– اندريـه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق . ص ٤٠٤ ، ص ٤١٠ ، ص ٤٩٢ ، ص ٥١٧ ، ص ٥٣٢ .

(٢) د . محمـد عـبد الهادى الشقنقيرى – محاضرات فى تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – طبعة ١٩٨٩ – ص ١٥١ وما بعدها .

ولذلــك قال أرسطو أن الإله ثابت بذاته وحبنا له يدفعنا جميعا من الداخل إلى الحركة ، وقدرته هى الباعث الأصلى لدوران الكواكب والنجوم ، وحركة الحياة جميعا ، وهو ليس شخصا وإنما هو قوة لم تخلق ولكنها خالقــه تحــول المــادة كلها إلى صورة والحياة بأكملها إلى نمو ، ولذلك صرح ارسطو بأن(روح الله تحركنا لكى نغير أنفسنا ونصبح أمثلة للإله) أى نصبح قوما عليهم أن يتعلموا كيف يعيشون معا أكثر انسجاما فى حياة مليئة بالعدل والمحبة وكل أمور الحياة الصالحة .

وأيضا بالنسبة لعلم الأخلاق اختلف أرسطو مع افلاطون بقوله أن الأخــلاق عند أفلاطون من الجائز تطبيقها على شعب معين فى مكان ما ، أمــا نحن فى حاجة إلى نظام أخلاقى يصلح لكافة البشر التى تعيش على الأرض وهــذا النظام يتطلب ضرورة توافر كافة المبادئ والقيم الأخلاقية فى الحيــاة الإنســانية مــن شرف وعدل ونزاهة وتقوى واعتدال فى كل الأفعال دون تفريط أو إفراط [١] .

---

(١) ارســطو طاليس : علم الأخلاق إلى نيقوماخوس . الجزء الثانى . ترجمة مــن اليونانيــة إلى الفرنســية وصــدره بمقدمة بارتملى سان تهلير أستاذ الفلسفة اليونانية فى الكولج دى فرانس ثم وزير خارجية فرنسا سابقا – ونقلــه إلى العــربية أحمد لطفى السيد . طبعة ١٩٢٤ م القاهرة . دار الكتب المصرية . ص ٩٧ وما بعدها .

- د . محمد بيصار : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق ص ١١٨ وما بعدها .
- شارل فرنر : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق ص ١٦٧ ، ص ١٧٥
- Henry thomas – the Great philosohers – op . cit – pp 167 , 165 .

كمـــا بين ارسطو بأن السلطة فى نظرة ليست نظاما الهيا ، وإنما هى فى ذاتهـــا نشأت سعيا نحو تحقيق المصلحة العامة ، وأيضا أشار فى فلســفته إلى ضرورة مقاومة كافة صور الظلم والاستبداد بأقصى درجات القـــوة ، ونـــادى مـــن أجـــل ذلـــك بوجوب تقسيم العمل وتبادل الحقوق والواجـــبات وفـــرض جزاءات عند مخالفتها ، أى أعطى أفضل تعبير عن مبدأ الوحدة الإنسانية وأخوة جميع البشـــر .

ولذلـــك تعتـــبر فلســـفة ارســـطو من أهم أسس الفلسفة الأخلاقية والسياســـية الـــتى تطورت بعد ذلك على أيدى فقهاء الكنيسة فى العصور الوسطى ، كما تعتبر كذلك أساسا لفكرة القانون الطبيعى التى دخلت مجال العلاقات الدولية وبقيت ممتدة حتى عصـــر النهضة الأوروبية [١] .

وإذا كان يوجد فلاسفة آخرون لدى الإغريق إلا أن الفكر الفلسفى اليونـــانى أتجه بعد أرسطو اتجاهات متنوعة فى التعبير عن وحدة الجنس البشـــرى أو وحـــدة الإنســـانية تتمـــثل فى ثلاثة اتجاهات الأول : مذهب الـــرواقية ، والـــثانى مذهـــب الأبيقوريـــة ، والثالث مذهب الشك ، وهذه المذاهب إلى جانب المدارس الفلسفية الأخرى المادية والروحية قد دخلت إلى فكر الحضارة الرومانية .

---

(١) د . حسنين صالح عبيد ، القضاء الدولى الجنائى ، الطبعة الأولى ١٩٧٧ . القاهرة – دار النهضة العربية . ص ١٢ ، ص ١٣ .

مذهب الرواقيـة :

أســس هــذا المذهب الفيلسوف الإغريقى زينون الذى ولد بمدينة كيـتيوم بقبرص عام ٣٦٠ ق ٠ م وانتقل إلى أثينا عام ٣١٢ ق ٠ م بعد تعرضــه لحزن عميق من المصائب والنكبات التى حلت بأسرته على أثر غرق أموال أبيه كلها فى البحر ، وأثناء وجوده فى أثينا واليأس يحيط به اســتمع إلى بعــض المشتغلين بالفلسفة ، منهم تلاميذ الفيلسوف ديوجين الــذى عزم أن يعيش مثل الكلب وأسس بالتالى مدرسة سميت بالمدرسة الكلبية Cynicism (١) .

قــرر زيــنون بعد إحتكاكه بمختلف المدارس الفلسفية فى أثينا أن يكون تابعا من اتباع المدرسة الكلبية العجيبة التى كانت تعلم أنصارها أدق وأقسى تعاليم الزهد ، وطرح كل لذائذ الحياة ، والبعد عن مظاهر الترف ، فكــانوا يعيشــون بثايــبهم ممزقة وشعرهم ولحيتهم كثيفة ، حيث نزلوا بالحياة إلى أبسط الأمور (٢) .

وقــد رأى زيــنون بعيــنه معتــنقى الفلسفة الكلبية وهم يرضون العيش بما لا ترضى به الكلاب حيث انتهجوا نهجا تقشفيا خالصا وفسروا

---

(١) اندريــه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونان القديمة ٠ مرجع سابق ص ٥١٢ ٠

(٢) شارل فرنر : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق ص ٢١٥ ٠

الخيـرية للأخـلاق والمثاليات والأخوة الإنسانية بأنها العزوف عن ملاذ الحياة [١] .

وسمع زينون عن عجائب ديوجين بأنه جعل بيته فى الدنيا برميلا مـن الخشب يدحرجه اينما رحل ، فإذا تعب تمدد داخله ونام نوما هنيئا ، وإذا اسـتيقظ يبحث عن طعامه من خشائش الأرض أو ما يتبقى من طعام الآخـرين ، وفى كـل انـتقالاته كان يطلب ممن يعلمهم أن يفهموا حكمة الحياة وقيمتها ويعرفوا معنى الأخوة الإنسانيـة .

وقد وجد زينون فى رجال المدرسة الكلبية ما يسلبه عن المصائب الـتى نـزلت بأسرته ، فتتلمذ على أيديهم وعرف حكمة الحياة منهم ولما اكتمـلت معارفـه أنشأ مدرسة فى مدينة رواق بأثينا والتى كانت من قبل مجتمعا للشعراء – ومن اسم هذه المدينة سمى المنضمون لمدرسة زينون باسم الرواقيين [٢] .

كـان عصر قيام هذه المدرسة من أسوأ عصور التاريخ الإغريقى حيث قهرت أثينا وانتهكت حرماتها ، وأصبحت بعد مجدها السابق فريسة

---

(١) د . أبـو بكـر محمـد ذكـرى : تيسير فلسفة الأخلاق . مرجع سابق . ص ١٢٤ .

(٢) اندريـه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق . ص ٥١٣ .

لغـزاة الطـامعين (الاسـبارطين أو المقدونيين) وأصبح الحق وكل ما يسـانده من فلسفات وقيم ومبادئ غائبا ، والقوة تسيطر على كل شئ [١] كما ظهرت فى تلك الفترة فلسفة السوفسطائيين المدمرة التى تنكر كل شئ ولا تعـترف إلا بشـئ واحـد هو المنفعة الفردية فقط ، وترتب على ذلك انكـارهم لفكـرة الخير المطلق والعدالة الشاملة [٢] كما قالوا بأن الأديان وضعت خداعا [٣] .

ولذلـك جـاهد أنصار المدرسة الرواقية فى التشديد على التمسك بـالأخلاق لإصـلاح أحوال الناس ومقاومة الفساد ، والفلسفات الإباحية والفوضـوية ، وكـان سلوكهم يتمثل فى الوصايا الأربعة المشهورة لهم وهى (احتمل- كف بنفسك - ساير الطبيعة - أطع العقل) وأخذوا يكبدوا أنفسـهم أشق العيش والحرمان من لذائذ الحياة ، ويتعرضون لأشد الآلام بلا مبالاة ، ويوصون بالاستهانة بالموت تحقيقا لفضيلة الشجاعة والزهد ، حتى كانوا يقدمون على الانتحار الذى قدم عليه أستاذهم زينون بعد أن عاش نحو مائة عام صحيح البدن فمات منتحرا عام ٢٦٤ ق.م [٤] .

---

(١) د . أبـو بكر محمد ذكرى : تيسير فلسفة الأخلاق . مرجع سابـق . ص ٣٤ .

(٢) د . نور الدين أشراقية : معركة الحياة . مرجع سابق ص ٢٣٠ .

(٣) د . محمـد عبد المنعم القيعى : عقيدة المسلمين . الطبعة الثانية ١٩٨٦ . القاهرة . وزارة الأوقاف . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٩٨ .

(٤) د . عثمان أمين : الفلسفة الرواقية . مرجع سابق . ص ٥ وما بعدها .

ومبادئ الفلسفة الرواقية تتلخص فى الآتى :

* الإنســان جزئ من الطبيعة ، ولذلك يجب عليه أن يعيش وفق مــبادئها الــتى تتطــلب البساطة والابتعاد عن المظاهر الكاذبة واللذات ، ومتحــليا بالفضــائل الأربعــة المعــروفة (الحكمة ، العفة ، الشجاعة ، العدالة) [١] .

* مقيــاس الخير والشر هو السلوك الذى يرتكبه الإنسان حسب مــا يدفعه إليه العقل ويتفق مع الطبيعة ، والعقل وحده هو صاحب الحكم فيما هو خير موافق للطبيعــة وما هو شر مخالــف لهــا .

* الخيــر دائما هو الفضيلة ، والفضيلة هى الخير كله ، ولا وسط فى الفضــيلة فالإنسان أما فاضل تام الفضيلة وأما شرير ولا وسط بينهما لأن الحكمة لا تتجزأ .

* جميــع البشــر أخوة فى الإنسانية ، والعالم كله أمة واحدة ، لا فرق بين رجل ورجل ، ومهما كان الإنسان لدية من كنوز الدنيا لا يستطيع أن يعيــش مستقلا أو يستغنى عن الأخرين ، لأن الروابط الاجتماعية بين جميــع البشر هى أساس الحياة ، وقوانين الاجتماع كلها من نظام الطبيعة الكلية .

---

(١) شارل فرنر : الفلسفة اليونانية · مرجع سابق · ص ٢٢٨ .

* لا يمكـــن التغـــلب على الشر أو الانتصار عليه إلا باتحاد جميع البشر فى بوتقة الأخوة الإنسانية ، ولا يمكن مقاومة الظلم والاستبداد إلا بالمشـــاركة المتحدة للأخوة الإنسانية ، لأن البشر جميعا قلب واحد ومن طبيعـــة إنسانية واحدة ، والتفرقة بينهم تخالف حقيقـــة الوجود فى الحياة الإنسانية (١) .

مذهب الابيقوريـة :

أســـس هذا المذهب الفيلسوف الإغريقى (ابيقور) الذى ولد عام ٣٤١ ق٠م فى جزيرة ساموس إحدى جزر الارخبيل اليونانية ، سافر إلى أثينا ثم إلى أسيا الصغرى ، ودرس الفلسفة اليونانية والشرقية ثم اشتغل فى التعليم ، وعاد إلى اثينا عام ٣٠٦ ق ٠ م بعد أن بلغ درجة عالية من العـــلم والمعـــرفة ، وأسس مدرسة أصبحت بعد فترة قصيرة موضع أقبال من الطلبة رجالا ونساءاً درسوا فيها الأخلاق والحكمة (٢) .

---

(١) د ٠ أبـــو بكـــر محمد ذكرى : تيسير فلسفة الأخلاق ٠ مرجع سابق ٠ ص ٣٤ ٠

- د ٠ محمد بيصار: الفلسفة اليونانية ٠مرجع سابق ٠ص ١١٨ وما بعدها ٠
- د ٠ ســـعد محمـــد الشناوى : مدى الأخذ بنظرية المصالح المرسلة فى الفقه الإســـلامى ، فقه مقارن ، مقارنات والفكر الغربى ٠ الجزء الأول والثانى ٠ الطبعة الثانية ١٩٨١ ٠ كلية الحقوق ٠ جامعة عين شمـــس ٠

(٢) شارل فرنر : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق ٠ ص ١٩٣ ٠

وفلســفة ابيقور الأخلاقية مادية بحته حيث كان لا يرى مكانا فى هــذا العــالم لغيــر المادة ولا يؤمن بما وراءها وبأن الله بيده أمر الخلق والتكوين (١) كما كان لا يعتقد بأن هناك روح خالدة إنما قرر بأن السعادة والأخلاق مترادفتان (٢) .

وبذلــك كــانت فلســفته ماديــة بحته مستلهمه من أفكار الفلسفة الحســية الواقعيــة التى جاء بها أرستبس مؤسس نظرية اللذة والألم أو المدرســة القورينائية ولكنه قد عدل عنها ، وقرر بأن أخذ اللذة الواقعية دون تفكيــر فى عواقــبها أمر لا يتفق والعقل السليم ، لأن أكثــر الآلام والمصــائب والتعاسات تنشأ من ممارسة اللذات بلا تعقــل (٣) أما التعقل والاتــزان المعقول يتح لنا أن نستمتع باللذة وقتا أطول ويبعدنا عما يمكن حدوثه من الآلام (٤) .

---

(١) د. محمد بيصار : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق . ص ١٤٦ .

(٢) ا.س رابوبــرت : مــبادئ الفلســفة : ترجمة أحمد أمين . الطبعة الأولى ١٩٦٩ . لبنان . دار الكتاب العربى . بيروت ص ٧٤ .

(٣) اندريــه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق . ص ٥٣٣ .

(٤) د . توفيــق الطويــل : الفلسفة الخلقية . الطبعة الثانية ١٩٦٧ القاهرة . ص ١٣ وما بعدها .

وقــد أشــار ابيقور بفلسفته بأنه قد حول مدرسة اللذة والألم التى أسسها ارستبس من النظام الأرعن والأهوج الملئ بالآلام إلى فلسفة ذات أركــان متزنة ومعقولة تحقق السعادة وتبعد كل الآلام ، وقرر أن حساب اللذات والآلام يكون على النحو التالى :

* أن نأخذ بلا تردد كل لذة لا يعقبها أى ألم .
* أن نرفض بلا تردد كل ألم لا يؤدى إلى أى لذة .
* أن نرفض كل لذة تضيع علينا لذة أعظم منها .
* أن نرضــى بالألم الذى يخلصنا من ألم أعظم منه أو لا يعقبــه لــــذة .

مــن خلال هذه القواعد الأربع يحدد ابيقور الأخلاق التى يجب أن يتــبعها كل إنسان على اعتبار أن اللذة أساس الطبيعة الإنسانية حيث قال (نحــن نجعل من اللذة مبدأ السعادة وغايتها ، إنه أول خير نعرفه ، خير مغروس فى طبيعتنا ، وهو مبدأ كل قراراتنا وشهواتنا وكراهياتنا ، وإليها نسعى دون انقطاع) (١) .

كما ذهب ابيقور بفلسفته بأن الإنسان حر فى اختيار عملة نحو أى غايــة يسعى لها ما دامت تحقق لــه من ورائها نفع ، ومن أبرز أنصار

---

(١) د . عبد الرحمن بدوى : الأخلاق النظرية . الطبعة الأولى ١٩٧٥م. وكالة المطبوعات بالكويت . ص ٣٣٤ .

هــذا المذهــب فى العصور الحديثة توماس هوبز(١٥٨٨- ١٦٧٩ م) حيــث كان مادى النزعة ومنكرا للروح والنفس وجعل الإنسان يتمادى فى طــلب الــلذة التى يتلذ بها من أجل أن يتلمس الأمن وحب البقاء وأعتبر شهواته ورغباته تتجه إلى حفظ ذاته [١] .

ولــم يعترف ابيقور بقدرة الله سبحانه وتعالى وأنما كان ملحد إلى أقصــى درجــة فى الإلحــاد ، ورغــم أن فلسفته تشير إلى وجود وحدة الإنســانية أو وحــدة الجنس البشرى ، إلا أنه قد علل فى فلسفته ظهور البشــر نتيجة عملية النشؤ والارتقاء التى سبق ونادى بها من قبل بعض فلاسفة الشرق .

كما قال أن كل البشر فى طبيعتهم الإنسانية الواحدة يعيشون على الأرض كمســتأجرين لها فقط وليس ملاك واعاشتهم لفترة قصيــرة إذ قد يحيــن الوقــت ويرحــلوا ويجردوا من كل شئ من غير سابق إنذار ولو للحظة بسيطة [٢] .

---

(١) ا٠س ٠ رابوبرت : مبادئ الفلسفة ٠ مرجع سابق ٠ ص ٩٥ ٠

(2) Herny thomas – the Great philosophars op . cit P 151 .

- اندريــه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونان القديمة ٠ مرجع سابق ٠ ص ٤٠٤ ، ص ٤١٠ ، ص ٤٩٢ ، ص ٥١٧ ، ص ٥٣٣ ٠

مذهب الشك :

أســس هذا المذهب الفيلسوف (بيرون) ، وكان ضابطا فى جيش الإســكندر ، ومعاصر لابيقور وزينون وإن كان أكبر منهما سنــا ، حيث أنــه ولــد فى اثينا عام ٣٦٨ ق ٠ م تقريبا ، وكان من ضمن المهتمين بالفكر الفلسفى عموما ، ثم انتهج فلسفة جديدة قائمة على الشك والريبة فى كل شئ ٠

فقــد قــال من خلال فكرة الفلسفى بأننا لا نعلم بما يحيط بنا فى العــالم إلا عن طريق حواسنا ، وأن هذه الحواس خداعة ، فلا يتفق اثنان إذا مــا نظرا إلى شئ واحد ، كما أن الشخص الواحد لا يرى الشئ نفسه مــرتين متتابعــتين أو من زاويتين مختلفين ، فما يبدو لنا ثلجا اليوم قد يبدوا لنا ماء غدا ، وما يبدو لنا ربوة إذا نظرنا إليه من الوادى ، قد يبدو لنا واديا إذا ما نظرنا إليه من فوق جبل ، ومن ثم لا يمكننا أن نعول على معرفتــنا ، ويجــب أن نرتاب فى جميع معتقداتنــا ، ويجب أن نرتاب فى جميــع معتقداتــنا ، ونشك حتى فى إيماننا بوجود الإله ٠٠٠ وما دمنا لا نعرف شيئا فلنكن هادئين فى جهلنا ، فلا داعى للقلق من المستقبل لأنه قد يأتى اختلافا كليا عما نتوقعه فلما أذن نفسد يومنا بالتفكير فى غدا ٠

وقــد دخــل بيرون وأنصاره فى نقاش مرير مع أنصار المدرسة الكلــبية ومذهــب زيــنون الذى أسس به المدرسة الرواقية ، إلا أن هذا النقاش كان يدور حول الكلمات أكثر منه حول الأفكار ، فبينما كان أتبــاع

المدرسة الكلبية يبحثون عن الطمأنينة ، وأنصار زينون يبحثون عن راحة النفس ، كان بيرون وأنصاره المتشككون يسعون وراء الهناءة وفى الواقع أن العبارات الثلاثة تختلف فقط فى اللفظ لأنه يوجد بينهما اتفاق فى المعنى إلى حد كبير [١] .

ورغم أن هذا المذهب لم يكن كيانه ثابتا إلى حد ما وانصاره كانوا غير متحمسين فى النقاش الحاد للدفاع عنه ، إلا أنه من خلال نقده الشديد للمذاهب القائمة قد هيا المجال لظهور فلسفة جديدة تستند إلى نظريات عقلية ومثالية وطبيعية . كما بعث روح التطور فى الفلسفات القديمة التى انتصبت بكل قواها لمواجهة فلسفات المادة والتشكك مثل الوثبة الافلاطونية المدعمة بالارسطوطالية والمحتفظة ببعض العناصر الرواقية والتى سميت بالافلاطونية الحديثة [٢] .

ومن خلال ذلك دخلت هذه المذاهب الفلسفية إلى جانب الفلسفات الأخرى فى فكر الحضارة الرومانية كما سنرى فى المبحث القادم .

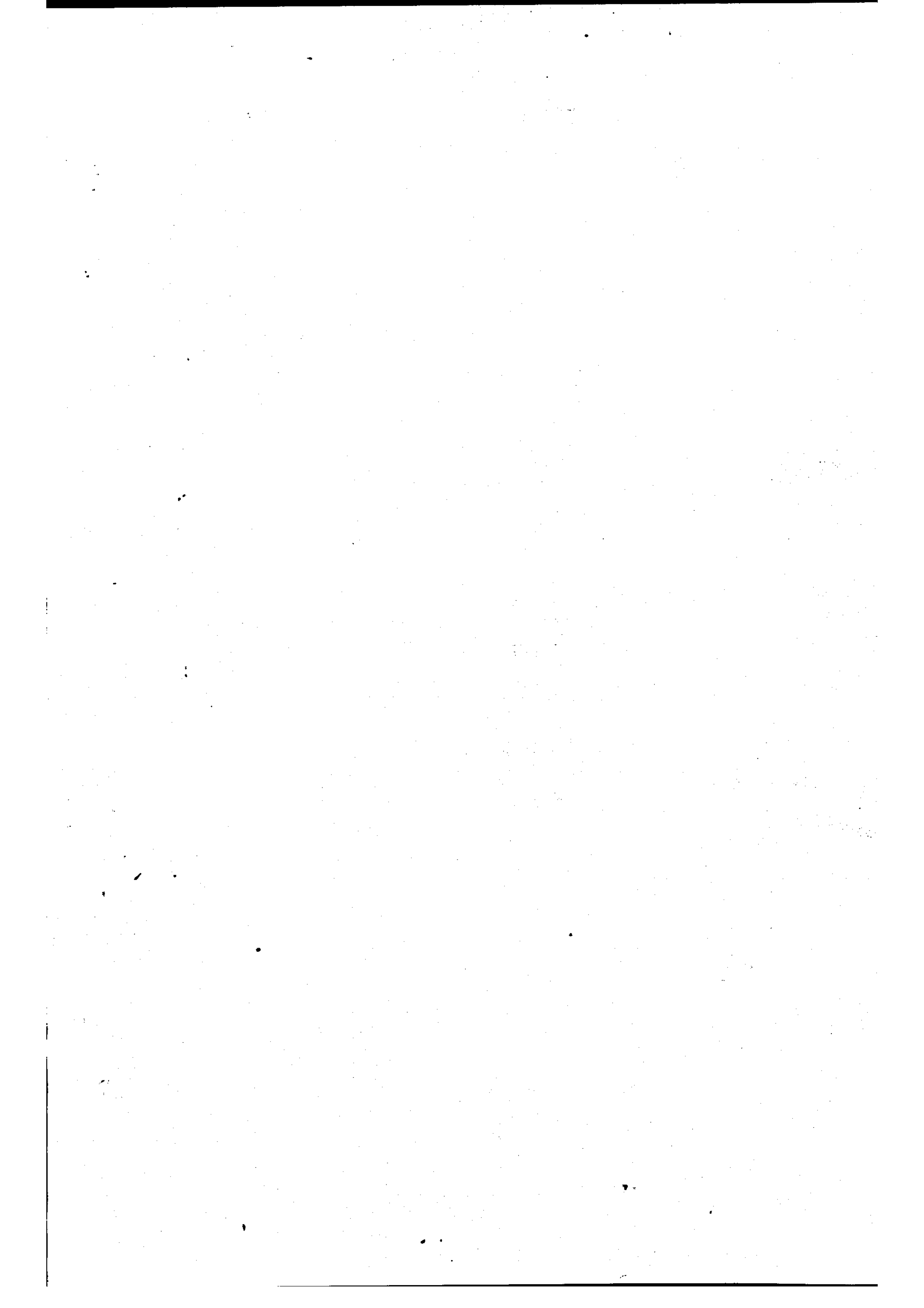
---

(1) Henry thomas – the Great philosophers- op . cit pp 141, 142 .

- اندريه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة – مرجع سابق . ص ٥٣٣ .

(٢) شارل فرنر : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق . ص ٢٢٩ وما بعدها

- امانويل كانت : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق . ترجمة وتقديم وتعليق د. عبد الغفار مكاوى . مراجعة د . عبد الرحمن بدوى . الطبعة الثالثة ١٩٨٠ . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٩ وما بعدها .



المبحث الثانى
الفكـــر الفلسفـــى الرومانـــى

****

أثرت الفلسفة اليونانية تأثيرا عمقيا فى عقول رجال الفكر الفلسفى الـــرومانى ، وفى القـــانون الـــرومانى ذاته ، فبعد أن غزا الرومان بلاد اليونـــان واســـتولوا عـــليها حربيا وسياسيا غزا بالمقابل الفكر الفلسفى اليونانى العميق عقول الرومان وتسلط عليهم سلطانا كاملا ، ظهرت إثارة فى التطوير القانونى الذى أدى إليه اتساع الإمبراطورية الرومانية وشكلية وجمود القانون الرومانى فى عصره الأول والذى كان يمثله قانون الألواح الاثنى عشر [١] .

وإذا كـــان بعـــض المفكـــرين الرومان قد حاولوا التمسك بفكرهم وتصـــديهم لـــتيار الفلسفة اليونانية ، إلا أنهم لم يفلحوا فى منع ذلك لأن الفلسفة اليونانية قد تسربت بقوة إلى داخل الفكر الحضارى الرومانـــى ، فظهـــرت الفلسفة الرواقية التى كان لها صدى كبير فى نفوس المتعلمين من الرومان .

كمـــا اقتبس الرومان الكثير من فلسفة الإغريق السياسيـــة ، إلى

---

(١) د . محمـــود الســـقا : أثـــر الفلسفة فى الفقه والقانون الرومانى . طبعة ١٩٦٦ . كلية الحقوق جامعة القاهرة . ص وما بعدها .

جـانب قيـام أسـاتذة اليونان فى الفكر الفلسفى بتعليم الكثير من فقهاء الـرومان أسـاس الفكـر القانونى فظهر فى روما مبدأ الوفاء بالتعهدات سـواء كان فى صيغة رسمية أو غير رسمية ، ونشأت عقود ملزمة دون أن تكـون شكلية ، مثل عقد البيع والإجارة ، والشركة ، والوكالة ، حيث كـانت تـتعقد بوجوب مراعاة حسن النية فى التصرفات القانونية وتغليب قصد المتعاقدين ، مما أدى إلى مرونة التعامل وتخفيف الشكلية فى العقود والمعاملات [١] .

وعلى أثر ذلك أيضا قد نادى فلاسفة وفقهاء الرومان تأثرا بالفكر الفلسفى اليونانى وعلى الأخص الفلسفة الرواقية ، بوجود المدينة العالمية والمجـتمع البشـرى الواحـد الذى يتخطى الحدود المرسومة من الدول السياسية ، ويقوم على وحدة الطبيعة الإنسانية وعلى قانون العقل ، وبأن هذا المجتمع البشرى الواحد يسود فيه أحكام القانون الطبيعى الذى يرتبط بوحدة الإنسانية ويستند على أسس قائمة على العدالة [٢] .

---

(١) د . بطـرس بطـرس غـالى . د . محمـود خيـرى عيسى : المدخل فى علـم السياسـة . طـبعة ١٩٥٩ . القاهـرة . مكتـبة الأنجلو المصرية ص ٩٥ .

(٢) د . سـعد محمـد الشـناوى : نظرية المصالح المرسلة . مرجع سابق . ص ٣٤٣ .

حيث أن الفكر الفلسفى الرومانى لم يكن ناقلا بصفة حرفيــة ، أو مقتبســا بشكل متكامل لكل اتجاهات الفلسفة اليونانية وإنما كانت بالنسبة لــه خــلفية أساســية لمناط الفكر القديم أثرت فيه كما تأثر أيضا بالفكر الفلســفى الشــرقى ، فقــد أعــتمد عليها فى البناء الأول ، ثم ظهرت له اتجاهــات فكرية وفلسفية عديدة ومتطورة كامتداد موصول للتيار الفلسفى على مر الأزمان المختلفة ، عبر من خلالها عن وحدة الجنس البشرى أو وحدة الإنسانية فى هذا العالم الملئ بالأخطار المتباعدة كما أشار أيضا عن أهميــة تــرابط كافــة الشــعوب فى مجابهة كل الجرائم التى تمس وحدة إنسانيتهم وفرض عقوبات شديدة على مرتكبيها .

ولذلك فإنه لايضاح مفاهيم الفكر الفلسفى الرومانى سنعرض آراء أهــم الفلاسفة والفقهاء الذين ظهروا فى الحضارة الرومانية لنعطى جانب من الرؤية الواضحة لموضوع دراستنا .

١ – شيشيرون- Shieshieroon:

فيلســوف ومن أعظم فقهاء الرومان ، ولد عام ١٠٦ ق.م ومنذ أن أكمــل تعــليمه أصبح أيضا من أشهر خطباء روما فى الفكر القانونى والسياســى ، كمــا قام بتأليف العديد من الكتب والدراسات المختلفة فى مجــال السياســة والقــانون أهمهــا كتاب الجمهورية ، وكتاب القوانين بالإضافة إلى ذلك أنه يعتبر أيضا من ضمن فلاسفة الأخلاق الذين ساهموا بدور كبير فى تطوير الفكر الفلسفى للحضارة الرومانيــة منذ بداية القرن

الأخيـر قـبل الميـلاد حيـث تأثر بفكر الفلسفة الرواقية دون أن ينحاز إليهـا انحيـاز كـامل فى فلسـفته وفكرة القانونى واختلف اختلاف كليا فى الـرأى مع أنصار المذهب الأبيقورى ومذهب المتشككين الذى أسسه بيرون [١] .

وقد عبر من خلال فكرة الفلسفى والقانونى عن مبدأ وحدة الجنس البشـر أو وحدة الإنسانية فى مضمون نظريته عن القانون الطبيعى حيث قرر بأن الكون كله ليس له سوى خالق واحد هو الإله الأعظم ، وأن هذه الإله الأعظم لن يكون له سوى قانون واحد يسرى على جميع البشر على السـواء ، وكـل تشريع يخالفه لا يستحق أن يطلق عليه اسم قانون لأن القوانيـن الوضـعية لابـد أن تـتفق وتتطابق وتتماثل تماما معه أى مع القـانون الأبدى الطبيعى ، وبالتالى لا يمكن أن تخالفه لعدم قدرة الشعوب أو الحكـام على تغيير الحقائق ، أو جعل الباطل حقا - والقانون الطبيعى هـذا هو دستور العالم أجمع ، لأنه قانون حق ، وقانون العقل الصائب ، يسـرى بطبيعـته عـلى جميع البشر ، وهو خالد لا يتغير ، يأمر الأفراد جميعـا بأداء واجباتهم ويحرم عليهم جميعا ارتكاب الأخطاء ، أنه لا يضع قواعـد خاصـة بشـعب روما . وأخرى خاصة بشعب أثينا ، بل قواعد واحـدة وثابتة ولا تتغير بين يوم وآخر - وفى ظل هذا القانون يتساوى

---

(١) د . عثمان أمين : الفلسفة الرواقيـة : مرجـــــع سابـــق . ص ١٩ وما بعدها .

جميع البشر لأنهم جميعا متساوون أمام الإله الأعظم [١] .

ومن خلال هذا قد عبر شيشيرون أحسن تعبير عن أساس التوحيد ، وبـأن جميع البشر من أسرة إنسانية وحدة ولا فرق بينهم وأن القانون الطـبيعى سوف ينظم علاقاتهم بأسس قائمة على العدالة والمساواة ، كما يحـمى وحدتهـم الإنسـانية ويفرض عقوبات على من يقوم بارتكاب أى جريمة تمس هذه الوحدة أو حقـوق أى إنسان فيهـا .

وبالتالى فإن هذا التعبير يعطى إضاءة واضحة عن تجسيم خطورة الجـرائم الـتى ترتكب فى حق الإنسانية وهو ما نطلق عليه الآن الجرائم الدولية كما أعطى أيضا إشارة إلى وجود فكرة القضاء الدولى الجنائى فى الفكر القانون والفلسفـى لدى الرومان [٢] .

---

(١) د . بطـرس بطـرس غالى ، د . محمود خيرى عيسى : المدخل فى علم السياسة . مرجع سابق ص ١٠٠ ، ص ١٠١ .

- د . حمـدى عـبد الرحمن : فكرة القانون . طبيعة ١٩٧٩م القاهرة . دار الفكر العربى ص ٤٧ ، ص ٤٨ .
- د . عمر ممدوح مصطفى : القانون الرومانى . مرجع سابق .ص ١٦ .

(٢) د . حسـنين صـالح عـبيد : القضـاء الدولى الجنائى . مرجع سابق . ص ١٣ .

- د . عـلى حـافظ : أسـاس العدالة فى القانون الرومانى . القاهرة ١٩٥١ ص ١٠٩ وما بعدها .
- اندريـه ايمارد ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق ص ٣٣٢ ، ص ٣٩٠ ، ص ٥٢١ .

هــذا بالإضـــافة إلى أن شيشـــيرون كان من الرواد الأوائل الذين عـــالجوا قضـــية الحروب المشروعة ، حيث رأى بأن الحرب لا يمكن أن تكون مشروعة إلا إذا كان قد سبق اندلاعها طلب رسمى للترضية والحل الودى أو حتى على الأقل إنذار رسمى [١] .

وقـــد ظل شيشيرون ينادى بهذه المبادئ حتى توفى فى عـــام ٤٣ ق ٠ م ، واعتـــنقها أثناء حياته وبعد وفاته العديد من الفلاسفة والفقهاء الرومان خلال عصر الإمبراطورية الرومانية الغربية والشرقية ، كما تأثر بها معظم فقهاء وفلاسفة العصور الوسطـــى والحديثة ٠

ولكن رغم كل ذلك إلا أنه يأخذ عليه مثل ما أخذ على من قبله من فلاســفة الإغريق وعلى الأخص افلاطون وأرسطو بأنه قد اعتبر العبيد لا يتصفون بالإنسانية وأن الحيوانات قد تكون فى بعض الأحيان أفضل منهم ولـــذا قـــال كما سبق أن أشرنا من قبل (من الأفضل لتخفيف حمل سفينة معرضة للغرق أن نلقى فى البحر بعبد من بدلا من حصان جيد) ٠ وعلى هذا الأساس فإن فكرة الفلسفى فى مبدأ وحدة الجنس البشرى لا يمكن أن يصـــل إلى مرتـــبة فكـــر فلاسفة الشرق العظماء وخاصة اخناتون وبوذا وكونفوشـــيوس وزرادشـــت الذين جعلوا جميع البشر من طبيعة إنسانية واحدة كأساس مبدئى فى فكرهم الفلسفى ٠

---

(١) د ٠ جعفـــر عـــبد الســـلام : مـــبادئ القانون الدولى العام ٠ مرجع سابق ص ٧٩٥ ٠

٢ – سينكا – Senieka:

مــن أشهر فلاسفة مذهب الرواقيه فى العصر الرومانى ، ولد فى عام ٤ ق ٠ م ، وعاصر عهد الإمبراطور نيرون الذى حكم الإمبراطورية الرومانية من عام (٥٤ – ٥٨ ميلادية) واشتهر بالقسوة والاستبداد إلى حــد الغرابة كما كان ظلمه وطغيانه لا مثيل لهما فى العصور السابقة ولا اللاحقة لحكمه ٠

ورغــم أن ســينكا كان يعيش فى بلاط هذا الإمبراطور إلا أنه كان متمســكا بمــبادئ الرواقية وعبر عنها بفلسفته أصدق تعبير عن العدالة والأخــوة الإنســانية ، دون أن يهيب شرد ولا ظلمه بل كان يكبح جماحة وشــهوة طغيانــة واســتبداده بمــا يمــليه عــليه مــن نصائح وتعاليم بــالقيم والمــبادئ الإنسانية ، حتى تذمر منه وأمر بإعدامه بقطع شريانه الأكــبر (كمــا أشرنا فى الباب الأول) ومات دون أن يتألم فى عام ٦٥ ميلادية [١] ٠

---

(١) عــبد الــرحمن بــدوى : الأخــلاق الــنظرية ٠ مــرجع سابق ص ١٥٤ وما بعدها ٠

– شارل فرنر : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق ص ٢٢٦ ٠

– أبــو بكــر محمــد ذكرى : تيسير فلسفة الأخلاق ٠ مرجع سابــــق ٠ ص ٣٢ ٠

وقد عبر سينكا من خلاله فلسفته الرواقية عن مبدأ وحدة الإنسانية والعدالـــة بيـــن جميـــع البشر بأسلوب يختلف إلى حد ما مع فكر وفلسفة شيشـــرون ، حيث أشار بأن الفرد عضو فى مجتمعين سياسين فى وقت واحـــد ، المجـــتمع السياسى للدولة التى هو أحد مواطنيها أما بالميلاد أو بالإقامـــة المستمرة ، ومجتمع الدولة الكبرى التى تضم جميع البشر وهو ينـــتمى إلى هـــذا المجـــتمع العالمى بصفته إنسانا ، والدولة الكبرى هذه مجـــتمع أكـــثر ممـــا هى دولة ، وروابطها خلقية أو دينية أكثر مما هى سياسية أو قانونية ، وكل إنسان فاضل يستطيع أن يقدم خدماته للإنسانية حـــتى لـــو كـــان مجردا من القوة السياسية وذلك عن طريق أداء واجبه الاجتماعـــى نحو الأخوة البشريـــة .

كـــان سـينكا يعـــتقد أيضـــا وجود عصر للمجتمع المثالى سابقا لعصـــر الدولـــة ، وبأنـــه فى هذا المجتمع كان يعيش فيه الأفراد سعداء أو أطهـــارا ، ويحيـــون حياة مليئة بالقيم والمبادئ الأخلاقية لا أثر فيها للـــترف والـــلهو لأنهم كان أبرياء ونفوسهم خالية من الطمع والجشع . ولذلـــك لـــم تظهـــر فيهـــم السـطوة ولا الأنانية ، كما كانوا ليس بحاجة إلى حكومـــة أو قـــانون بـــل لتســـامحهم وبراءتهم كانوا يطيعون أعقلهم وأفضـــلهم ، وهـــؤلاء العقـــلاء الفضلاء كانوا لا يستخدمون سلطتهم فى قضـــاء مصالحهم الشخصية وإنما كانـــوا يرعون بحرص شديد المصلحة العامة قبل شئ .

ثم أشار سينكا عن كيفية ظهور الدولة وما بها من قوانين بالقول بأنه عندما بدأت رغبة أفراد المجتمع المثالى فى التملك انقلبـت الأوضاع حيـث بدأ الجشع يسيطر على نفوس الحكام فانقلبوا إلى نفعيين ، ثم إلى حكام مستبدين ، ولما تقدمت العلوم ووجدت الكماليات ، فأن تلك الكماليات هى الـتى ولـدت الفسـاد فى نفوس الأفـراد ، وهنا ظهرت الحاجة إلى القـانون لـلحد من مساوئ الطبيعة البشرية وفسادها وإلى جهاز حكومى يقوم بتطبيق أحكام هذا القانون ٠

وبهذا يقول سنيكا أن القانون والحكومة ظهرا من أجل علاج فساد البشـر وردع مـن يحـاول اغتصـاب حقوق الآخرين أو ينتهك وحدتهم الإنسانية ، وإذا أمكن أن تعود البشرية إلى طهارتها الأولى فلابد أن يعود معها المجتمع الكامل الذى لا يحتاج إلى مثل هذه النظـم ، ولكن إذا كان الأفـراد بهذا الوضع الذى ظهر فيه فساد الأخلاق فإنهم لن يستطيعوا أن يعيشـوا ويحافظوا على كيان وحدتهم الإنسانية إلا بهذه النظم التى تعتبر ضرورية ومفيدة (١) .

ومن خلال هذا التعبير يشير سينكا بفلسفته إلى مدى الخطورة التى يتعرض لها المجتمع العالمى من الجرائم التى ترتكب فى حق الإنسانية إذا

---

(١) د ٠ بطـرس بطـرس غالى ، د ٠ محمود خيرى عيسى : المدخل فى علم السياسة ٠ مرجع سابق ، ص ١٠٦ ، ص ١٠٨ ٠

تــركت بدون نظم قانونية تعاقب عليها ، وترهب من يحاول أن يرتكبها ، أى يعــطى إشــارة ضمنية عن فكرة القضاء الدولى الجنائى من أجل أن يعيــش كافــة البشر في حياة إنسانية مليئة بالأمان والسلام والاستقرار ، كمـــا أن ســينكا لم يتردد فى التنديد بالحرب ، ويعتبر من أوائل الفلاسفة الذين نادوا بفكرة مجرمى الحرب المأخوذ بها فى الوقت الحالى [١] .

٣ - ابيكتاتوس - Apiektatos :

فيلســوف رومـــانى مـــن أشهر معلمى مذهب الرواقية فى القرن الأول الميلادى – ولد عام ٦٠ ميلادية وكان عبدا رقيقا يتذوق العذاب من سيدة دون أن يتألم – ويقول مؤرخو الفلسفة الرواقية عنه بأن سيده كان يقوم بتعذيبه بأشد ألوان العذاب وهو يتحمل ، وفى أحد المرات قام بلوى ســاقه إلى أبعــد حــدود القسوة ، وقال لــه فى هدوء ستكسر ساقى ، ولما كسرت بالفعل قال بنفس الهدوء كسرت ساقى ، وقد قلت لك ذلك من قبل [٢] .

ورغــم هــذه القسوة التى كان يتعامل بها ابيكتاتوس والتى أصبح مــن آثارهــا أعرج ، كان من أسعد الناس ، لأنه كان دائما يقول [لقد

---

(١) د . حســنين صــالح عــبيد : القضـــاء الــدولى الجنائى . مرجع سابق . ص ١٣ .

(٢) د . أبــو بكــر محمــد ذكــرى : تيســير فلسفة الأخلاق . مرجع سابق . ص ٣٣ .

تعـلمت هدايـــة العقــل لا إثـــارة الجسد ، فإذا كنت لا تستطيع أن ترتفع بأعمـــالك إلى مستوى طموحك فلتنزلن بطموحك إلى مستوى ما يمكن أن تـــنجز من أعمال حتى تكون ملئ بالقناعة] ، وأيضا قال فى حرية الروح التى اعتبرها أعظم قناع فى العالم (فى وسعك أن تقيد جسدى بالأغلال ، وفى وســـعك أن تجوعـــه ، وفى وســـعك أن تقتله أيضا ، ولكن ليس فى وســـعك أن تمس بضرر أو أذى الجزء الجوهرى عندى - إلا وهو نفسى الخالدة) [١] .

تحرر ابيكتاتوس من عبوديته بعد أن مات سيده ، ومكث فى روما حرا دون أن يتزوج وإنما تبنى طفلا كان والده ينويان التخلص منه بقتله لعجزهما عن اعالته - وحاول أن يعلم الفلسفة فى روما وأشتهر بها بأسم الفيلسوف الأعرج ، ولكن بمجرد أن علم الإمبراطور الرومانى (دوميتيان) بـــآراءه التى ينشرها عن الفلسفة الرواقية ، طرده من روما بحجة أن أفكـــاره تمـــثل خطـــورة عـــلى كيان الإمبراطورية وعلى عقائدها الدينية المقدسة . وبالفعل هاجر ابيكتاتوس إلى بلاد اليونان وسمح لـــه بالبقاء فيهـــا كمـــا أنشـــأ داخل سكنه مدرسة لتعليم الشباب الفلسفة ، نشر فيها مـــبادئ مذهـــب الرواقية وكان يقول لتلاميذه - [أنكم جميعا أبناء الإله الأعظم ، إنكم جميعا أعضاء فى أسرة بشرية واحدة ، إن مهمتنا تنحصر

(1) Henry thomas – the Great philosophars – op . cit – P 158 .

فى أن نعيش متألفين فى عالم متحد من الأخوة ، وأن نتشبه إلى أبعد حد ممكن بالإله الأعظم خالقنا] .

وقــد أعلن ابيكتاتوس بأن الإله الأعظم هو القوة كلها ، والحكمة كلها ، والخير كله – كما ردد رأى فلاسفة الشرق بالقــول(أن الألم الذى نعانيه فى هذه الحياة إن هو إلا مجرد حاجز أو عانق يقوى أرواحنا) كما قــال (لما كانت غالبيتنا تسير فى الظلام ، أفلا ينبغى أن يكون هناك من يــترنم بحمــد الإله الأعظم نيابة عنا جميعا ؟ وما الذى يفعله رجل أعرج مثــلى سوى الترنم بحمد الإله الأعظم ، فلو أننى فى الحقيقة كنت بلبلا ، لصــدحت كالبلبل ، ولكنى مخلوق عاقل ، ولذلك على أن اترنم بحمد الإله الأعظم ، هذه هى مهمتى ، أقوم بها ولن أهمل هذا الواجب مادام الواجب مــناطا بى ، وإنى لادعوكم جميعا يا أخواتى الأفاضل للاشتراك فى الترنم بهذه الأنشودة بعينها) .

وعــن الحــق قال ابيكتاتوس لتلاميذه (أن الحق ، شأنه فى ذلك شــأن أشــعة الشمس ، يصل إلينا من خلال نوافذ عديدة – أى فى أوقات مختــلفة ، وفى أماكن مختلفة ، وفى كلمات مختلفة ، ولكن المعنى ثابت عــلى الــدوام – رعاية الإله الأعظم ، وأخوة الإنسان ، والوصية العامة بالعطــاء والغفــران ، فلــتعط بوفرة من نفسك ، ولتغفر لأولئك الذين لا يستطعون أن يفعلوا مثل ذلك) ، وفوق كل ذلك كان ابيكتاتوس رجل سلام حيث كان يقول (الحياة معركة ولكنها ليســت

ضـد عـدو ، وإنما هى ضد روح العداء ... واحسن سبيل للتغلب على العـدو تحويله إلى صديق) وقد ظل ينادى بهذه المبادئ دون كلل أو ملل حتى مات فى عام ١٢٠ ميلادية [١] .

وبهـذا يعتـبر ابيكـتاتوس من أعظم فلاسفة الرواقية فى العصر الـرومانى ، كمـا عبر من خلال فلسفته عن المفاهيم العليا لقدرة الخالق وهو (الله) جل شأنه ، كما أعطى أعظم تفسيرات لمبدأ الأخوة الإنسانية فى المجتمع العالمى .

٤ - ماركوس اوريليوس- Marks orielos:

مـن أشـهر فلاسفة الرومان بعد ابتكتاتوس الذين اعتنقوا منهج الفلسـفة الرواقية - ولد فى عام ١٢١ ميلادية ، ومنذ حداثته كان شغوفا دائمـا بالفلسفة ، ولولعه بأمثال سقراط وديوجين وزينون وكل الفلاسفة والمفكـرين الذيـن سبقوه وأثروا الحق على الغنى - كان يرتدى عباءة مهلهة وينام على دكة خشنة وكان سعيدا بفقرة ، ولكن عندما بلغ الثامنة عشرة من عمره ارتفع قدره من فيلسوف فقير إلى فيلسوف أمير بعد أن وقع عليه اختيار عمه الإمبراطور الرومانى انطونيوس ليكون وريثه على العرش .

---

(1) Henry thomas - the Great philosophers - op . cit - pp 159 ets .

- أبـو بكـر محمد ذكرى - تيسير فلسفة الأخـلاق - مرجع سابـق - ص ٣٤ .

وبـــالفعل بعـــد أن مات الإمبراطور انطونيوس عام ١٦١ ميلادية جـــلس هذا الفيلسوف الرواقى على عرش الإمبراطورية الرومانية وكان يبـــلغ من العمر فى ذلك الوقت أربعين عاما كما ورث ثروة طائلة لم يكن يرغب فيها .

ورغـــم دوامـــة الحكم والظروف القاسية التى أجبرته على خوض المعـــارك العديـــدة ليحافظ على كيان الإمبراطورية حتى لا يتهم من جانب الرومان بأنه قد تسبب فى انهيارها ، أو اغاب عنها شمس المجد فى فترة حكمـــه – إلا أنـــه لـــم يتخلى عن فلسفته الرواقية وكان دائما يكره الظلم والاســـتبداد ويفكر بعمق فى إيجاد وسيلة أخرى إنسانية تحقق طموحات الـــرومان بدلا من الحروب وحب السيطرة على الشعوب الأخرى – ولذلك قـــرر فى الكتاب الذى ألفه بأن (مدى حياة الإنسان أشبه ما يكون بنقطة واحدة ... والشهرة بعد الموت يطويها النسيان ، أما الشئ الذى مصيرة الـــدوام والبقاء ، هو الفلسفة التى تتضمن القواعد والمبادئ العديدة التى تجعـــل الإنســـان يقـــدر على حفظ الروح التى بداخل نفسه من كل حالات الـــتعاظم والكراهية كما يمكنه من التحرر من الألم واللذة ، فعليه إلا يقوم بارتكاب الظلم والفساد أو يعمل أى شئ فى رعونة أو كذب أو رياء وعليه كذلـــك أن يتقبل بسرور وقناعة كل ما يصيبه من أحداث ، باعتبارها من صنع الإله الأعظم الذى هو من صنعه أيضا) [١] .

---

(1) Henry thomas – the Great phlosophers – op . cit – PP 161 , 162 .

كمـا قـال (غايــة المخلوق العاقل هو الامتناع عن أعمال الشر وارتكـاب الجرائم التى تصيب وحدة الإنسانية بالآلام والأحزان - بل عليه مشـاركة الآخـرين وجدانيـا ، وعدم المبالاة كلية لما هو مقدر لــه ثم الاذعان بنفس طيبة لمشيئة الإله الأعظم فى كل شئ - فالفلسفة باقتضاب تجـلب لــك راحة البال بطريقة يتجلى فيها كرم أخلاقك ، فلا تتوه زهوا بـنجاحك ، ولا تثـبط عزيمتك لاخفاقك ، بل تجعلك تحيا كريم النفس بما يتفق وطبيعة روحك الطاهرة) [١] .

وبينما كان (ماركوس اوريليوس) مستغرقا فى فلسفته قام بعض الـرومان المشبعين برغبة زائدة فى العدوان أن يعزلوه عن الحكم بعد أن تـأكدوا أنــه لم يكن ميالا على الإطلاق لخوض الغزوات والفتوحات وأن وداعته ورقته وتسامحه سوف تؤدى إلى تحجيم الطموحات العليا للشعب الـروماني - فأشـعلوا ثـورة ضده تزعمها أحد قواده وهو (اقيديوس كاسـيوس) الــذى كـان يـرغب فى الاستيلاء على العرش - واتهموه بالضـعف والاسـتكانة ، واتهمـوا زوجته أيضا بالخيانة وأنها تعشق فى الفراش أحد حراسها ، كما أشاعوا كذبا بأنه قد مات لكى تشتعل الفوضى ويمكـنوا (اقيديـوس كاسيوس) من انتزاع السلطة منه والجلوس على عرش الإمبراطورية .

---

(١) د . أبـو بكـر محمـد ذكـرى : تيسير فلسفة الأخلاق . مرجع سابق - ص ٣٧ ، ص ٣٨ .

وبعد أن وصلت هذه الشائعات القبيحة إلى مسامعه لم يتهور ، وإنما صمد أمام هذه الأزمة كرواقى صحيح ولم ينساق نحو الحقد أو الكراهية أو شهوة الانتقام ، وإنما كل ما فعله أنه إصدار أمر بجمع جنوده وخاطبهم بالقول (أيها الرجال بلغنى أن أفضل صديق لدى يعد مؤامرة لخلعى من العرش لذلك أرانى مضطرا أن أنزل الميدان ضده لأنى أخشى شيئا واحدا فقط ، هو أن يقتل (افيديوس كاسيوس) نفسه فى لحظة خزى ، أو قد يقتله أحد فى لحظة تهور ، وفى أى الحالتين فأننى سأحرم من أعظم انتصار يمكن أى ظافر أن يحصل عليه ، وهو العفو عن الرجل الذى أساء إلى ، والإبقاء على صداقتى لرجل نقض عهود الصداقة معى) وبالفعل قام أحد اتباع ماركوس اوريليوس المتهورين بقتل كاسيوس كما قامت جنوده بالقضاء على جميع المتآمرين ضده ، بالتالى تمكن هذا الإمبراطور الفيلسوف أن يقضى على الفتنة والمؤامرة التى دبرت ضده بالحكمة وبدون أى تهور ، واستطاع أن يستمر فى الحكم إلى أن مات وهو على كرسى العرش فى عام ١٨٠ ميلادية .

لقد عبر ماركوس اوريليوس من خلال فلسفته عن المبادئ الأساسية لوحدة الإنسانية وأخوة جميع البشر فى هذا العالم الملئ بالأقطار المتباعدة – فقال (إننا جميعا أخوة فى الحزن، فلا يسعنى أن أغضب من إخوتى أو أقطع صلتى بهم ، لأننا قبلنا بحكم الطبيعة – أو إن شئت فقل بحكم العناية الإلهية – على أن يعين بعضنا بعضا كأخوة من أسر بشرية واحدة – ففى وسعك أن تضم بين جوانحك أفضل صديق أو أسوأ عدو –

فـــأرفض دائما أن تكون روحا صغيرة تحمل جسدا كبيرا بل العكس حتى تكـــون إنسانا لأخوتك فى الإنسانية - لأنه لا يخطرن ببالك أن هناك شيئا يمكن أن ينفصل عن المجتمع البشرى المتحد وينتسب إليك وحدك) .

كمـــا عـــبر أيضـــا أفضل تعبير عن إخاء وحدة الإنسانية بالقـــول [مادمت أنا إمبراطورا فمدينتى هى روما ، ولكن مادمت أنا إنسانا فوطنى هو العالم] (١) .

وإذا كان هذا الإمبراطور الفيلسوف قد أخفق مع الأخوة المسيحين واتخـــذ نحوهـــم موقفا مضادا لنفسه الخيرة ، وعلى الأخص بعد أن أمر بصـــلب روادهم وكان ذلك نقطة سوداء لطخت شخصيته بل أعظم مأساة

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – pp 160 , 161 .

- د . أحمـــد سويلم العمرى : أصول العلاقات السياسية الدولية . مرجع سابق . ص ٤٧ .
- ول ديورانـــت : قصـــة الحضـــارة . قيصـــر والمســـيح . مـــرجع سابق . ص ٥١ وما بعدها .
- أبو بكر محمد زكى - تيسير فلسفة الأخلاق - مرجع سابق - ص ٣٧
- د . زكى نجيب محمود ، د . أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية . الطبعة الثانية ١٩٨١ ، مكتبة النهضة المصرية ص ٢٣١ وما بعدها .
- د . عـــثمان أميـــن . الفلســـفة الـــرواقية - مـــرجع ســـابق . ص ٥١ وما بعدها .

فى حياتـــه وحرمـــته مـــن أن يـــنال بعد ذلك نفس المكانة التى تمتع بها الفلاســـفة الشـــرفاء رغم اعتراف الجميع بقدرته كفيلسوف عظيم ، فإن الســـبب فى ذلـــك يـــرجع إلى اعـــتقاده بـــأن الأخـــوة المسيحين أعداء للإمـــبراطورية الرومانية فى الأرض ويؤمنون بمملكة غريبة فى السماء ويـــتحدوا فكـــرة الفلسفى الرواقى فى مفهوم الأخوة الإنسانية ، رغم أن الفكـــر المسيحى فكر ألهى أعظم شأنا من كل الأفكار الفلسفية فى مفهوم الأخوة الإنسانية ووحدة الجنس البشرى كما سنرى بعد ذلك .

٥ – افلوطـــين – Avlotien :

فيلسوف رومانى ولد فى عام ٢٠٣ ميلادية بمدينة ليقوبوليس فى مصـــر – درس فى مديـــنة الإســـكندرية الفلســـفة الإغـــريقية والشرقية واليهوديـــة ، حيـــث كـــانت الإسكندرية فى ذلك الوقت المسرح الرئيسى للفلســـفة العالميـــة الـــتى كـــانت عبارة عن مزيج من الفلسفة اليونانية والفلســـفة الشـــرقية والفلسفة اليهودية التى أسسها الفيلسوف اليهودى فيـــلون فى القـــرن الأول لـــلميلاد ، ولذلـــك تعلم أفلاطين الأصول العامة للفلســـفة وتعمـــق فيها وخاصة فلسفة المصريين القدماء مثل بتاح حتب وأبوور واخناتون [١] .

---

(١) د . محمـــد بيصـــار : الفلســـفة اليونانيـــة . مرجع سابق . ص ١٥٣ ، ص ١٥٤ .

- د . زكى نجيب محمود ، د . أحمد أمين – قصة الفلسفة اليونانية – مرجع سابق ص ٢٦٧ .

غـادر الإسـكندرية عندما قام بالاشتراك فى حملة الإمبراطور الرومانى غورديانوس لبلاد الفرس ليزداد تعمقا فى الفلسفة الشرقيـة ، ولكن بعد هزيمة الجيش الرومانى أجبر على اللجوء إلى انطاكيه .

وعندما بلغ عمره أربعين عاما أتجه للإقامة فى روما وافتتح فيها مدرسـة لتدريس الفلسفة التى انتهجها ولاقت ناجحا كبيرا ، وأستمر على ذلـك حـتى مات فى عام ٢٦٩ م بعد أن بلغ من العمر السادسة والستين عامـا ، قام بأعداد مؤلفات نشرها تلميذه (فورنوريوس) الذى أعد كتابا عـن حيـاة افلوطين ، حيث قسم فورنوريوس مؤلفات افلوطين إلى ستة أقسام يتضمن كل قسم منها تسعة كتب ، ومن العدد تسعة هذا كان عنوان المؤلف لفلسفة افلوطين " التاسوعيات " (١) .

وقد عبر افلوطين عن فلسفته فى التاسوعيات بأن الأشياء المادية ليـس لهـا أية حقيقة فى ذاتها ، لأن حقيقتها تأتيها من النفس التى هى غيـر جسمية أساسا . والعقل هو الذى أحدث النفس – والعقل هو الفكر الأبـدى الـذى صـنعه الخالق الأعظم وهو الإله الذى يحدث عالم المثل بفيضه الذى لا ينفذ (٢) .

---

(١) شارل فرنر : الفلسة اليونانية . مرجع سابق . ص ٢٣٤ .

(٢) د . محمد بيصار : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق . ص ١٥٦ .

– د . نور الدين أشراقية : معركة الحياة . مرجع سابق ص ٢٣٤ .

ولذلـــك كان افلوطين يرى أن أول أمر ينبغى للفلسفة أن تعنى به هـــو تزكير النفس بأصلها الإلهى ، لأن النفس إذا ابتعدت فى الحقيقة عن مبدئها ، أى ابتعدت عن الإله الأعظم ، فإنها تكون مثل الطفل الذى فصل عـــن أسرته منذ ميلاده واصبح جاهلا أهله ، لذلك فإن النفس إذا لم تكن لهـــا معـــرفة بالإلـــه سوف تصبح غريبة عن ذاتهـــا ، وتتعلق بالأشياء الخارجية ، ولم يعد لها من تقدير إلا لهذه الأشياء – ولذا ينبغى أن نصور للنفس أصلها وشرفها ، فينبغى لنا أن نقنعها بأنها أعلى بكثير من الأشياء المحسوسة والجسمية وأن مصيرها الحقيقى هى فى العودة إلى الإله الذى صدرت منه لأن النفس أعلى من الأجسام كلها بما لا نهاية له ، فهى التى تهب البدن حياته وجمالة .

والعالم المحسوس يخضع لقانون الزمان ، وهو الذى أحدثه فيض الـــنفس ، الـــتى فاضـــت هى ذاتها عن العقل الذى فاض بدوره عن الإله الأعظـــم – ولكى نعرف الزمان ما هو ينبغى لنا أولا أن نتصور الأبدية ، والأبدية هى حياة العقل الذى يتضمن الأشياء كلها معا من دون أن يتغير أى مـــنها ، ومـــا يمتـــلك الأبدية هو الموجود (الإله الأعظـــم) الذى لا يمكننا أن نقول عنه كان أو سيكون بل فقط أنه كائن ، وذلك لأن الماضى لم يفقده شيئا ولا المستقبل سيكسبه شيئا ، وبالتالى فإن الزمان هو حياة النفس منظورا إليها فى حركتها التى تنتقل بها من فعل إلى آخر [١] .

---

(١) شارل فرنر : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق . ص ٢٣٤ .

وعـــلى هذا الأساس فإن فكرة افلوطين الفلسفية فى الوجود تتكون من أربعة جواهر أولية مرتبة ترتيبا تنازليا على النحـــو التالـــى :

(١) الواحد (الإله الأعظم)

(٢) العقـــل ٠

(٣) النفـــس ٠

(٤) المـــادة ٠

فـــإذا اتحـــدت هذه الجواهر ، وقوى ما بينها من التحام وتماسك كـــانت أقـــرب إلى الكمال والتوافق كما تكون فى اقتراب فعلى من الواحد وهو الإله الأعظم [1] ٠

بهذه الفكرة نفسر أساس وحدة الجنس البشرى أو وحدة الإنسانية فى فلســـفة افلوطين من خلال هذه الجواهر الأربعة : بأنه إذا اتحدت هذه الجواهـــر بقوة استطاع كل البشر أن يتغلبوا على كل عوامل الظلم والشر ويكونوا على مقربة من الله ورعايته الفياضة لهم جميعا ، أما إذا تباعدت هذه الجواهر أو انفصلت عن بعضها تاهت البشرية فى بحور الظلام ليكثر الفســـاد وتنتشـــر الجـــرائم التى ترتكب فى حق الإنسانية ، لذا يجب على

---

(١) د ٠ محمد بيصار : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق ٠ ص ١٥٦ ٠

- د ٠ نـــور الديـــن أشـــراقية - معركة الحياة - مرجع سابق ٠ ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٨ ٠

جميـــع البشر أن يتمسكوا بهذه الحقيقة ولا يبتعدوا عنها حتى تعيش كل شــعوب العــالم فى أمان وسلام واستقرار وفى تألف عظيم مع قدرة الإله الواحــد الخالق لهذا الكون وما فيه من أشياء وكائنات وبشر ، وهذه هى فلســفة افــلوطين - الله خـــالق كل شئ ، لقد خلق العقل ، والعقل خلق النفس ، والنفس خلقت العالم المحسوس ٠

يقــول فضــيلة الدكتور محمد بيصار ، بأن [التفكير الفلسفى بعد افــلوطين قد جمد ووقف عند حد التقليد والترديد لآراء الفلاسفة السابقين حــتى أحياهـــا من جديد عصر النهضة الأوروبية الحديثة على نمط جديد وفى اتجاه طريف وليد] (١) ٠

أما شارل فرنر فيقول رأى آخر بأن (الفلسفة فى العصر الرومانى قــد مـــالت بعــض افلوطين إلى جانب اللاهوت لتحارب المسيحية لصالح الديانـــة الوثــنية ، واستنفذت قواها فى هذه الحرب العديمة الجدوى حتى انتصرت المسيحية ، وإن المسيحية بهذه الانتصار قد أغنت الفلسفة اغناء فــريد إذ إنهـــا حينما تصورت تصورا جوهريا اتحاد ما هو الهى بما هو إنسانى فتحت الطريق أمام فكرة أعمق عن الفكر والحرية ، وهذا التعمق الــذى بدا أصلا لدى القديس أوغسطين قد أعطى الفلسفة الحديثة بظهور ديكـــارت ، المــبدأ الــذى كان لابد لـــه من أن يبعث الحياة فيها بأكملها،

---

(١) د ٠ محمد بيصار : الفلسفة اليونانية ٠ مرجع سابق ٠ ص ١٦٠ ٠

وأن يقودها إلى أجمل انتصاراتها) [١] .

وهـذا يعنى أنه يوجد فيلسوف آخر فى نهاية عصر الإمبراطورية الـرومانية الغـربية نـال أول شهرة فى ربط المسيحية بالفلسفة وعلى الأخص الفلسفة الأفلاطونية الحديثة وهو القديس أوغسطين .

فإنـه أمـام هـذا التعارض بين الرأى الأول والرأى الثانى نفضل الاتفاق مع الرأى الثانى ونعرض الفكر الفلسفى للقديس أوغسطين ونكتفى بهـذا القـدر لأن موضوع بحثنا خاص بالعصور القديمة وينتهى بسقوط رومـا فى عام ٤٧٦ ميلادية على يد قبائل الجرمان وزوال الإمبراطورية الرومانية من الغرب ، والقديس أوغسطين ولد فى عام ٣٥٤ م وتوفى فى عام ٤٣٠ ميلادية .

٦ - القديس أوغسطين – Augustin :

فيلسـوف رومـانى ولـد فى مقاطعـة نوميديا (الجزائر الآن) الـرومانية من أب وثنى وأم مسيحية فى عام ٣٥٤ ميلادية – وبدا حياته بالاسـتهتار وارتكاب العديد من الخطايا وكان يسمى نفسـه (النفس الضـالة فى بحـر مـن الوحل) واستمر على ذلك حتى بلغ عمره اثنين وثلاثيـن عامـا ، حيـث تحول بعد ذلك إلى الأيمان والتطهر من الذنوب وانسـكب فى قلبه نور الهادية لاعتناقه الديانة المسيحية على حق (كما

---

(١) شارل فرنر : الفلسفة اليونانية . مرجع سابق . ص ٢٦٣ .

كـانت تطـلب أمـه فى دعائهـا إلى الله) إلى جـانب دراسـته لفلسفة افلاطـون وارسطو ومذهب الرواقية - وعين على أثر ذلك فى عام ٣٩٦ ميلاديـة اسقفا لمدينة لهيبو التى لا تبعد كثيرا عن مدينة قرطاجة بشمال إفريقيا [١] .

وخـلال تعمقـه فى الديانة المسيحية وفكر فلاسفة الإغريق اتخذ لنفسـه مـنهجا فلسفيا جديدا كان عبارة عن مزيج من التصور اليهودى والمسـيحى لله إلى جـانب التعبير الرواقى عن القانون الإلهى فى صورة الواجـب الإنسـانى والمـثل الأفلاطونية لعالم أفضل - أى كانت فلسفته مـزيج مـن المـبادئ والقيـم اليهوديـة ، والمسـيحية ، والرواقية ، والأفلاطونية [٢] .

ولذا أعلن أوغسطين عنها بالقول [إن كل فرد منا ، إن هو جزء من الله - ولما كنا مسيرين بما قدر علينا فنحن ملزمون بأتباع مشيئته ، فما علينا إلا أن نحول أنظارنا من عالم الظواهر الذى هو عالم من الظلال إلى عـالم المثل الذى هو عالم الجواهر ، ومن اضطراب الحياة الدنيا إلى مـلكوت السموات] كما قال (أعتمد على هداية الله ، ولتحاول أن تغمر

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – pp 173 , 176 .

(٢) د . بطـرس بطـرس غالى ، د . محمود خيرى عيسى : المدخل فى علم السياسة . مرجع سابق ص ١٢١ .

الجـــانب المـــادى من نفسك ليستطيع الجانب الروحى أن يطفو ، ولتطهر جســدك مــن أجل خلاص روحك ، فإن روحك تحاول دائما أن تعود إلى المصدر الإلهى الذى منه قد خرجت لأن روح الإنسان ما هى إلا جزء من الله ، ولـــذا فإن هذا الروح كانت تعيش قبل حياتنا الأرضية وستظل تعيش بعدها) وأيضا قال بأن [المادة توجد فى الزمان ، أما المثل الأعلـــى فهو أزلى] .

والزمان مسألة ذاتية لا موضوعية إذ ينشأ داخل العقل البشرى لا خارجـــه ، وهو ليس مسألة مدة وإنما هو إحساس مؤقت ، وهذا الزمان ليس له معنى بالنسبة لوجود الله لأن الله خلق الزمان أو قل خلق مفاهيم مختـــلفة للزمان فى الأماكن المتباينة ، وذلك عندما خلق العالم . أما الله نفســه فليس لـــه زمان ولا مكان ولا ماضى أو مسقبل إنما هو حاضر لا نهائى فقد ادرج أروحنا وكأننا تلاميذ لوقت ما فى سجل مدرسة الخلود ، وذودنا بالكون كله ليكون لنا كتابا مدرسيا كما وهبنا كل الأشياء التى فى العـــالم بما فيها أبداننا الغانية لاستعمالها كوسائل تعليمية ، فإذا ما انتهت مرحلة تعليمنا هذه ، فأننا نلقى بكتاب حياتنا الحاضرة وأدواتها جانبا ، إذ أن أرواحـــنا لا تكون بعد فى حاجة إليها ، كما أننا نكون جميعا على أهبة الاســـتعداد لـــلعودة مرة ثانية ، مثقفين مطهرين من مدن أهل الدنيا إلى مديـــنة الله – فما حيلتنا إذا كان العالم كله مهددا بالموت ، فلتنصرف إذن إلى عملك خاشعا راجيا فيحبك الناس ويرضى عنك الله] (١) .

(1) Henry thomas – the Great philosophers op . cit – PP 177 , 182 .

وقـد ضـم أهـم آرائه الفلسفية فى الكتاب الذى ألفه بأسم (مدينة الله) والـذى أراد بـه الدعـوة إلى للدفاع عن المسيحية ضد الوثنيين الذين يـزعمون أن المسـيحية كـانت السبب الرئيسى فى انهيار الإمبراطورية الرومانية – ولذا قد أقتبس فكرة انتماء الفرد إلى مجتمعين أو دولتين فى وقـت واحـد (مـن الفيلسـوف سينكا) وصاغها فى قالب يلائم الديانة المسـيحية فقـال (أن الإنسـان مكـون من عنصرين : عنصر الروح ، وعنصـر الجسد ، ولذلك ينتمى إلى وطنيـن ، أولهما الأرض والآخر هو السـماء ، وهذا يحتم أن تكون أمور الناس قسمين ، فهناك أمور دنيوية مصـدرها الجسـد ، وأمور دينية مصدرها الروح ، وتاريخ البشرية وليد الصـراع والتـنافس بين مجتمعين ، المجتمع الأول هو المجتمع الدنيوى الـذى توجـد فيـه بعض قوى الشر الناجم عن غرائز الإنسان الجسدية البحته ومن مظاهرها الجشع وحب التملك – والمجتمع الثانى هو المجتمع الدينى أو مدينة الله وتسيطر عليها قوى الخير المستمد من الروح ، ومن مظاهـره حب السلام والأخوة ، والعمل على الخلاص الروحى وما تاريخ البشـرية كله إلا نتاج الصراع الدائم بين هاتين المملكتين ، وأن كان لابد فى الـنهاية مـن انتصار مدينة الله لأنها هى الدائمة ولا يوجد أمن ولا سلام ولا استقرار ولا أخوة جامعة إلا فى ظلها) [١] .

---

(١) د . بطـرس بطـرس غالى ، د . محمود خيرى عيسى : المدخل فى علم السياسة . مرجع سابق ص ١٢٢ ، ص ١٢٤ .

وبذلــك انــتهج أوغسطين فى فلسفته نفس المنهج الفلسفى الذى انــتهجه الفيلســوف الــرواقى ســينكا فى التعبير عن مبدأ وحدة الجنس البشرى والأخوة الجامعة للوحدة الإنسانية والعدالة الشاملة بين جميع شــعوب العــالم – من خلال فكرة وجود مجتمعين الأول دنيوى مادى به بعض مظاهر الظلم والشر ، والثانى مثالى دينى أو روحــى طاهر .

والاخــتلاف الوحيــد بيــنهما ، أن سنيكا قد صور هذه الفكرة فى اعــتقاد وجــود الإله الواحد دون أن يعتنق أى ديانة ، فى حين صورها اوغســطين فى نفــس الاعــتقاد ولكن فى قالب الديانـــة المسيحية التى اعتنقها .

وبالــتالى قــد عبر أوغسطين بفلسفته الدينية عن مفهوم الوحدة الإنســانية تعــبيرا يمثل قمة التطور لاتحاد جميع شعوب العالم على القيم والمــبادئ الأخلاقيــة والــروحية وتصديهم لكل عوامل الظلم والاستبداد والفســاد حــتى تستمر هذه الوحدة ويعيشوا فى أمان وسلام وود ومحبة ووفــاق تــام فى هذا العالم الذى خلقه الله – وتأكيد لذلك كان أوغسطين دائما يقرر حتى وفاته فى عام ٤٣٠ م.[بأننا ضيوف فى مدينة الإنسان ، ولكنــنا مواطنون فى مدينـــة الله ، ومــن الممكن أن يدمر الأعداء مدينة الإنسان ولكن من المستحيل أن يفعلوا أى سوء أو يرتكبوا أى جريمة فى مدينة الله كيان وحدتنا الإنسانية لأنها ما هى إلا ملكوت السموات ، وهى باقية خالدة إلى الأبد ، فليس فى السماء موعد ينتهى بعده حــق الإنسان الصالح ، لأن الإنسان الصالح لا يمكن أن يفقد روحه لأن روحه لا تفنـــى

أو تهـلك إذا عـاش حيـاة فاضلة مليئة بالمحبة والود مع أخواتـه فى الإنسانيـة] (١) .

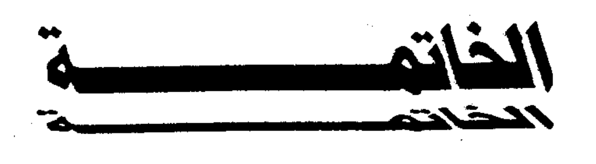
وعـلى هذا الأساس أعطت الفلسفة الرومانية فى مجملها إضافات جديدة فى التعبير عن مبدأ وحدة الإنسانية أو الأخوة العالمية لجميع البشر ، كما أشارت إلى البوادر الأولية لفكرة إنشاء قضاء دولى جنائى من خلال المفهـوم الـذى عبرت عنه نحو ضرورة تكاتف جميع البشر فى التصدى للظـلم والاستبداد والطغيان وأن ينصروا دائما الخير على الشر فى جميع الأزمان وفى كل بقاع الأرض .

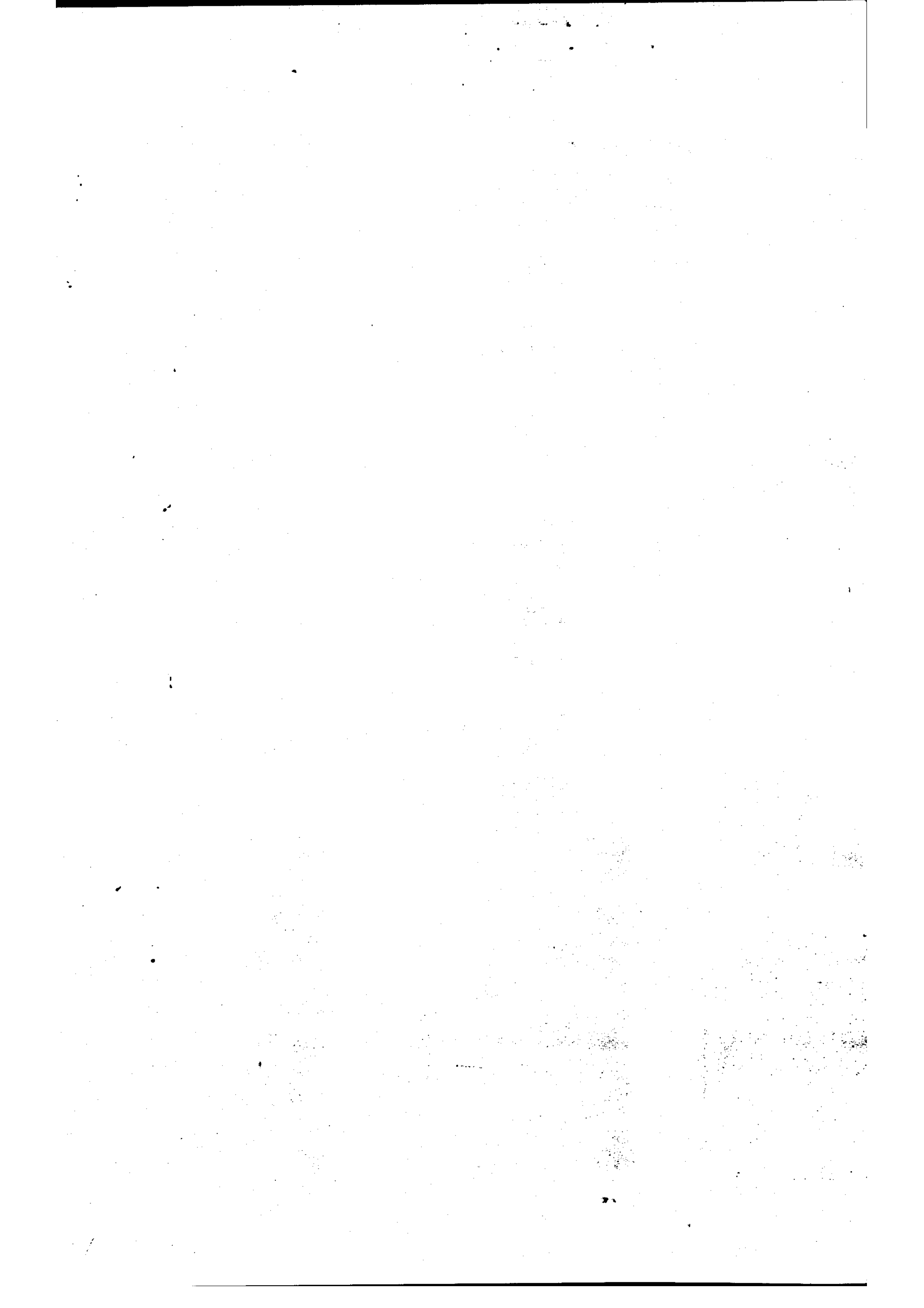
وبـناء عـلى ما تقدم ، كان لفلاسفة العصور القديمة فى الشرق والغرب دور عظيم فى تجسيم خطورة الجرائم العدوانية التى ارتكبت ضد حقوق الوحدة البشرية وهددت أمن وسلامة المجتمع الدولى الإنسانى فى العصـور القديمـة - كما كان لهم الفضل فى الإشارة إلى الجذور الأولية لفكرة إنشاء قضاء دولى جنائى ليحاكم ويعاقب كل من يرتكب جريمة من هذه الجرائم من أجل المحافظة الدائمة على مبدأ الوحدة الإنسانية من أن تنال أو تمس من أى شخص مهما كان وضعه أو مكانته حتى تعيش جميع شعوب العالم فى أخوة صافية مليئة بالعدل والأمان والاستقرار (٢) .

---

(1) Henry thomas – the Great philosophers – op . cit – P 178 .

(٢) انظـر بحثـنا عن - إنشاء محكمة دولية جنائية فى ظل الظروف المعاصرة للمجـتمع الـدولى - مجـلة النيابة العامة - العدد الثانى السنة السادسة - إبريل ١٩٩٧ - ص ١٨ - ٢٤ .


الخاتمة



الخاتمــة :

عــلى ضــوء عرضــنا السابق يتضح بأن الجرائم العدوانية على حقوق الوحدة البشرية التى يطلق عليها حاليا اصطلاح الجرائم الدولية – قــد ارتكــبت فى العصور القديمة وبأن بعض هذه الجرائم قد أخذت صفة الــتجريم الــدولى من جانب حكومات دول العالم القديم وهى الجرائم التى تتعلق بالحرب الغير مشروعة ، وانتهاك دولة أمن واستقرار دولة أخرى إلى جــانب عمــليات القرصنة البحرية والسطو البرى المسلح – والبعض الآخــر الــذى يمثل غالبية هذه الجرائم لم يأخذ هذه الصفة بل أعتبر من قبيل الأعمال المباحة رغم ما كانت تحدثه هذه الأعمال من سخط واستياء لجميــع شــعوب العالم القديم ، كما ترتب على آثارها انتفاضات وثورات شــعبية دمويــة فى معظم المجتمعات الإنسانية أدت فى حالات عديدة إلى قــلب أنظمة الحكم ، وذلك بسبب وجود أوضاع ونظم فاسدة كانت سائدة ومقنــنة فى مجــتمعات تــلك العصور وهى أنظمة الحكــم المطلق وتعدد الطبقات والرق .

كمــا اتضح ما يفيد بأن جميع الفلاسفة والمفكرين الذين ظهورا فى تــلك العصــور قــد نددوا بشدة دون خوف أو رهبة من خطورة هذه الجــرائم على الحياة الإنسانية ونادوا وإن كان من بعــد عن فكرة إنشاء قضاء دولى جنائى لمحاكمــة ومعاقبة من يرتكــب أى جريمــة من هذه الجرائم بعقوبات شديدة ورادعة .

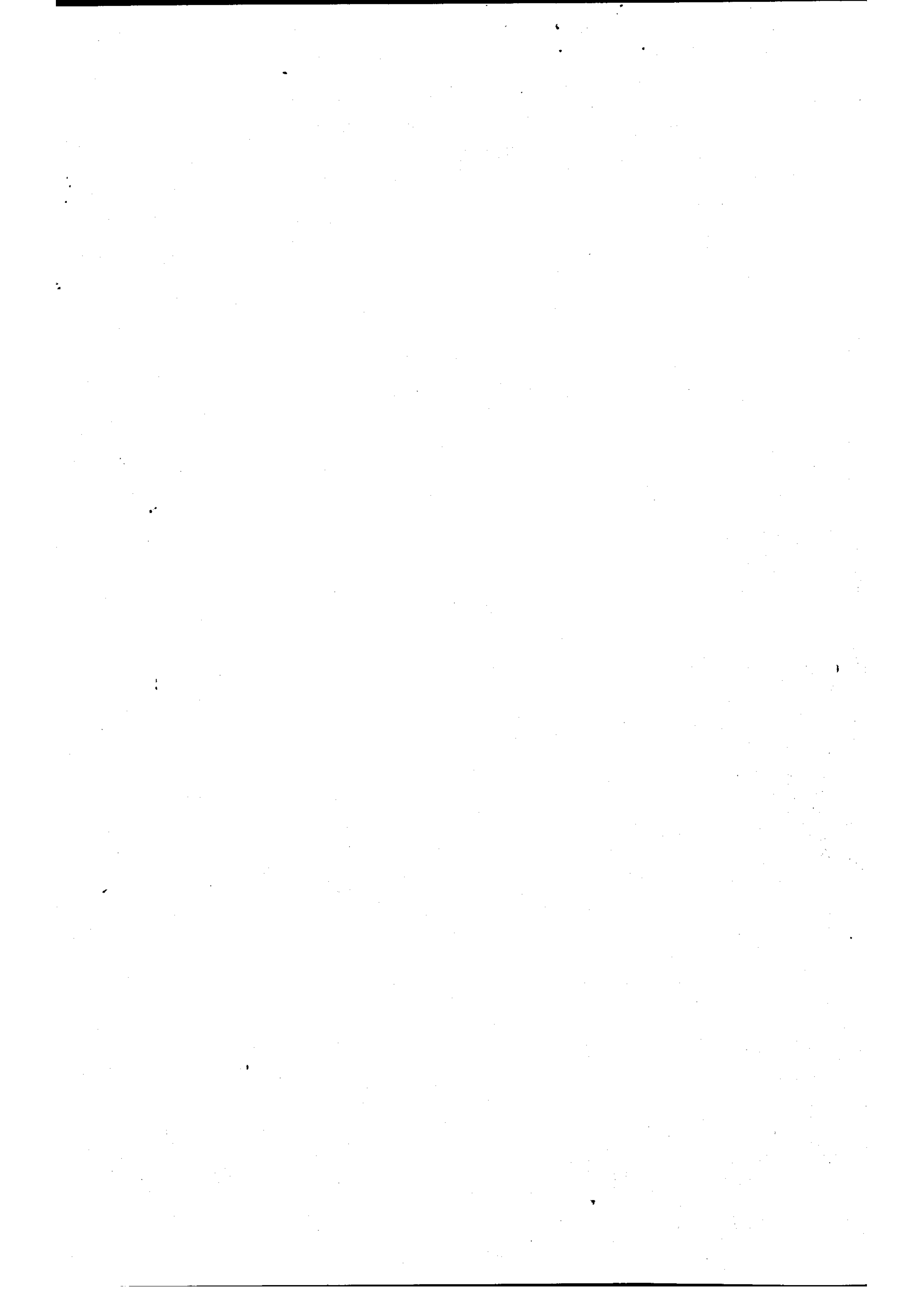
وإذا كانت هذه الأوضاع قد استمرت حتى نهاية العصور القديمة إلا أنها قد تغيرت بوضوح فى العصور الوسطى بعد انتشار الديانة المسيحية وظهور الإسلام بمبادئه السامية حيث اعتبرت معظم هذه الأفعال محرمة ، وعلى الأخص فى المجتمعات الشرقية التى ساد فى معظمها أنظمة حكم إسلامية قامت على روح المساواة والعدالة التامة .

وخلال هذه العصور وما أعقبها من العصور الحديثة كانت هذه الجرائم تمثل اعتداء على القيم والمصالح التى تهم المجتمع الدولى إلى أن تم تقنين معظمها بنصوص واضحة خلال هذا القرن فى مواثيق دولية التزمت بها جميع شعوب العالم مثل ميثاق الأمم المتحدة ومواثيق المنظمات الأخرى الإقليمية والمتخصصة إلى جانب الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام ١٩٤٨ والاتفاقات الدولية العديدة التى حرمت أى اعتداء على حقوق الإنسان وحرياته الأساسية .

وبناء على ما تقدم – فإن هدفنا فى المقام الأول من اعداد هذه الدراسة التى تم طرحها ، هو إثبات حقيقة لا يجب أن تغيب عنا ، وهى أن فكرة الجرائم الدولية وإنشاء قضاء دولى جنائى ، لم تكن قد ابتكرت فقط فى فكر العصور الحديثة ، وعلى الأخص بعد الحرب العالمية الأولى ثم الثانية كما يقول فقهاء الغرب فى عالم اليوم لكى ينكروا كل فكر إنسانى قد تعرض لها من قبل – وإنما الحقيقة التى لا يمكن طمسها بأى

ادعـــاءات أو أقاويل تثبت عكس ذلك وتؤكد تماما بأن هذه الفكرة قد نبتت في الماضـــى البعيد خلال أزمان العصور القديمة من جهود أفكار الفلاسفة والحكمـــاء الذين ظهروا وأنعمت بهم البشرية خلال تلك العصور ، وكانت بدايـــة تيـــار هذا الفكر المتدفق من عقول فلاسفة الشرق العظماء الذين أعطـــوا تجســيدا كـــاملا لمعـــنى مبدأ الوحدة البشرية والأخوة الإنسانية الجامعـــة ثـــم تلاهـــم بعـــد ذلـــك فلاســـفة الحضارة الغربية التى تمثلت فى الإغـــريق والـــرومان - وبالتالى فإن فكرة الجرائم الدولية وتقسيمها الـــثلاثى إلى جـــرائم حـــرب وجرائم سلام وجرائم ضد الإنسانية ، وفكرة إنشـــاء قضـــاء دولة جنائى لها جذور أولية أصولية تأسست بوادرها فى العصور القديمة .

المراجع



المراجـــــــع

****

أولا: المراجع العربية:

- د. أبو بكر محمد ذكرى:

تيسير فلسفة الأخلاق . الطبعة الأولى ١٩٦٧ م . دار التأليف بالقاهرة .

- د. أحمد سويلم العمرى:

أصول العلاقات السياسية الدولية . الطبعة الثالثة – ١٩٥٩ – القاهرة – مكتبة الانجلو المصرية .

- د. إبراهيم محمد العنانى:

القانون الدولى العام ، طبعة ١٩٩٠ القاهرة – كلية حقوق – جامعة عين شمس .

- د. توفيق الطويل:

الفلسفة الخلقية . الطبعة الثانية ١٩٦٧م – منشأة المعارف بالإسكندرية .

- د. بطرس بطرس غالى ، د. محمود خيرى عيسى:

المدخل فى علم السياسة . طبعة ١٩٥٩ – القاهرة – مكتبة الانجلو المصرية .

- د. جعفر عبد السلام:

مبادئ القانون الدولى العام . الطبعة الثانية ١٩٨٦ – القاهرة . دار النهضة العربية .

• **د • حامد سلطان :**

القــانون الــدولى العام فى وقت السلم • طبعة ١٩٧٢ – القاهرة • دار النهضة العربية •

• **د • حسنى محمد جوهر ، د • محمد مرسى أبـو الليل :**

شــعوب العــالم • الطــبعة الأولى ١٩٦٥ – دار المعارف القاهرة •

• **د • حسنين صالح عبيد :**

القضاء الدولى الجنائى – الطبعة الأولى ١٩٧٧ – القاهرة • دار النهضة العربية •

الجريمة الدولية • طبعة ١٩٧٩ – دار النهضة العربية •

• **د • حسنى محمد جابر :**

القــانون الدولى العام • الطبعة الأولى ١٩٧٣ – القاهرة دار النهضة العربية •

• **د • حسن شحاته سعفان :**

مونتســكيو (سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب) غير محدد سنة الطبع – دار النهضة العربية •

كونفوشــيوس – غيــر محــدد سنة الطبع – دار النهضة العربية •

• **د • حمدى عبد الرحمن :**

فكــرة القــانون • طــبعة ١٩٧٢ – القاهرة – دار الفكر العربى •

- **د. زكى نجيب محمود، د. أحمد أمين :**

  قصة الفلسفة اليونانية – الطبعة الثانية ١٩٨١ – مكتبة النهضة العربية.

- **د. سعد محمد الشناوى :**

  مدى الأخذ بنظرية المصالح المرسلة فى الفقه الإسلامى فقه مقارن، مقارنات والفكر الغربى،الجزء الأول والثانى . الطبعة الثانية ١٩٨١م – كلية الحقوق . جامعة عين شمس .

- **د. سليم حسن :**

  مصر القديمة (العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى) طبعة ١٩٤٧ . القاهرة – مطبعة دارالكتب الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- **د. صلاح الدين عامر :**

  مقدمة لدراسة القانون الدولى العام . الطبعة الأولى ١٩٨٤ – القاهرة . دار النهضة العربية .

- **د. صوفى حسن أبو طالب :**

  مبادئ تاريخ القانون . طبعة ١٩٦٧م . القاهرة – دار النهضة العربية .

- **د. عادل بسيونى :**

  التاريخ العام للنظم والشرائع . طبعة ٩٠/ ١٩٩١ – القاهرة . كلية الحقوق . جامعة القاهرة .

- **د • عبد السلام الترمانيني :**

محاضـــرات فى تـــاريخ القـــانون • طبعة ١٩٦٤ • كلية الحقوق جامعة حلب •

- **د • عثمان أمين :**

الفلســفة الــرواقية • القاهــرة ١٩٤٥ – مكتبة النهضة المصرية •

- **د • عبد العزيز سرحان :**

القـــانون الــدولى العـــام • طبعة ١٩٧٣ م القاهرة – دار النهضة العربية •

- **د • عبد الرحمن بدوى :**

الأخلاق النظرية • الطبعة الأولى ١٩٧٥ م • الناشر وكالة المطبوعات بالكويت •

- **د • عبد المنعم البدراوى :**

تـــاريخ القانون الرومانى • طبعة ١٩٤٩ القاهرة دار نشر الثقافة •

- **د • على بدوى :**

- أبحـــاث فى الـــتاريخ العام للقانون • طبعة ١٩٣٨م • مكتبة نورس بالقاهرة •

-مبادئ القانون الرومانى • الجزء الأول – طبعة ١٩٣٦ م القاهرة • مطبعة مصر • الهيئة المصرية العامة للكتاب •

- **د ٠ على حافظ:**

أســاس العدالــة فى القانون الرومانى ٠ طبعة ١٩٥١ م القاهرة ٠

- **د ٠ على صادق أبو هيف :**

القــانون الــدولى العــام ٠ الطبعة الثانية عشر ١٩٧٥ – منشأة المعارف بالإسكندرية ٠

- **د ٠ عمر ممدوح مصطفى :**

– القــانون الرومانى ٠ الطبعة الخامسة ١٩٦٥/ ١٩٦٦م دار المعارف بالقاهرة ٠

– أصول تاريخ القانون ٠ تكوين الشرائع وتاريخ القانون المصــرى ٠ طــبعة ١٩٥٢ ٠ مطــبعة نشــر الــثقافة بالإسكندرية ٠

- **د ٠ عصام الدين بسيم:**

منظمة الأمم المتحدة ٠ طبعة ١٩٨٧م ٠ اكاديمية الشرطة – القاهرة ٠

- **د ٠ فؤاد محمد شبل :**

حكمة الصين – طبعة ١٩٦٨ – دار المعارف بالقاهــرة ٠

- **د ٠ فتحية النبراوى، د ٠ محمد نصر مهنا، د ٠ درية شفيق :**

٠ تطور العلاقات السياسية ٠ طبعة ١٩٨٤م – مطبعة مصنع الكراس بالإسكندرية ٠

• د٠ فخرى أبو سيف :

دراسات فى تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – طبعة ١٩٨١ – ١٩٨٢ ، كلية الحقوق– جامعة المنصورة ٠

• د٠ محمد أبو زهرة :

مقارنات الأديان ٠ الديانات القديمة ٠ طبعة ١٩٦٥ ، القاهرة ٠ دار الفكر العربى ٠

• د٠ محمد بيصار :

العقيدة والأخلاق ، وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ ٠ القاهرة ٠ مكتبة الأنجلو المصرية ٠

– الفلسفة اليونانية – الطبعة الأولى (غير محدد سنة الطبع) جامعة السيد محمد بن على السنوسى – ليبيا ٠

• د٠ محمد حافظ غانم:

مبادئ القانون الدولى العام طبعة ١٩٦٨ – القاهرة دار النهضة العربية ٠

• د٠ محمد طلعت الغنيمى :

بعض الاتجاهات الحديثة للقانون الدولى العام ٠ قانون الأمم ٠ طبعة ١٩٧٤م منشأة المعارف بالإسكندرية ٠

– الأحكام العامة فى قانون الأمم ٠ طبعة ١٩٧٠ – منشأة المعارف بالإسكندرية ٠

- **د٠ محمد عبد الهادي الشقنقيري :**

محاضـــرات فى تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – طبعة ١٩٨٩ – كلية حقوق – جامعة عين شمس ٠

- **د٠ محمد كامل ياقوت :**

الشخصية الدولية فى القانون الدولى والشريعة الإسلامية ، طــبعة ١٩٧٠م القاهــرة٠ عــالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ٠

- **د٠ محمد عبد المنعم القيعي :**

عقيــدة المســلمين ٠.الطبعة الثانية ١٩٨٦م ٠ القاهرة – وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٠

- **د٠ محمود السقا :**

- معــالم تــاريخ القانون ٠ طبعة ١٩٦٩ القاهرة ٠ كلية الحقوق – جامعة القاهرة ٠
- تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – الطبعة الأولــى ١٩٧٠م القاهرة مكتبة القاهرة الحديثة ٠
- أثــر الفلســفة فى الفقــه والقانون الرومانى ٠ طبعة ١٩٦٦م ٠ كلية الحقوق جامعة القاهرة ٠
- أبحــاث فى تــاريخ الشرائع القديمة – طبعة ١٩٩٣ – دار النهضة العربية ٠

• د • محمود سلام زناتى :

– نظم القانون الرومانى • طبعة ١٩٦٦ م • القاهرة دار النهضة العربية •

– حقوق الإنسان فى مصر الفرعونية – دار النهضة العربية •

• د • نور الدين أشراقية :

معركة الحياة (الثورة الفكرية العالمية – النضال الثورى من أجل الوحدة العالمية) طبعة ١٩٧٢ • مطابع دار الكتب ببيروت – لبنان •

• د • يحيى الجمل :

تطور المجتمع الدولى • طبعة ١٩٦٤م – القاهرة – الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر •

ثانيا: المراجع الأجنبية المترجمة:

• ارسطو طاليس :

علم الأخلاق إلى نيقوماخوس • الجزء الثانى • ترجمة من اليونانية إلى الفرنسية وصدره بمقدمة بارتملى سانتهلير أستاذ الفلسفة اليونانية فى الكولج دى فرانس ثم وزير خارجية فرنسا سابقا – ونقله إلى العربية أحمد لطفى السيد – طبعة ١٩٢٤ م القاهرة • دار الكتب المصرية •

الفهـــــــــرس

- **جيان بوه تسان ، وشاوشيون تشنغ ، هوهوا :**

موجز تاريخ الصين- مترجم باللغة العربية ، الطبعة الأولى عام ١٩٨٥م دار النشر باللغات الأجنبية ببكين .

- **رو صين :**

وحدة الإنسان فى فلسفة الصين القديمة - ترجمة محمد جلال عباس - طبعة ١٩٨٩ - كلية آداب جامعة القاهرة .

- **شارل فرنر :**

الفلسفة اليونانية . ترجمة تيسير شيخ الأرض . الطبعة الأولى عام ١٩٦٨م . دار الأنوار - بيروت - لبنان .

- **ميشيل ستيورات :**

نظام الحكم الحديثة ، ترجمة أحمد كامل . مراجعة د . سليمان الطماوى طبعة ١٩٦٢ - دار الفكر العربى .

- **هنرى جونسون :**

تدريس التاريخ نيويورك ١٩٤٠ . ترجمة د . أبوالفتوح رضوان . الطبعة الأولى ١٩٦٥ . دار النهضة العربية بالقاهرة .

- **ول ديورانت :**

قصة الحضارة . الجزء الثالث من المجلد الثالث (١١) قيصر والمسيح ، ترجمة محمد بدران . اختارته وأنفقت على ترجمته الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية عام ١٩٦١ - القاهرة .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

- Andre Cades :
  - Le desarment devant la societe des nations , Paris, 1929 .
- A.T . Olmstead :
  - History of the perisan empire . Achaemenid . Period chicago. The University of Chicago press. 1948.
- A. Rygaloff :
  - Viede confucivs – paris – 1946 .
- Conrad Zucker :
  - Psychologie de la superatition – paris – 1952 .
- Ci Cantanou :
  - La civilisation phenicienne – paris – 1922.
- David Thomson :
  - world History from 1914 to 1950. Oxford university press. London. 1953 .
- David Kahn :
  - Scientists of Cade Analysis Civilized study . New York. 1966.
- E.H.G. DOBBY :
  - southeast Asia New york – 1950 .
- E. Swain :
  - A History of World civilization – I. Vol . London . 1947 .
- Francis Fukuyama :
  - the END of History and the last Man – New york – 1967 .

- G. Contenau :
  - la civilisation des Hittites et des Hurrites du Mitanni paris – 1948 .
- H. G. weils :
  - A short History of the world – 1932 – london .
- Henry thomas :
  - the Great – philosophers New york . 1962 .
- J. Duchesse :
  - Guillemin zoroastre etude criligue ovec une traduction commenter de gothe – paris – 1950 .
- Jean Graven :
  - Cours de droit penal international. Geneve. 1950 .
- J. G. Venezia :
  - La nation de represailles endroit international public Rgdip . 1965.
- J. Sion :
- L. Bach Hofer :
  - Early indian sculpture , 2 vol , Paris, 1929 .
- L'Asie des mousson . Paris , 1929 .
- M. Granet :
  - La civilisation chinoise . Paris 1929.
- M. Groiset :
  - La civilisation de la gréce Antique – parie – 1932 .

- Masaharv Anesaki :
  - History of Japanese Religion with special Reference to the social and moral life of the nation , charles E. tuttle company , Tokyo . Japan . U.N. university 1980 .
- R. Grousset :
  - La chine sant et art . Paris . 1951 .
- R. weill :
  - la phenicie et l'Asie occidentaie – paris – 1911 .
- Stanis Law Plawski :
  - Etudes de prinsipes Fondmentaux de droit international penal . Paris . 1972 .
- Stefan Glaser :
  - Droit international penal conventionnel Bruxelles, Etablissene Nts Enile Bruy lant societe anony me d'editions . Jurdiques et scientifgures. Rue De La Regence . 1970.
- SIR. A. EAVNS :
  - the palace of mions of knossos – london – 1921 .

- **ا٠ س ٠ وابوبوت :**

مبادئ الفلسفة ٠ ترجمة أحمد أمين ٠ الطبعة الأولى عام ١٩٦٩م – بيروت – لبنان ٠ دار الكتاب العربي ٠

- **افلاطون :**

الجمهورية ٠ (جمهورية افلاطون) الكتاب الرابع ٠ ترجمة د ٠ فؤاد زكريا ٠ مراجعة عن الأصل اليونانى د ٠ محمد سليم سالم ٠ طبعة ١٩٦٨م القاهرة ٠ دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ٠

- **امانويل كانت :**

تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ٠ترجمة وتقديم وتعليق د ٠ عبد الغفار مكاوى ٠ مراجعة د ٠ عبد الرحمن بدوى ٠ الطبعة الثانية ١٩٨٠ القاهرة ٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

- **اندريه ايمارد ، وجانين أوبوايه :**

- تاريخ الحضارات العام ٠ الشرق واليونان القديمة ٠ ترجمة فريد م ٠ داغر ، وفؤاد ج ابو ريحان ٠ الطبعة الأولى ١٩٦٤ – منشورات عويدات٠ بيروت– لبنان ٠
- تاريخ الحضارات العام ٠روما وامبراطوريتها ٠الجزء الثانى ٠ باريس ترجمة فريد م ٠ داغر ٠ويوسف أسعد داغر ٠ الطبعة الأولى ١٩٦٤ م منشورات عويدات ٠ بيروت ٠ لبنان ٠

• **برتراند رسل :**

حكمة الغرب . الجزء الثانى . لندن . ١٩٦١ – ترجمة د . فؤاد زكريا . الطبعة الأولى ١٩٨٣ م عالم المعرفة بالكويت .

• **تاريخ الصين :**

الجزء الأول . سلسلة كتب سور الصين العظيم – الطبعة الأولى عام ١٩٨٦م . دار مجلة بناء الصين ببكين مترجم باللغة العربية ، توزيع الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب (كوزى شوديان) ببكين .

• **جواهر لال نهرو :**

لمحات من تاريخ العالم – ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعين – منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٩٥٧م .

• **جورج سارتون :**

تاريخ العلم – الجزء الثانى – نيويورك ١٩٥٢ ترجمة لفيف من العلماء بإشراف لجنة مؤلفة من د . إبراهيم بيومى مذكور ، د . محمد كامل حسين ، د . قسطنطين زريق ، د . محمد مصطفى زيادة . الطبعة الثانية . اكتوبر ١٩٧٨م – القاهرة – دار المعارف المصرية .

الفهـــــــرس

****